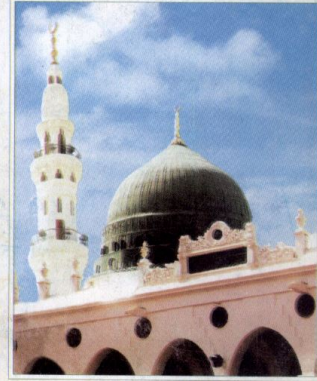


الحاجة قصوى إلى التعاون بين الأديان لخدمة البشر



دلائل نبوة محمد ﷺ

ذكرى المولد النبوي الشريف

بين الإفراط والتفريط

منهج الفكر الاستشراقي

في تفسير القرآن الكريم

الأمير تشارلز في الأزهر الشريف:

إعادة الاحترام المتبادل

بين الأديان

المؤتمر العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية يناقش:

مشكلات العالم الإسلامي

في ظل العولمة

من محتويات العدد

غلاف الشهر

• يحمل غلاف هذا العدد
ذكرى ميلاد المصطفى ﷺ
الذي جاءت رسالته بشير
خير ومطلع هداية ومشرق
نور ورحمة للعالمين، يقول
الحق تبارك وتعالى: ﴿وما
أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾
الأنبياء: آية ١٠٧

- تفسير سورة «التكوير»
أ. د. محمد سيد طنطاوى
- منهج الفكر الاستشراقى فى تفسير القرآن الكريم
أ. د. محمد الدسوقى
- النبى ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم
أ. د. أحمد عمر هاشم
- من مواقف رسول الله ﷺ
أ. د. محمد إبراهيم الجيوشى
- «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد»
أ. د. عبدالمعبود عمارة
- الإسلام فى الفكر الغربى (تأليف: أ. د. محمود حمدى زقزوق)
- عرض المستشار: توفيق على وهبة
- محاسن الإسلام ومزاياه فى تشريعات المرأة (الاستاذان)
أ. د. عبدالعظيم المطعنى
- قيمة العمل فى الإسلام
- فضيلة الشيخ: شوقى عبداللطيف
- الاستعانة بالله مفهوماً وغاية
- فضيلة الشيخ: معوض عوض إبراهيم

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون جنيهاً بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولاراً أمريكياً للدول العربية والإفريقية
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولاراً أمريكياً للدول الأوروبية
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٥ خمسة وأربعون دولاراً أمريكياً فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولاراً أمريكياً فى أمريكا الجنوبية وأستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ - ٧٩٤١٦٢٧ - ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام - القاهرة



منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

كلمة التحرير

عزيزى القارئ

هذا عدد ممتاز من مجلة «منبر الإسلام» يتسم بغزارة العطاء وتنوع القضايا يحمل فى طياته نضجات طيبة معطرة بعقيق الإيمان، يفوح أريجها ليملاً الكون كله بذكرى عطرة مباركة، ذكرى مولد خير خلق الله محمد ﷺ الذى أشرق بنوره على الدنيا فأخرجها من ظلمات الجهل والتخلف، وانتشلها من مستنقعات الجهل والشرك التى تردت فيها طويلاً، فكان نعمة مسداة ورحمة مهداة للعالمين «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» الأنبياء: آية ١٠٧.

هذا الرسول الكريم الذى تحمل عناء الدعوة وواجه من الصعاب والمشاق ما تنوء بحمله الجبال، وسار فوق أشواك الوثنية والعبودية ليحرر الإنسان من الأصقار ويعيد صياغة الإنسان السوى الفاضل، فحق لهذه البشرية أن تنحنى له إجلالاً وتعظيماً وإكباراً.

ومع هذا يطلع علينا بعض الأقزام من حملة الأقلام المسمومة الذين أرادوا أن يتطاولوا على خير البرية بدافع عصبية بغیضة ونعرة جاهلية مقيتة فكان جزأهم - كما كان جزاء من قبلهم - أن خرجوا من عداد البشرية.

وفى هذا العدد المتميز نقدم لك عزيزى القارئ العديد من الموضوعات الهادفة التى تمس أهم القضايا المعاصرة، وعلى رأسها قضية الإساءة لنبى الإسلام ﷺ التى أسهم فى تحريرها الغيورون من أصحاب الأقلام الحرة. كما نعرض لمنهج المستشرقين فى التفسير ومنطلقاته والعوامل المؤثرة فيه، وصفحات عن ذكرى الحبيب المصطفى، ونعرض لقضايا الإسلام فى الفكر الغربى.

هذا إلى جانب الأبواب الثابتة

فى القرآن الكريم وعلومه،

والسنة النبوية المطهرة،

والحضارة، والدعوة

الإسلامية إلى جانب

الأبواب الثابتة

التي تشارك

معنا فى

تحريرها.

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : **محمود حمدي زقزوق**

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : **عبد الصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور : **صوفى أبو طالب**

الدكتور : **أحمد كمال أبو المجد**

الدكتور : **أحمد هيكمل**

حديث الشهر

الحاجة قصوى إلى التعاون بين الأديان لخدمة البشر

أ. د. عبد الصبور مرزوق

وفقد ذاتيته وخصوصيته أمام تقنيات التجسس والتصنت وتآكلت علاقته بخالقه ورازقه يوم صور له المفسدون في الأرض أنه - بمعطيات «العلم» أصبح سيد الكون يفعل به ما يشاء دون أي اهتمام بتعاليم السماء. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو:

أما حان الوقت الآن كي ينزل أهل الغرب عن أنانيتهم؟ ويحاولوا الانصاف للعالم الثالث المدين الفقير فيأخذوا بيده، ويحاولوا إقالاته من عثرته؟ لقد اجتمع كبار الدول الصناعية العظمى منذ سنوات، وبدل أن يأخذوا - ولو توصية مثلاً - بإيقاف أو على الأقل تعجيل هذا السباق المجنون في مجال التسليح الذي ربما كان له ما يبرره إبان فترة الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي

إن جوهر الرسائل السماوية جميعاً - وعلى رأسها الإسلام - هو الدعوة إلى ترشيد وتوجيه الاستخلاف الإنساني في الأرض بما يصل بالإنسانية إلى إقامة عالم متوازن يكون موقف الإنسان فيه عقيدة وفكراً وسلوكاً متسقاً مع حركة الكون والحياة وغير متصادم مع الناس والأحياء. ولعل التساؤل القديم الذي قالته الملائكة حين قال لها الحق - تبارك وتعالى - كما جاء في القرآن: «إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون» البقرة: آية ٣٠.

ومع أن الحق - تبارك وتعالى - رحمة بعبده الإنسان، وعونا له على القيام الرشيد بمهمة الاستخلاف في الأرض ميزه بالعلم ليذكر به أسرار الأشياء والأحياء، ومنحه العقل يميز به الخبيث من الطيب، ثم زاد فضله عليه فأرسل إليه رسله وأنزل عليهم الرسائل والكتب. وبدل أن يكون ما أوتيّه إنسان عصرنا من القوة والوفرة والعلم سبيلاً إلى شكر الخالق وعبادته وطاعة رسالته، وسبيلاً إلى استخدام نعم الله في إسعاد نفسه وطمأنينتها، حوله بغيره وافتقاده الحكمة إلى أسباب الاستعلاء والظلم، واحتكار الرزق، وإهدار حقوق الآخرين. ولا أظن أحداً يختلف في أن الإنسان في عصرنا قد فقد ذاتيته أمام هدير الآلة وكاد ينسى عقله أمام تقنيات الحاسب الآلي،

والغريب، والآن وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي ليس له من مبرر إلا الإصرار الغريب على استمرار استنزاف دول العالم الثالث، ومالم يأخذه من الخامات يمكن اليوم أخذه عن طريق تصدير السلام.

أمن الممكن أن يتوقف هذا السباق المحموم في تجارة السلاح الذي لا دافع له الآن سوى طلب المزيد من المال والثروة؟ ألا يحاول الإنسان الغريب الذي أصابه المال بحالة مرضية بات فيها كالمريض الذي كلما أكل ازداد جوعاً وكلما ازدادت أرصدته من المال ازداد نهماً إلى المال ويقول «هل من مزيد؟» وصدق رسول الإسلام - صلوات الله وسلامه عليه - حين قال: «لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب لتمنى أن يكون له واديان، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب».

ولابد - ونحن نرصد زوايا مثلث الفساد، وأركانه في العالم أن نبحث عن دور الأديان والرسالات وموقفها في مواجهة الإنسان حين يضل وينحرف أو حين يفقد رشده ويرفض الاستجابة لنداء الحق، وسترى أنه في الفترة الإنسانية التي توالى فيها نزول الرسالات السماوية من نوح وإبراهيم إلى موسى وعيسى ومحمد - عليهم السلام - أن هذه الفترة كانت فترة رسم وتحديد الدور الذي ينبغي أن يضطلع به دعاة الحق سواء كانوا هم الرسل أم صاروا فيما بعد ختم الرسالات هم العلماء.

ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان بالعلم ليدرك به أسرار الكون ومنحه العقل ليميز به الخبث من الطيب

إنسان العصر انحرف عن شكر الله على نعمه إلى الاستعلاء والظلم وإهدار حقوق الآخرين

الدور واحد، وهو إبلاغ تعاليم السماء للالتزام بها، ومعايشة المدعويين زمنًا يقصر أو يطول، فإن استجابوا فيها، وإلا فالعقوبة وهي إما الإغراق كما حدث لفرعون أو خسف الأرض بهم كما حدث مع الآخرين. حتى كانت الرسالة الخاتمة.

ولأن المصدر الأول لجميع الرسالات السماوية واحد يحدد فيها جميعاً موقف المخلوقين من الخالق وهو أفراد وحده بالعبادة، كما قال القرآن: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» الذاريات: آية ٥٦، ولأن الرسالات في تطورها من نوح وإبراهيم إلى محمد - صلوات الله عليهم أجمعين - كانت لكل منها طبيعة تتفق وظروف المدعويين في زمانها فقد كانت الرسالة الخاتمة - رسالة الإسلام تحمل مضامين جديدة وتشريعات وتعاليم تتناسب وخصوصيتها في أنها رسالة إلى العالمين أي أنها رسالة لكل الخلق عبر الزمان وعبر المكان.

ومن هنا كان من الطبيعي أن تكتسب نصوصها طبيعة تقبل التطور لتتناسب متغيرات الزمان والمكان في حياة المدعويين.

ولهذا حفلت بإشارات وتوجيهات وأيضاً بممارسات وتطبيقات قام بها صاحب الرسالة - صلوات الله وسلامه عليه - تحتاج إليها البشرية اليوم.

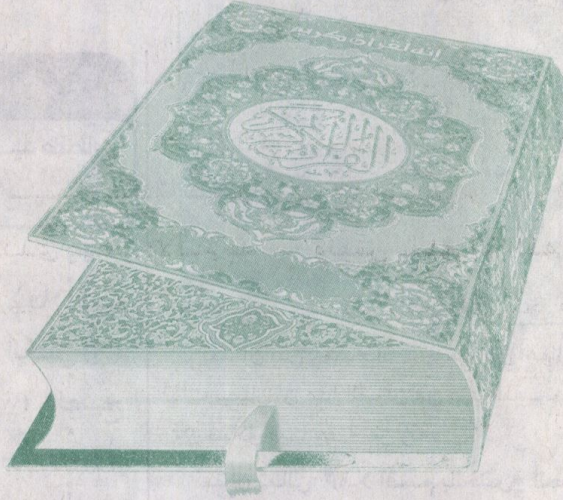
قال تبارك وتعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها...﴾ ﷺ

يا خير خَلْقِ الله..

شعر / عمر موسى موسى البرعى

أحب محمد واستهدف شريعته * بها تنال من الرحمن رحمته
 قد جاء بالشرع والأحكام تعصمه * من يلزم الشرع يستكشف سماحته
 والله أرسله للكائنات هدى * الله أكبر ما أسمى نبوته
 هو السراج الذى يهنى الأنام به * وليس يعلم إلا الله قيمته
 وداعى الله فاستبشر بدعوته * فيها من الصدق ما يعلى نزاهته
 للعالمين أتى بالنور مرحمة * قد قدس الله فى الكونين شرعته
 فى هديه النور للإنسان تبصرة * قد عطر الله فى القرآن سيرته
 فهو البشير الذى تعلو مناقبه * فى العالمين لذا فاتبع طريقته
 هى الشريعة للدنيا بأجمعها * والله يمنح بالتقوى هدايته
 من حاد عنها فإن الخسر موعده * ويستحق من الجبارنة قمته
 مصيره النار فى أعلى ضراوتها * والحق يكشف فى الأخرى حقيقته
 تأس بالمصطفى واشهد مناقبه * ينيلك الله فى الأخرى محبته
 من يتبع هديه يسعد بقدوته * ومن يعظمه يستأهل شفاعته
 فهو السعيد الذى يحظى بمكرمة * قد عزز الله بين الناس هيئته
 يا أكرم الخلق إنى مذنّب وجل * فهل سترحم يا مختار شقوته
 أدعوك مولاي بالقرآن إن به * نورا لمن يجتلى حقا بلاغته
 فكن شفيعى إذا عز الشفيع فما * سواك من يرتجى مثلى شفاعته

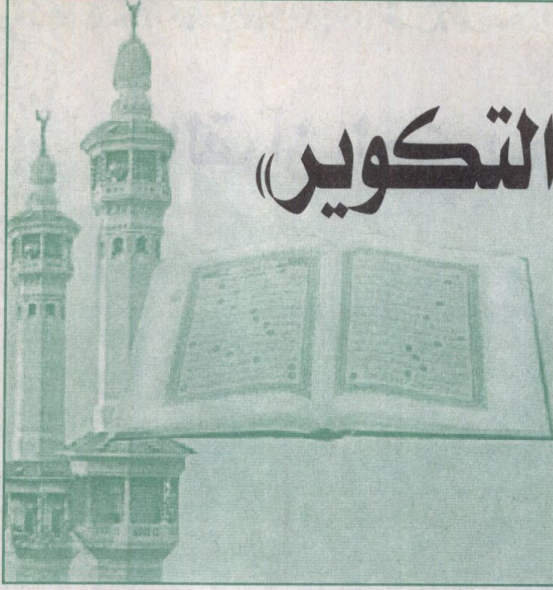
القرآن الكريم وعلومه



- تفسير سورة «التكوير»
- منهج الفكر الاستشراقى فى تفسير القرآن الكريم
- إعجاز القرآن من خلال آيات «قل»

نظرات في كتاب الله تعالى

تفسير سورة «التكوير»



لفضيلة الإمام الأكبر

الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي

شيخ الأزهر

بعد أن بين - سبحانه - جانباً من أهوال يوم القيامة، أتبع ذلك ببيان أن هذا القرآن من عند الله - تعالى -، وأن الرسول ﷺ صادق فيما يبلغه عن ربه.

فقال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْخَنسِ* الْجَوَارِ الْكُنَسِ﴾ والفاء في قوله سبحانه: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْخَنَسِ﴾ للتفريع على ما تقدم من تحقيق وقوع البعث، وحرف «لا» مزيد لتأكيد القسم، وجواب القسم قوله - تعالى -: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

و«الخنس» - بزنة رُكع - جمع خانس. والخنوس: الاستخفاء والاستتار. يقال: خنست الظبية والبقرة، إذا اختفت في مكان مبيتها.

و«الجوار» جمع جارية، وهي التي تجرى بسرعة، من الجرى بمعنى الإسراع في المسير.

ولفظ «الْكُنَسِ»: جمع كانس. يقال: كنس الظبي، إذا دخل كناسه - بكسر الكاف - وهو البيت الذي يتخذه للمبيت.

وسمى بذلك لأنه يتخذه من أغصان الأشجار، ويكنس الرمل إليه حتى يكون مختفياً عن الأعين.

وهذه الصفات: المراد بها النجوم، لأنها بالنهار تكون مختفية

قال الله - تعالى -: ﴿فَلَا أَقْسَمُ
بِالْخُنُسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَسِ (١٦)
وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ
إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا
صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ
بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى
الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ
شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَاَيْنَ تَذْهَبُونَ
(٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧)
لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا
تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴿ [التكوير: ١٥ - ٢٩]

عن الأنظار، ولا تظهر إلا بالليل، فشبهت بالظباء التي تختفى في بيوتها ولا تظهر إلا في أوقات معينة.

والمعنى: إذا كان الأمر كما ذكرت لكم من أن البعث حق.. فأقسم بالنجوم التي تختفى بالنهار، ويغيب ضوءها عن العيون عند طلوع الشمس، والتي تجري من مكان إلى مكان بقدرة الله - تعالى - ثم تستتر وقت غروبها، كما تستتر الظباء في بيوتها.. أقسم لكم بكل ذلك أن هذا القرآن لقول رسول كريم، تلقاه عن طريق الوحي من عند ربه، فبلغه كما تلقاه دون أن يزيد حرفاً، أو يحذف حرفاً.

وقوله - سبحانه -: ﴿والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس﴾ معطوف على ما قبله، وداخل في حيز القسم.

ولفظ «عسعس» بمعنى أدبر ظلامه أو أقبل، فهذا اللفظ من الألفاظ التي تستعمل في الشيء وضده. إلا أن المناسب هنا أن يكون المراد به: إقبال الظلام، لمقابلته بالصبح إذا تنفس. أي: أضاء. والمعنى: وحق النجوم التي تغيب بالنهار، وتجرى في حال استتارها، وحق الليل إذا أقبل ظلامه والصبح إذا أقبل بضياؤه، إن هذا القرآن لهو قول رسول كريم، هو جبريل عليه السلام الذي نزل به على قلب الرسول الكريم وهو محمد ﷺ فبلغه ﷺ إلى الناس كما نزل به جبريل عليه بأمر ربه - عز وجل ..

وأقسم - سبحانه - بهذه الأشياء لأنها في حركاتها المختلفة، من ظهور وأفول، ومن إقبال وإدبار، تدل دلالة واضحة على قدرة الله - تعالى -

وعلى بديع صنعه في خلقه.

ونسب - سبحانه - القول إلى الرسول وهو جبريل - لأنه هو الواسطة في تبليغ الوحي إلى النبي ﷺ.

ثم وصف - سبحانه - أمين وحيه جبريل عليه السلام بخمس صفات:

أولها: قوله: «كريم» أي: ملك شريف حسن الخلق، بهي المنظر.
ثانيها: «ذو قوة» أي: صاحب قوة وبطش، كما قال - سبحانه - في آية أخرى: ﴿علمه شديد القوى﴾.

أي: علم القرآن للنبي ﷺ ملك من صفاته أنه أعطاه الله قوة فائقة..

ثالثها: قوله - سبحانه - «عند ذي العرش مكين» أي: أن من صفات جبريل عليه السلام أنه ذو مكانة رفيعة، ومنزلة عظيمة عند الله تعالى.

رابعها: قوله - تعالى - «مطاع» أي: بطيعه من معه من الملائكة المقربين.

وخامسها: قوله - عز وجل -: ﴿ثم أمين﴾ ولفظ «ثم» - بفتح التاء - ظرف مكان للبعيد. والعامل ما قبله أو ما بعده.

والمعنى: أنه مطاع في السموات عند ذي العرش، أو أمين فيها. أي: يؤدي ما كلفه الله - تعالى - به دون أية زيادة أو نقص.

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله -: ومن قال إن المراد بالرسول محمد ﷺ (فالمعنى) أنه ﷺ ذو قوة على تبليغ الرسالة إلى الأمة، مطاع بطيعه من

**أقسم الله تعالى
بظواهر كونية
مختلفة للدلالة
على قدرته
وبديع صنعه**

أطاع الله أمين على الوحي.

وقوله - تعالى -: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾
الخطاب لأهل مكة، والمراد بصاحبهم رسول الله
ﷺ والمعنى: وما محمد يا أهل مكة بمجنون،
وذكره بوصف الصحبة، للإشعار بأنهم عالمون
بأمره.

وأنه ليس مما يرمونه به من الجنون وغيره في
شيء، وأنهم قد افترضوا عليه ذلك عن علم منهم،

بأنه أكمل الناس وأعقلهم. وهذه
الجملة داخلة في جواب القسم.

فأقسم - سبحانه - بأن
القرآن الكريم نزل به جبريل
ﷺ وأن محمداً ﷺ ليس كما
يقولون من أنه مجنون، وأنه يأتي
بالقرآن من عند نفسه^(١).

فالمقصود من الآية الكريمة:

نفى الجنون عنه ﷺ بأكمل وجه،
وتوبيخ أعدائه الذين اتهموه
بتهمة، هم أول من يعلم - عن
طريق مشاهدتهم لاستقامة
تفكيره، وسمو أخلاقه - أنه أكمل الناس عقلاً،
وأفضلهم سلوكاً، وأكثرهم علماً.

وقوله - سبحانه -: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾:
معطوف - أيضاً - على قوله - تعالى - قبل ذلك
﴿إنه لقول رسول كريم﴾ فهو من جملة المقسم
عليه.

والمقصود بهذه الرؤية: رؤية النبي ﷺ لجبريل
ﷺ لأول مرة على الهيئة التي خلقه الله عليها،
عندما كان الرسول ﷺ يتعبد في غار حراء، وكان
ﷺ قد سأل جبريل أن يريه نفسه على الهيئة التي
خلقها الله عليها.

ولفظ «الأفق»: يطلق على الفضاء الواسع الذي
لا تشتهه معه المراتب.

والمعنى: ووالله لقد رأى - أيها المشركون -
صاحبكم محمد ﷺ أمين وحينا جبريل، في
صورته التي خلقه الله - تعالى - عليها، بالأفق
الواضح المبين، الذي لا تلتبس فيه المراتب، ولا
مجال فيه للأوهام والتخيلات.

والمقصود من الآية الكريمة: الرد على المشركين

الذين كانوا إذا أخبرهم الرسول
ﷺ بأنه رأى جبريل، كذبوه
واستهزؤوا به، وتأكيد أن هذه
الرؤية كانت حقيقة واقعة، لا
مجال معها للتشكيك أو اللبس.

قال الإمام ابن كثير - رحمه
الله - وقوله - تعالى -: ﴿ولقد رآه
بالأفق المبين﴾ يعني: ولقد رأى
محمد جبريل الذي يأتيه
بالرسالة عن الله - عز وجل -
على الصورة التي خلقه الله -
تعالى - عليها، بالأفق البين

الواضح ما بين السماء والأرض.

وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء، أي:
بالمكان المجاور لحراء وهي المذكورة في قوله -
تعالى -: ﴿علمه شديد القوى﴾ ذو مرة فاستوى*
وهو بالأفق الأعلى* ثم دنا فتدلى* فكان قاب
قوسين أو أدنى* فأوحى إلى عبده ما أوحى^(٢).

والضمير في قوله - تعالى -: ﴿وما هو على
الغيب بضنين﴾: يعود إلى النبي ﷺ المعبر عنه قبل
ذلك بصاحبكم.

والغيب: ما غاب عن مدارك الناس وحواسهم،
لأن الله تعالى - قد استأثر بعلمه. والضنين: هو

نفى الله - تعالى -
الجنون عن نبيه
ﷺ وتوبيخ أعدائه الذين
يعلمون استقامته
وسمو أخلاقه

البخيل بالشئ، مأخوذ من الضن - بكسر الضاد وفتحها - بمعنى البخل والشح. والمعنى: ليس الرسول ﷺ من شأنه أن يكتم شيئاً مما أوحاه الله إليه من أمور غيبية لا يعلمها أحد سوى الله - عز وجل - وإنما هو ﷺ يبلغ عن الله - تعالى - ما أمره خالقه بتبليغه بأمانة وصدق، دون أن يزيد حرفاً عما أمره الله به، ولا يسأل الناس أجراً على ذلك. وقرأ ابن كثير والكسائي وأبو عمرو: «وما هو

على الغيب بظنين». بالطاء - أى:

وما هو ﷺ بمتهم بالتقصير فيما يبلغه عن الله - تعالى - وإنما هو يبلغ عن الله - تعالى - كل ما أمره بتبليغه دون كتمان لأى شئ نراه - سبحانه - عن كتمانته.

وقوله - سبحانه -: «وما هو

بقول شيطان رجيم»: معطوف -

أيضاً - على قوله - سبحانه -:

«إنه لقول رسول كريم».

والضمير هنا يعود على القرآن الكريم.

والمعنى: وما محمد ﷺ ببخيل فى تبليغ الوحي، بل هو مبلغ عن الله كل ما أوحاه الله - تعالى - إليه، وما هو بمتهم فيما يبلغه عن ربه بالتحريف أو التبديل، لأنه ﷺ سيد أهل الصدق والأمانة.

وما هذا القرآن الذى يقرؤه ﷺ على الناس، إلا كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليس من كلام شيطان مرجوم مسترق للسمع، كما يزعم الجاحدون والجاهلون.

وهذا رد آخر على المشركين الذين زعموا أن القرآن الكريم، إنما هو من باب الكهانة، وأن الرسول ﷺ إنما هو كاهن تلقنه الشياطين هذا القرآن.

وقوله - سبحانه -: «فأين تذهبون»: جملة معترضة بين ما سبقها، وبين قوله - تعالى - بعد

ذلك: «إن هو إلا ذكر للعالمين».

والمقصود من هذه الآية الكريمة: توبيخهم وتعجيزهم عن أن يأتوا ولو بحجة واحدة، يدافعون بها عن أنفسهم.

والفاء لتفريع هذا التعجيز والتوبيخ على الحجج السابقة، المثبتة بأن هذا القرآن من عند الله - تعالى - ولفظ «أين» اسم استفهام عن المكان، والاستفهام هنا للتعجيز والتفريع.

والمعنى: إذا كان الأمر كما

ذكرنا لكم - أيها المشركون - فأين

تذهبون؟ وأى طريق تسلكونه

أوضح من هذا الطريق الذى

أرشدناكم إليه؟ إنه لا طريق لكم

سوى هذا الطريق الذى

أرشدناكم إليه.

ثم ختم - سبحانه - السورة

الكريمة بقوله: «إن هو إلا ذكر

للعالمين* لمن شاء منكم أن

يستقيم* وما تشاءون إلا أن

يشاء الله رب العالمين».

أى: ما هذا القرآن الكريم، إلا تذكير وإرشاد وهداية للبشر جميعاً، وهذا الذكر العظيم، إنما هو نافع لمن شاء منكم - أيها الناس - أن يستقيم على طريق الحق.

وما تشاءون الاستقامة أو غيرها، إلا إذا شاءها وأرادها الله - تعالى - رب العالمين، إذ مشيئة الله - تعالى - هى النافذة، أما مشيئتكم أنتم، فلا وزن لها إلا إذا أذنت بها مشيئة الله - عز وجل - فهو رب العالمين.

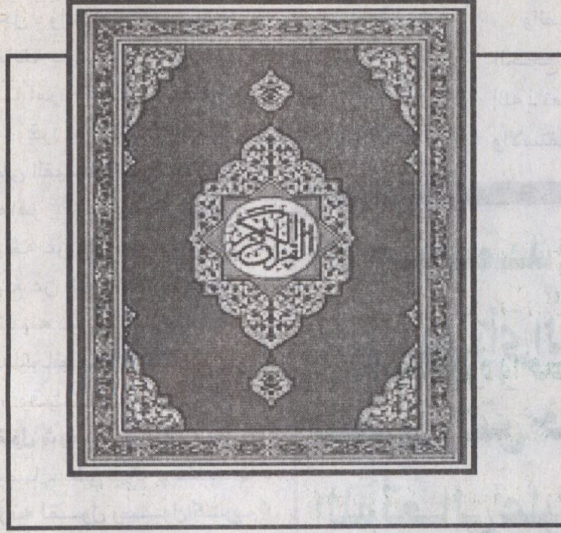
الهوامش:

١ - تفسير «فتح القدير» للإمام الشوكانى ج٥ ص ٣٩١.

٢ - تفسير «ابن كثير» ج٧ ص ٣٦١.

رأى محمد ﷺ
جبريل رأى العين
بالصورة التى خلقه
الله تعالى عليها

منهج الفكر الاستشراقي في تفسير القرآن الكريم (٢٠١)



أ.د/ محمد الدسوقي

إن الفكر الاستشراقي في غالبية جهوده يحمل منطلقات وأهدافاً متحيزة وأحكاماً مسبقة، تكشف عن أيديولوجية الغرب وطبيعته وعلاقته الفوقية بالآخر.

أما الجهود الاستشراقية الموضوعية والعلمية والحرّة في منطلقاتها وأهدافها وأساليبها في البحث، فعلى الرغم من أن لها وجوداً وحضوراً، بيد أنه وجود محدود وحضور ضئيل التأثير في وعي الغرب للشرق، وبخاصة الشرق الإسلامي، وغالبية أصحاب هذه الجهود انتهى بهم المطاف إما إلى التعاطف مع الإسلام والمسلمين أو الانتماء العقلي للإسلام.

ويعبر منهج الفكر الاستشراقي في تفسير النص القرآني عن أهم خصائص هذا الفكر ومنطلقاته في دراسة الإسلام وحضارته، ومن ثم كان الحديث عن هذا المنهج حديثاً عن دعائم الفكر الاستشراقي بوجه عام.

خصائص المنهج الاستشراقي في تفسير القرآن الكريم :

لقد كتب الاستشراق عن القرآن دراسات لا سبيل إلى حصرها، وهذه الدراسات مظهر من مظاهر الاهتمام البالغ بكتاب الله، وهو اهتمام ليس مبعثه معرفة الحقيقة، بل تلمس أوجه التحامل والهجوم على القرآن ووصفه بما لا يليق أن يوصف به.

إن الاستشراق ترجم القرآن إلى شتى اللغات الغربية، وهذه الترجمات في مجموعها أبعد ما تكون عن النص العربي للقرآن من جهة، ومزيلة بالتعليقات والتصورات الفاسدة من جهة أخرى، كما أن الاستشراق كتب عن كل ما يتعلق بالقرآن من حيث مصدره، محتواه، تاريخه، رسمه وتفسيره... الخ.

ويتجلى الحديث عن خصائص المنهج الاستشراقي في التفسير من خلال الكلام في إجمال عن القضايا التالية:

أولاً : مصدر القرآن.

ثانياً : محتوى القرآن.

ثالثاً : تاريخ القرآن.

رابعاً : لغة القرآن.

لقد انطلق الفكر الاستشراقي في دراساته القرآنية من مبدأ الاعتقاد ببشرية القرآن، ومن هنا أخذ يتلمس له مصدراً آخر غير الوحي الإلهي، وتكاد كل الآراء التي صدرت عن المستشرقين في هذا تُرجع مصدر القرآن إلى عاملين رئيسيين: أحدهما داخلي، والآخر خارجي.

ويراد بالعامل الداخلي البيئة الجغرافية والحياة الاجتماعية والدينية والثقافية للعرب.

وأما العامل الخارجي، فيراد به اليهودية والنصرانية ومعتقدات وعادات الأمم الأخرى.

العوامل الداخلية:

إن من المستشرقين^(١) من ذهب إلى أن القرآن قد تأثر في بنائه العقائدي بهجير الصحراء

ورمالها وأعرافها، كما أنه تأثر

أيضاً بتنوع البيئة بين مكة والمدينة حيث اتسم الأسلوب القرآني بمكة بخصائص تختلف عن خصائص القرآن المدني.

ويقول المستشرق «جب»: «إن محمداً - ككل شخصية مبدعة - قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة، ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقاً جديداً بين الأفكار العقائدية السائدة في زمانه والدائرة في المكان الذي نشأ فيه وانطباع هذا الدور الممتاز لمكة يمكن أن تقف على أثره واضحاً في كل أدوار حياة محمد وبتعبير إنساني إن محمداً نجح لأنه كان واحداً من المكين»^(٢).

ويقول أحد المستشرقين الألمان: «إن الإسلام لم

يظهر إلى الوجود عقيدة دينية بل محاولة للإصلاح الاجتماعي، تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة و- على الأخص - إزالة الفروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين والفقراء المضطهدين لذلك نراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر وسيلة للضغط المعنوي وتأيد دعوته».

وما يقوله الاستشراق حول أثر البيئة في

القرآن لون من التخرص والوهم الذي يميله التعصب والجهل، فمن يتلو كتاب الله - دون أن يكون في تلاوته معصوب العقل بمعتقدات خاصة يسعى للانتصار لها - يوقن بأن هذا الكتاب ليس من وحي البيئة، وأنه من وحي الخالق وأن أية محاولة لنفي صفة الوحي الإلهي عنه لا يمكن أن تكون عملية أو مبرأة من الهوى.

إن الاستشراق فيما زعمه من تأثر القرآن بالبيئة المكية في حرها وأوضاعها الاجتماعية إنما يريد تأكيد دعواه بأن القرآن بشري المصدر؛ وأنه لهذا محلي المفاهيم والتعاليم، فلا يصح لغير البيئة التي انبثق عنها وانعكست قيمها وظروفها على ما اشتمل عليه من أحكام وتشريعات؛ وهذا يعني أن دعوة محمد ﷺ ليست عالمية، وأن هذا القرآن ليس مهيمناً على الكتب التي نزلت من قبله.

وقد ظن الاستشراق أن ما بين القرآن المكي والمدني من بعض التفاوت في الأسلوب والمضمون يؤكد زعمه بأثر البيئة ودورها في تلوين الأسلوب القرآني وهذا خطأ محض؛ لأن القرآن كله لا تفاوت بين مكيه ومدنيه، من حيث الإعجاز؛ فتأياته البيانات المحكمات كلها سواء في البلاغة، وكلها

الفكر الاستشراقي في غالبية يحمل منطلقات وأهدافاً متحيزة وأحكاماً مسبقة تكشف عن أيديولوجية الغرب وعلاقته الفوقية بالآخر

سواء في تحدى ومجابهة المشركين أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

أما التفاوت بين المكي والمدني، فلا علاقة له بالبيئة؛ وإنما هو تفاوت الموضوعات ومقتضى الحال في التعبير عنها فما نزل في مكة غلب عليه تقرير أصول العقيدة وتحرير الإنسان من أوهام الشرك وجهالة الوثنية، في حين غلب على ما نزل بالمدينة تقرير التكالييف والتشريعات من عبادات، ومعاملات،

وجهاد مسلح، فاختلف الأسلوب القرآني طوعاً لهذا، من حيث طول الآيات وقصرها، ولكنه لم يختلف - كما أومأت آنفأ - من حيث الإعجاز.

ومن المستشرقين من ذهب إلى أن المصدر الرئيسي للقرآن الكريم هو شعر أمية بن أبي الصلت؛ للتشابه الكبير بينهما في الدعوة إلى الوحدانية، ووصف الآخرة، وقصص أنبياء العرب القدماء وزعم هذا المستشرق إن المسلمين قد محوا

شعر أمية وحرّموا إنشاده ليستأثر القرآن بالجدة وليصبح النبي هو المنفرد بالوحي الإلهي^(٣).

وهذا الرأي عار عن الصحة، فما عول النبي على شعر أمية في نظم القرآن، وما حارب المسلمون هذا الشعر؛ ليظل القرآن هو النموذج الفريد في موضوعه ولو كان الأمر كما رأى ذلك المستشرق، لأورد الرواة اتهام قريش للرسول ﷺ بأنه أخذ القرآن من شعر أمية، وهم كانوا أحرص من الاستشراق على التماس حجة - ولو باطلة - يتكئون عليها في نفى نبوة محمد ﷺ.

ويؤكد بطلان ذلك الرأي وأنه لا وزن له علمياً ما ذهب إليه الدكتور طه حسين في معرض رده على تلك الشبهة، أي شبهة تأثير شعر أمية في

كتاب الله، لقد قال: «إن هذا المستشرق أمثاله يشكون في صحة السيرة نفسها ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود، فلا يرون في السيرة مصدراً تاريخياً صحيحاً؛ وإنما هي - حسب قولهم - طائفة من الأخبار والأحاديث، تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمي الدقيق وهم يقفون هذا الموقف من السيرة النبوية ويقولون فيه، ولكنهم يقفون من أمية وشعره موقف المتيقن المطمئن! مع أن أخبار أمية ليست أدنى إلى الصدق، ولا أبلغ في الصحة من أخبار السيرة، فما سر هذا الاطمئنان الغريب إلى نحو من الأخبار دون أخرى؟ أيقون المستشرقون أنفسهم لم يبرأوا من هذا التعصب الذي يرمون به الباحثين من أصحاب الديانات^(٤).

إن التشكيك في أخبار السنة النبوية أو إنكارها وعدم الشك في شعر أمية يتلاءم مع منهج الاستشراق في الطعن في نبوة محمد ﷺ ونفى أن يكون القرآن قد نزل به الروح الأمين على قلب هذا النبي، وأى باحث منصف يقضي على الاستشراق وفقاً لذلك المنهج بأنه لا يبرأ من التعصب، ولا يعرف الأمانة العلمية، وأنه يخضع في آرائه لمواريثه الدينية، وأهوائه الشخصية.

ويحاول مستشرق آخر أن يثبت أن مصدر القرآن ليس البيئة الصحراوية أو أشعار أمية وغيره، بل مصدره الحنفاء^(٥)، وهم جماعة، يعتقدون بوحدانية الله ولم يعبدوا الأصنام، ولكن هؤلاء الحنفاء كانوا قبل البعثة قلة، يعدون على الأصابع، وكانت عقيدتهم يلفها الغموض فيما يتعلق بوجود الله ووحدانيته وليس لديهم تصور واضح سليم للتشريعات والقوانين، إن كل ما يعرف

لو كان الاستشراق قد أخذ نفسه بالمنهج العلمي - كما يدعى - لاهتدى إلى أن القرآن ليس بشري المصدر وأن محمداً ﷺ لم يأت به من عنده ولم يتأثر بقول أحد

عنهم أنهم كانوا ضائقين ذرعاً بما كان عليه قومهم من وثنية وجهالة، وضلالة، ولكن ما كانوا يستطيعون أن يقدموا لهم البديل الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن ثم لا يمكن أن تكون تصرفاتهم من المصادر الرئيسية للقرآن الكريم الذي يحتوى على تعاليم وأحكام واضحة جلية، لا لبس فيها ولا غموض، فدعوى هذا المستشرق لا تقل خلافاً في الرأي أو فساداً في الاستنباط عن دعاوى غيره، الذين أجهدوا عقولهم؛ ليثبتوا بشرية القرآن وأنه صدق لواقع البيئة التي عاش فيها محمد ﷺ.

العوامل الخارجية:

أما العوامل الخارجية التي أمدت محمد ﷺ - فيما يزعم الاستشراق - بالأحكام والتعاليم التي وردت في القرآن، فهي الحكم، المواعظ، المبادئ، الأوامر، النواهي والقصص الواردة في كتب التوراة، الإنجيل، والكتب السماوية الأخرى^(١). والاستشراق يبرهن على ما ذهب إليه - من تأثير العوامل الخارجية - بما بين القرآن والكتب السماوية السابقة من تشابه في القصص وبعض الأحكام، وكذلك باتصال محمد ﷺ ببعض الأخبار والرهبان سواء في رحلاته، أم في مكة وضواحيها، أو يثرب والواحات القريبة منها، وتلقى عنهم ما جاء في تلك الكتب وانتقى منها ما شاء أن ينتقى، وصاغ من كل ذلك كتاباً، وقال بأنه أوحى إليه، ولم يوح إليه شيء. والتشابه الذي يظن الاستشراق أنه دليل على أن مصدر القرآن الكريم هو الكتاب المقدس وغيره، يدل على العكس من هذا؛ إنه يشهد على أن القرآن وسائر الكتب السماوية مصدرها واحد، ولكنه يمتاز عنها بأنه معجزة ويحفظه الله من التحريف والتبديل غير أن الاستشراق - وفقاً للأهواء التي تسيطر عليه - يعكس القضية فبدلاً من أن يرى في هذا التماثل وحدة المصدر يراه آية النقل والتأثر. وعن علاقة محمد ﷺ ببعض الأخبار والرهبان وأخذ عنهم، لا يذكر التاريخ أنه ﷺ جلس مع

بعض هؤلاء مجلس المتعلم، أو أنه - قبل أن يوحى إليه - كان قد تردد على صومعة أو دير؛ لدراسة التعاليم اليهودية والنصرانية.

وإذا كان قد نقل أن محمداً ﷺ لقي، وهو غلام، أحد الرهبان^(٢) وكان ذلك في صحبة عمه أبي طالب فلم يثبت أن هذا الراهب شرح لمحمد ﷺ الكتاب المقدس أو لقنه بعض التعاليم الدينية، وكل ما تذكره الروايات عن هذا اللقاء أن الراهب حذر عم الغلام من اليهود؛ لأنهم إن عرفوا ما عرفه عن محمد ﷺ، سيقتلونه حسداً وحقداً، ويضاف إلى هذا أن عمر محمد ﷺ وقت ذلك اللقاء لم يكن يتيح له أن يدرس الأديان وكتبها، ولم يتحدث إلا بعد نحو ثلاثين عاماً، بعد أن أوحى إليه.

وإذا كان محمد ﷺ أيضاً قد قام وهو شاب ببعض الرحلات التي كان يتاجر فيها بمال السيدة خديجة - رضى الله عنها - فلم يثبت كذلك أنه لقي في هذه الرحلات أحداً من الذين يترهبون أو يلمون باليهودية والمسيحية، فضلاً عن أن الفكر المسيحي الذي كان منتشر بين الفساسنة بسوريا لم يحرر هؤلاء العرب من مواريتهم الجاهلية، كما أنه لم يكن فكراً مستقيماً، وكان لدى بعض المستشرقين مجموعة من الخرافات المنفرة والطقوس الدينية المنحلة.

ويتضح مما أسلفته عن موقف الاستشراق من مصدر القرآن أن بين المستشرقين اختلافاً في الرأي حول هذا المصدر، وإن كانوا متفقين على أن الوحي الإلهي ليس مصدراً له؛ وهذا يعني أن هؤلاء المستشرقين لم يبدؤوا دراساتهم للقرآن دون الاعتقاد المسبق ببشريته وكذب محمد في دعوته، فراح كل منهم ينقب عن مصدر لهذا الكتاب فكان التناقض والاضطراب في تحديد هذا المصدر؛ مما يؤكد أنهم في دراساتهم ناكبون عن المنهج العلمي، ومكبون بمعتقداتهم وأهوائهم. ولو كان الاستشراق قد أخذ نفسه بالمنهج

العلمي - كما يدعى - لاهتدى إلى أن القرآن ليس بشرى المصدر، وأن محمداً ﷺ لم يأت به من عنده، ولم يتأثر بأحد (في تأليفه)، فلو كان القرآن كما يذهب المستشرقون، فكيف يمكن تفسير ما ورد من آيات، تعاتب الرسول على بعض ما اجتهد فيه؟ كقوله تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾^(٨).

لقد عوتب الرسول في هاتين الآيتين عتاباً شديداً لأنه قبل الفداء من أسرى بدر، وهو تصرف أقرب إلى طبعه الرحيم، ولعله فعل هذا أملاً في هداية قومه وتأليف خصمه، ولكن الله تبارك وتعالى نبهه إلى ما هو حق في ميزان الحكمة الإلهية.

كذلك عوتب الرسول ﷺ لما أذن للمنافقين الذين استأذنوه بالتخلف عن غزوة تبوك، قال تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾^(٩).

والقرآن مع هذا اشتمل على طائفة من الإشارات العلمية والقضايا الغيبية التي تتفنى أن يكون بشرياً، وقد شهد بذلك كل الذين درسوا تلك الإشارات دراسة موضوعية من المسلمين وغيرهم. ثم .. كيف تفسر هذا الاختلاف الكبير بين القرآن والسنة، من حيث الأسلوب، وطريقة الأداء، ومنهج التعبير، مادام المصدر واحداً وهو محمد ﷺ وكيف يستطيع شخص واحد - مهما كان بارعاً صناعاً - أن ينطق بأسلوب معين، فيقول هذا قرآن من عند الله، ثم ينطق بكلام آخر، يختلف عنه في الأسلوب؛ فيقول: هذا حديث من كلامي؟ بل كيف يتسنى التمييز والتفريق في عقل واحد بين نوعين من الكلام لكل منهما طابعه المتميز وصياغته الخاصة؟ أليس الأسلوب معبراً عن شخصية صاحبه؟

ثم ما الذي كان يصد الرسول ﷺ عن نسبة شرف القرآن العظيم إليه أو أنه من إنشائه وتأليفه؟^(١٠) إن حديث الاستشراق عن مصدر القرآن لا يسند دليل أو برهان، ولو كان لدى المستشرقين دليل صريح، لأدلو به، ولو عرفوا شخصاً أو أشخاصاً كان لهم دورهم في مد محمد ﷺ بما يدعون، لأخبرونا به إنهم حاولوا أن يثبتوا بشرية القرآن، فأطلقوا لخيالهم العنان، فجال وصال في متاهات التخمين والأوهام وهو مع هذا لا يعدم وسيلة لإضفاء طابع العلمية والموضوعية على آرائه، بيد أن النقد الفاحص لها ينتهي - لا محالة - إلى إثبات بطلان تلك الآراء، وأنها مجرد خيالات وظنون، وأنها بعيدة كل البعد عن العلمية والموضوعية.

الهوامش:

- (١) انظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبد الرزاق، ص ٨٥ ط القاهرة.
- (٢) انظر الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية للدكتور سامي سالم الحاج ط مركز دراسات العالم الكاري ص ٣٢٠، مالطا.
- (٣) انظر المصدر السابق ص ٣٢٧، وأميرة بن أبي الصلت شاعر مخضرم كان يخبر بأن نبياً يبعث قد أظلم زمانه وكان يأمل أن يكون هذا النبي، فلما بعث محمد ﷺ كفر به حسداً، ولما سمع الرسول بعض شعره قال: آمن لسانه وكفر قلبه (وانظر أميرة بن أبي الصلت ليهجت عبد الغفار طريق ٧٥).
- (٤) انظر في الأدب الجاهلي ص ١٤٢ ط القاهرة.
- (٥) انظر مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز ط دار القلم ص ١٢١ - الكويت.
- (٦) انظر الظاهرة الاستشراقية ج ١ ص ٣٩٣.
- (٧) من المستشرقين من يرى أن لقاء محمد ﷺ براهب وهو غلام مجرد قصة من نسج الخيال (وانظر مدخل إلى القرآن ص ١٣٤).
- (٨) الآيتان ٦٧، ٦٨ في سورة الأنفال.
- (٩) الآية ٤٣ في سورة التوبة.
- (١٠) انظر مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة ج ١ ص ٣٢، تونس.

إعجاز القرآن

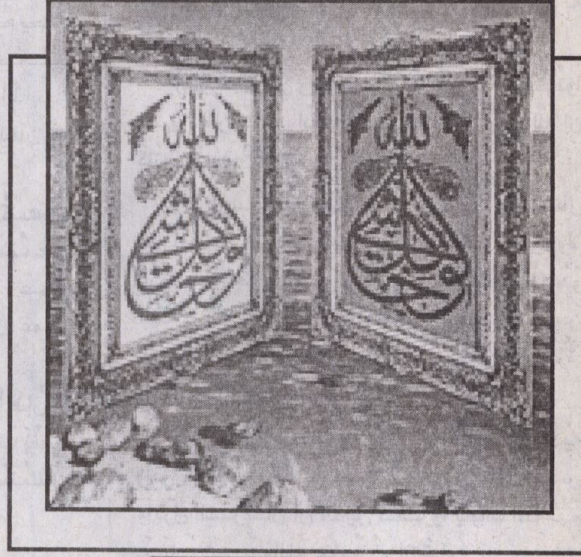
من خلال آيات «قل» في القرآن الكريم (٢)

ومن الأدلة على أن القرآن كلام الله تلك الأوامر الإلهية التي توجهت له ﷺ بخاصة باعتباره المتلقى للقرآن وذلك كقوله تعالى «وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» الشعراء: آية ٢١٥.

ومن ذلك التأديب الرباني لرسول الله ﷺ: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ» الحجر: الآيات ٨٧ - ٨٩.

«فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» الحجر: الآيات ٩٤ - ٩٩.

«وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * وَاصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ



أ.د. محمد محمد أبو ليلة

الأمر بالبلاغ والشدة في سبيل الحق

هنا يقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُثَسِّصُ الْمَصِيرَ» التوبة: آية ٧٣، التحريم: آية ٩، أرسل الله تعالى نبيه رحمة للعالمين، لكنه في هذه الآية يأمره تعالى أن لا تأخذه بالكفار المحاربين والمنافقين المخادعين رحمة، بل ينبغي أن يغلظ عليهم لأن الرحمة لا تفيد معهم بل إن أخذهم بالشدة قد يصلحهم أو على الأقل يحذر من شرورهم وهذا عين الرحمة، ومن هذا قوله تعالى: «قُلْ مَوْتُوا بِغِظْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» آل عمران: آية ١١٩. «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» المائدة: آية ٦١.

خطاب، وضماير غيبة، هذا ولم يرد في القرآن الكريم قط ضمير المتكلم في الإشارة إلى محمد من أمثلة ذلك:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ البقرة: آية ٤.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة: آية ٦.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: آية ٢٣.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ * وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ آتَيْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة: الآيتان ١١٩، ١٢٠.

﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ آل عمران: الآيتان ٣، ٤.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران: آية ٧.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ﴾ الأنفال: آية ٣٠.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران: آية ٣١.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ

وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطُماً * وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَنفِثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمَهْلٍ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف: الآيات ٢٧ - ٢٩، أمر من الله عز وجل لرسوله ﷺ أن يبلغ القرآن الموحى به إليه من الله تعالى، ذلك القرآن الذي لم يبدل ولم يحرف قط، ألا ينصرف عن الزهاد العباد من صحابته، وألا يكره أحد على الدين بعد البلاغ فإن الله تعالى لا يكره أحداً على الدخول في الدين بعد أن تبين الرشد من الغي والحق من الباطل.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران: آية ١٥٩.

﴿أَقِمْنَ زِينَةَ لَهُ سُوهُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فاطر: آية ٨.

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ المزمل: آية ٤.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه: آية ١١٤.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة: الآيات ١٦ - ١٩.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ الأحزاب: الآيتان ٢، ٣، هل يعقل أن محمداً ﷺ كان هو الذي يقول لنفسه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾، ﴿اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ إنه الله هو القائل ومحمد هو المتلقى.

ومن أدلة اللغة القرآنية على إلهية مصدر القرآن تلك الضمائر الكثيرة التي تتخلله، ضمائر

فَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ*
وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِنْ آلِهِمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* المائدة: الآيات ١٣ - ١٦.

هذه الآيات الأخيرة في اليهود نقضوا عهودهم مع الله، ونسوا حظاً مما ذكروا به من كلام الله تعالى. محووا بعض كلام الله، وبدلوا بعضه بكلام من غير جنسه، كما أنهم أولوا ما بقى من نصوص الوحي على غير وجهها وذلك بسبب قساوة قلوبهم، وعنادهم ولشعورهم المفرط بالأنا، وبالتميز على سائر البشر.

ويحذر الله تعالى نبيه من أعدائه بقوله «ولا تزال تطلع على خائنة منهم» أي أن خيانتهم طبيعية متأصلة فيهم، وهذا هو موقفهم من جميع الأنبياء ومن محمد ﷺ وأصحابه و أمته ودينه. وعلى الرغم من هذه العداوة المؤكدة ندب الله تعالى نبيه إلى العفو والصفح «فاعف عنهم». وهذا هو عين النصر والظفر كما يقول ابن كثير، وكما قال بعض السلف: «ما عاملت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه»^(١).

وبهذا ربما تؤلف قلوبهم على الحق، ولعل الله يهديهم إليه بتسامحك معهم وملاينتك لهم، ولهذا ختم الله الآية بقوله «والله يحب المحسنين».

وهذه الخاتمة القوية تنبه على أن الإحسان إلى الأعداء لا يتم إلا مع امتلاك القوة، لأن الضعيف المستذل لا يملك الإحسان بل هو نفسه يعانى من القهر والإصر، وهو يتطلع دائماً إلى إحسان الغير ومصانعته، فكيف يكون هو محسناً.

وفى نفس السياق يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ* وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ* المائدة: الآيات ٤٨، ٤٩.

«لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ* وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ* المائدة: الآيات ٨٢، ٨٣.

خطاب مباشر لرسول الله ﷺ ينبيهه على ما خفى عليه من قلوب الأعداء وما انطوت عليه ضمائرهم تجاهه.

«وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ* المائدة: آية ٩٢.

«فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ* هود: آية ١٧.

ليس معنى الآية أن النبي ﷺ كان فى شك من القرآن أبداً، وإنما هذا زيادة فى التأكيد لمن يمكن أن يتشككوا أو يشككوا فى القرآن انه كلام الله تعالى، ولم يرد أن النبي ﷺ شك فى شئ من القرآن أو طلب من أحد الدليل على صحته، وعلى كونه كلام رب العالمين. وآخر الآية يثبت أن الكلام كان يقصد به الكفار المعاندون، وليس رسول الله ﷺ.

وآيات العتاب في القرآن دليل أكيد يضاف إلى هذه الأدلة على أن القرآن هو كلام الله تعالى والعتاب بالطبع يقتضى معاتب ومعاتب الأولى بكسر التاء والثانية بفتحها على سبيل المثال يقول تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى* أَوْ يَذْكُرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى*...﴾

إلخ عيس: الآيات ١ - ٤.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ* قَدْ قَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ*...﴾ إلخ. التحريم: آية ١، ٢.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُبْتَغَى فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال: آية ٦٧.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ هود: الآيات ١٢ - ١٤.

وآيات تثبت قلب النبي ﷺ أيضاً من أدلة إلهية مصدر القرآن على سبيل المثال:

﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ الفرقان: آية ٣٢.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ الحجر: آية ٩٧.

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ النحل: آية ١٢٧.

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: آية ٢.

﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ إبراهيم: آية ١.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ* أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ الأنعام: الآيات ٤، ٥.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إبراهيم: الآيات ٢٤، ٢٥.

﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الحجر: آية ٣.

دليل الأمانة في نقل الوحي عن الله من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ* لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ* مَا نُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ* إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِبَعِ الْأَوَّلِينَ* وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ* كَذَلِكَ نَسْلُكُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ* لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ* وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ* لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ الحجر: الآيات ٥ - ١٥.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ النحل: آية ١١٢.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنْ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ* وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ* وَإِنْ كَانَ كِبَارُكَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الأنعام: الآيات ٣٣ - ٣٥.

لم يحرف القرآن على الرغم مما مر بالمسلمين من
فرقة وضعف وما نزل بهم من كوارث.

طريقة نزول القرآن دليل على إلهيته:

يقول تعالى: ﴿وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ نَزْلًا وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ
عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَّةَ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا * قُلْ آمَنُوا بِهِ
أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى
عَلَيْهِمْ يَخِرُونَ لِلْأَذْقَانِ سَجْدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ
رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُونَ لِلْأَذْقَانِ
يَكُونُ وِزْدُهُمْ خُشُوعًا * قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا
الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا
تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ
سَبِيلًا * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ
وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ الإسراء: الآيات ١٠٥ - ١١١.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ
يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * فَيَمَّا يَلِيزُ أَسَأَ شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ
وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْعَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ
أَجْرًا حَسَنًا﴾ الكهف: الآيات ٢٠ - ٢١.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَفْقَرَ لَكَ اللَّهُ مَا
تَقْدِمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ
وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَنُصْرَكَ اللَّهُ نَصْرًا
عَزِيزًا﴾ الفتح: الآيات ١ - ٣.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُيَاْمِعُونَكَ إِنَّمَا يُيَاْمِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ
فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَثَّرَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ
أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَيَسْؤُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
الفتح: آية ١٠.

﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا
غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ النجم: الآيات ١ - ٣.
﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ
الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ
شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ * لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ التكاوير: الآيات ٢٢ -

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ
أَتُنْكُم تَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ قُلْ لَا أَشْهَدُ
قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ *
الَّذِينَ اتَّيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا
يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الأنعام: الآيات ١٩ - ٢١.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ
أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا آيَةً لَا
يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ
وَيَسْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾
الأنعام: الآيات ٢٥، ٢٦.

وفى وجه الشدائد والمكائد التي كان النبي ﷺ
وأصحابه يتعرضون لها يقول الله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل: آية ١٢٥.

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ الغاشية: آية ٢٢.
﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فاصدع بما تؤمر
وأعرض عن المشركين﴾ الحجر: آية ٩٤.

وهناك آيات ذكر فيها النبي ﷺ بغير اسمه
للاستدلال عليه بالقرائن والأحوال، أو بما ورد من
صحيح أحاديثه ﷺ، على سبيل المثال:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ
مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء: آية ١.

دليل الحفظ والعناية بالقرآن

من أدلة الإعجاز أن الله تعالى تكفل بحفظ
القرآن من التبديل والتحريف يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: آية ٩، ويقول
تعالى: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ
لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ الكهف: آية ٢٧،

٢٩، فذكر طريقة نزول القرآن على النبي ﷺ مع جبريل، وكيفية تلقيه منه في الأوقات والأزمنة والأمكنة المختلفة، ونزول القرآن منجماً في مدة تتجاوز الاثنين والعشرين عاماً على غير المؤلف والمعروف بين الكتاب والمبدعين، كل ذلك يثبت إلهية المصدر القرآني.

يضاف إلى ذلك تلك السور التي تتحدث عن النبي ﷺ ولم يرد فيها أي صيغة للحديث عن النفس على سبيل المثال: «وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى إلخ» فلم يرد فيها مثلاً «ما ودعني ربي وما قلاني» وكذلك سورة الانشراح: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ» الانشراح: الآيات ١ - ٨.

الآيات ليس فيها إشارة إلى متحدث غير الله تعالى فهو وحده القادر على شرح الصدر ووضع الوزر وتفريج الهم، ورفع الذكر على الرغم من التحديات والمعوقات الكثيرة التي كانت تعترض حياة الرسول ﷺ. وشرح الصدر وتيسير الأمر، ورفع الوزر من أعظم متمنيات أي إنسان؛ لا سيما أصحاب الرسالات وحملة الأمانات فإن ذلك من أكبر المعينات على القيام بالواجب وتحمل التبعات وتجاوز العقبات.

ولعل نقاد القرآن والطاعنين فيه، وهؤلاء الذين يثيرون الشبه والشكوك حوله يدركون أن المؤلفين يأخذ بعضهم من بعض، ويعدو بعضهم على بعض بالانتحال أو التقليد مما دعا إلى وضع قواعد وتقاليد وضوابط للتأليف والاقتباس، ووضع عقوبات رادعة لمن يخالف تلك القواعد، وهذا كله منفي عن القرآن، إذ لم يثبت أحد بالدليل أن رسول الله ﷺ قد انتحل من أحد لا شعراً، ولا نثراً، ولا مثلاً ولا قصة، وإن المقارنة بين القرآن

وبين الأدب الجاهلي بفنونه المختلفة من جانب، وبين القرآن وما كان معروفاً من كتب مقدسة في هذا الوقت وإن لم تكن قد ترجمت إلى العربية إلا بعد عدة قرون من وفاة النبي ﷺ، من جانب آخر، يثبت أصالة القرآن وبعده عن أن يكون منتحلاً، بل ويثبت تفوقه الكامل على كل ما عده من كتب ودواوين وخطب وأمثال، وأكثر من ذلك في التدليل على إلهية القرآن أن الوثنيين والكتابيين قد أدركوا عظمة هذا الكتاب العظيم وتضرده، وآمنوا به في الجملة وصدقوه، وحفظوه وتدبروه ومهروا في علومه، وصاروا به قادة وهداة لأهل الأرض. ونقلوه إلى العالمين، وعلموه للعرب، ولغير العرب الذين لم يعرفوا العربية في حياتهم.

إن الكاتب أو الشاعر يختلف بلا شك إنتاجه باختلاف مراحل حياته، وسنى عمره ونموه، ومدى تطوره العقلي. أما بالنسبة للقرآن فإن أول آية فيه كآخرة منه لا تخرج عن الإطار، ولا تشذ عن المنهج ولا تظهر قط بأسلوب مخالف، أو صياغة مباينة، وهذا يؤكد أن مصدر القرآن واحد وهو الله تعالى.

وإنه لمن المعروف أن الشاعر يترقى من حال لحال حتى يبلغ الكمال، وتكون له تجارب شعرية، أو نثرية أولية فجأة، ثم لم يلبث أن يتقن الصنعة ويتمكن من سرها ويبرع فيها، أما القرآن فإن أوله يستوى مع آخره: «وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» آل عمران: آية ٧، «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» النساء: آية ٨٢.

دليل الحروف المقطعة

في الحروف المقطعة وفي وضعها في أوائل السور دليل آخر على إلهية مصدر القرآن وعلى صدق محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وهذه الحروف منها ما يشتمل على الحرف، والحرفين،

والثلاث والأربع والخمس، ونلاحظ أن هذه الحروف تظهر في بعض السور دون بعض مما يدل على أن القرآن من صنع إله حكيم. ولو كان هذا العمل من صنع محمد لوضع محمد هذه الحروف المتفرقة في أوائل السور كلها، ولاستهوته تلك الفكرة وسيطرت عليه، كما سيطرت فكرة البكاء على الأطلال مثلاً على شعراء الجاهلية، إذ كانوا لا يبدعون قصائدهم إلا بها، بل لقد استمرت بعدهم حتى العصر الحديث، وظلت تسيطر على الشعر العربي حتى ظهر تيار التجديد في الأدب العربي، فتخلّى الشعراء المحدثون عن هذه الطريقة. ولا يقال إن العرب قد استعملت أمثال هذه الحروف في أشعارها كقول بعضهم:

لَا تَحْسَبُنَا قَدْ نَسِينَا الْإِجَافَ

قُلْنَا لَهَا قَفَى قَالَتْ قَافَ

والنشؤات من معتق ضاف

وعزف قينات علينا عزاف

فهذا وغيره من التصريح والمحسنات اللفظية الشكلية التي ليس وراءها شئ من المعانى أو الأسرار.

وقد اختلف العلماء في تحديد معنى هذه الحروف فقال بعضهم إنها أسماء للسور، وقال آخرون إن الله ابتدأ بها السورة ليعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت، وأنه أخذ في أخرى، فجعل هذا علامة انقطاع ما بينها.

وقال قوم إنها حروف إذا وصلت كانت هجاء لشئ يعرف معناه، وقد أوتى بعض الناس علم ذلك، وكان بعضهم يقول الر . حم . ن هذا هو اسم الرحمن(٢).

وقال الشعبي عامر بن شراحبيل، وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين «هى سر الله فى القرآن، وهى من المتشابه الذى انفرد الله بعلمه، ولا يجب أن يتكلم فيها، ولكن ينبغى أن نؤمن بها

ونمررها كما جاءت، وذهب الجمهور إلى أنه يجب أن يتكلم فيها، وتلتبس الفوائد التي تحتها والمعانى التي تتخرج عليها. لكنهم اختلفوا في تحديد معانيها. إذ يعتبرها الإمام على - كرم الله وجهه - «دلالة على اسم الله إلا أننا لا نعرف تأليف اسم الله منها». ويقول ابن حيان: «هى أسماء الله أقسم بها ويعتقد زيد بن أسلم أنها أسماء للسور التي تقدمتها مع أن السور التي ذكرت فيها هذه الحروف معظمها له أسماء تميزه كسورة البقرة وآل عمران، والأعراف، ويوسف والحجر والكهف والشعراء والنمل والقصص، وغافر والشورى والجنات، مما يجعل هذا الرأى غير مستساغ.

وقال قتادة: «هى أسماء للقرآن كالفرقان والذكر». وقال مجاهد: «هى فواتح للسور». وزعم قوم أنها حساب «أبى جاد» التي وضعت لتدل على مدة بقاء ملة محمد. روى هذا محمد بن اسحاق ابن يسار صاحب المغازى عن ابن عباس عن جابر ابن عبد الله من طريق محمد بن سائب الكلبى وهو ضعيف لا يحتج به(٣).

وهذا القول من الإسرائيليات التي لا يعول عليها، فإن الإسلام هو دين الله، وأمة محمد هى آخر الأمم، لا دين بعد الإسلام، ولا أمة تاتى بعد أمته الإسلامية ﷺ.

وبالإضافة إلى ما سبق بشأن الحروف المقطعة نقول إنه لو كان محمد هو مؤلف القرآن لجعل هذه الحروف خاصة بالسور الطوال فقط، أو بالسور القصار فحسب، أو كان وضعها مرتبة بحسب السور ولما وضع منها فى سورة دون سورة، أو لما كان وضع فى سورة البقرة - وهى أطول سورة فى القرآن - حروفاً ثلاثة «ألم»، ووضع فى سورة الشورى - وهى أقصر منها بكثير - خمسة حروف، حم عسق. ولما كتب كهيعص متصلة وحم عسق منفصلة وهكذا.

إن طريقة العقل البشرى فى التركيب والترتيب

والمنطق منفية عن القرآن الكريم. غير أن طريقة القرآن في الخطاب قد جعلها الله تعالى من مقدرات العقل البشري والحس الأدبي للإنسان. إذ لو لم يفهم الناس القرآن ويتذوقوا بلاغته ما أحبوه، ولا حفظوه وتدبروه، وتعبدوا بتلاوته، وأقبلوا على تعلم لغته وعلومه.

قال قطرب وغيره هذه الحروف هي الإشارة إلى حروف المعجم كأن الله يقول لخصوم القرآن المعاندين من العرب، إني متحديكم بهذه الحروف التي عرفتموها واستعملتموها.

ومما يلاحظ أن مجموعة هذه الحروف المفرقة إنما تستعمل دائماً في مفتتح الكلام عن القرآن على سبيل المثال **﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾** البقرة: الآيتان ١، ٢.

﴿الْم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ آل عمران: الآيات ١ - ٤.

﴿الْمص * كِتَابٌ أَنزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف: الآيات ١ - ٣.

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * أَكَّانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا إِنَّ أَوْحِينَآ إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَن أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدِمْ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ يونس: الآيتان ١، ٢.

﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: آية ١.

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْفَافِلِينَ﴾ يوسف: الآيات ١ - ٣.

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الرعد: آية ١.

﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ إبراهيم: آية ١.

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ الحجر: آية ١.

أما كهيعص مريم فإنه لم يرد بعدها ذكر القرآن لفظاً وإنما قال الله تعالى **﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾** فاتبعت هذه الحروف الخمسة بذكر الرحمة التي هي من أسماء القرآن، ولأنها تتحدث عن المعجزات المادية الروحية في الخلق عن طريق الإعجاز، خلق يحيى النبی ﷺ من عجوزين عقيمين بعد نداء، ودعاء، وعبادة، وخدمة لله تعالى، وخلق عيسى من مريم - عليهما السلام - بلا ذكر. ناسب أن تبدأ هذه السورة بحروف الأسرار، ومفاتيح الألفاظ والإعجاز ولقد ختمت سورة مريم بالإشارة إلى القرآن كما في قوله تعالى: **﴿فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا بِسَانَكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾** مريم: آية ٩٧.

﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذَكُّرًا لَّمَن يَخْشَى * تَزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ طه: الآيات ١ - ٤.

﴿طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الشعراء: الآيات ١، ٢.

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ النمل: الآيتان ١، ٢.

﴿طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ القصص: الآيتان ١، ٢.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الحروف المفرقة التي لم تتبع بالإشارة إلى القرآن قد اتبعت بموضوع مهم من الموضوعات التي جاء بها القرآن، على سبيل المثال: **﴿كهيعص﴾** في سورة مريم وفي **﴿الم﴾** في سورة العنكبوت، فإنها اتبعت بتقرير

منهج الله في الخلق، الاختبار لمعرفة مدى قوة الإيمان ﴿أَلَمْ أَحَسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ العنكبوت: الآيات ١، ٢.

وكذلك الشأن في سورة الروم ﴿أَلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفليون ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يتصّر الله يتصّر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴿الروم: الآيات ١ - ٧.

وهكذا تمضي السورة فتتحدث عن منهج الله وسننه في الخلق، وفي الأمم والدول، وفي الأنفس والأفاق، مما هدى الله بعض العلماء لاكتشاف بعض أسرارها ومنافعها، وتفسير بعض ظواهره وتأثيراته.

وكان الله تعالى يشعّرنا بذلك أن الحروف المفرقة لها معان متعددة، إذ تأتي أحياناً متنوعة بالإشارة أو الإشارات إلى إعجاز النظم القرآني، وتأتي أحياناً أخرى بإشارات إلهية في المنهج الرباني، والإعجاز العلمي في القرآن، والحوادث العظمى في الكون.

ونعود فنشير إلى القرآن وحروفه المفرقة يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ هدى ورحمة للمحسنين ﴿لَقَمَان: الآيات ١ - ٣.

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ص: الآية ١.

﴿أَلَمْ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴿السجدة: الآيات ١ - ٣.

ومما يفيد التنبيه عليه أنه في هذه السورة قد اجتمعت الحروف المقطعة وآية السجدة ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجْدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً

ومما رزقناهم ينفقون ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة: الآيات ١٥ - ١٧.

﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ يس: الآيات ١ - ٥.

﴿حَم﴾ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿مَا يَجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَفْرَكَ تَقْلِبْهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ غافر: الآيات ١ - ٤.

﴿حَم﴾ تَنْزِيلِ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ بشيراً ونذيراً ﴿فَاعْرَضَ أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ قل ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ فصلت: الآيات ١ - ٦.

﴿حَم﴾ عَسَى ﴿كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَالَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الشورى: الآيات ١ - ٣.

فهذه في طريقة الوحي إليه ﷺ وإلى الأنبياء السابقين وفي نفس السورة يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ الشورى: آية ٧.

وفيها أيضاً: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا
حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ
الشورى: الآيات ١٣ - ١٥ .

﴿حم﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّ فِي أَمِّ الْكِتَابِ لَدِينًا لَعَلِّي
حَكِيمٌ ﴿٣﴾ الزخرف: الآيات ١ - ٤ .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ
الْقُرَيْشِينَ عَظِيمٍ﴾ أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ
قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا
بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١﴾ الزخرف:
الآيتان ٣١، ٣٢ .

﴿وَمَن يَعْمَلْ عَمَلًا شَيْطَانًا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ الزخرف: آية ٣٦ .

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وَإِنَّ لَذِكْرَكَ لَءَلْفَ وَلَقَوْمٍ وَسَوْفَ
تُسْأَلُونَ ﴿١﴾ الزخرف: الآيتان ٤٣، ٤٤ .

﴿حم﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ
مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٣﴾
أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ الدخان: الآيات ١ - ٦ .

﴿حم﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾
إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي
خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ
آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوها عَلَيْكَ
بِالْحَقِّ قُبَايَ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ وَيَلَّ
لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٦﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ
مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَإِذَا
عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مَّهِينٌ ﴿٨﴾ مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا
شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿٩﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ
عَذَابٌ مِّنْ رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ الجاثية: الآيات ١ - ١١ .

ففى هذه السورة وفى سورة «الأحقاف» التى
تأتى بعدها جاءت «حم» بحرفيها الحاء والميم
مفتاحاً للحديث عن القرآن ، وعن أسرار الخلق
فى الأكوان، وعن الصراع بين الحق والباطل
فالحديث إذن عن نصوص المنهج، ومواد هذا
المنهج، وآثارها فى النفوس والعقول، وفى سورة
الأحقاف أورد الله تعالى وصف الجن للقرآن:
﴿قُلُوا لَنَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا
آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ أَفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ
الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا
إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿١﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا
أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي
إِلَى الْحَقِّ وَالْإِطِيقِ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا
دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ
مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ وَمَنْ لَا يَجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ
بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ أُولَئِكَ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤﴾ الأحقاف: الآيات ٢٨ - ٣٢ .

أما سورة (ق) (ون) وهما من ذوات الحرف الواحد
فقد وردت الإشارة فى السورة الأولى إلى القرآن فى
قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ق: آية ١ .

وأما سورة «ن» فقد أتبعنا بذكر القلم والكتابة
وهي تتحدث فى افتتاحيتها عن محمد ﷺ، وعن
أخلاقه العظيمة. والمناسبة أن القلم هو أداة كتابة
الوحي ونقل علومه وقد ورد ذكر العلم فى أول
الآيات نزولاً فى قوله تعالى ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿١﴾ العلق: الآيتان ٤، ٥ .

ولما كان خلق الرسول ﷺ القرآن كما وصفته
السيدة عائشة - رضى الله عنها - فقد ناسب
اقتترانه هنا بالحرف «ن» فى أول السورة.

بعد هذه النظرة العلمية الروحية فى محيط
أسرار الحروف المقطعة، ومناسبة ذكرها فى أوائل

بعض سور القرآن نعود فنواصل كلامنا عن أدلة القرآن على إلهية مصدره، وأنه لا يمكن بحال أن يكون من كلام محمد ﷺ. وكما أشرنا إليه من قبل وأكدناه بالأدلة القرآنية القاطعة وبحديث رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة وإجماع الأمة نقول إن النبي ﷺ كان هو المخاطب بالقرآن، وأنه لم يرد كلام في القرآن من قول الرسول ﷺ إلا على سبيل الحكاية شأنه في ذلك شأن جميع الأنبياء أو الأشخاص المذكورين في القرآن؛ وجاء ذلك بتوجيه من الله لمحمد ﷺ أن يقول كذا وكذا قرآنًا وعندما ترد صيغة «أقول» على لسان النبي ﷺ كما في قوله «ولا أقول لكم إني ملك» فإن القائل هو الله تعالى وأن محمداً ﷺ إنما هو حاك عن الله بكلام الله، ناقل لمراد الله سبحانه وتعالى، وينبغي أن نلاحظ أن كلمة قرآن كالهواء والماء تطلق على القرآن كله وعلى بعضه وعلى أى جزء منه طال أو قصر.

مَنْ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى إِذَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ مِثْلًا «إِنَّمَا أَمَرْنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» ثُمَّ اسْتَوتَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا مَطَّاعِينَ» «اهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا».

أم من يستطيع أن يأمر السماء أن تمسك الماء والأرض أن تبلع ما يغمرها منه حتى تستوى سفينة نوح على اليابسة وينجو ركبها كما في قوله تعالى: «وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» هود: آية ٤٤.

يقول عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز حول إعجاز هذه الآية: اعتبر هذه الكلمة «ابلعي» وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ العظيمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت ثم في أن كان النداء بـ«يا» دون «أى» نحو «يا أيها الأرض» ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن

يقال «ابلعي الماء» ثم إن نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها أتبع نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ثم إن وقيل «وغيض الماء» فجاء الفعل على صيغة فَعَلَ الدَّالَّة على أنه لم يغض إلا بأمر أمر، وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: «وقضى الأمر» ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو «استوت على الجودي» ثم إضممار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظمة الشأن ثم مقابلة «قيل» في الخاتمة بـ«قيل» في الفاتحة «يعنى بداية الآية» ثم يقول الجرجاني: «أفتري لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها» (٤).

وأخيراً فإن القرآن الكريم كتاب ثبت إعجازه بأكثر من دليل، وبأكثر من طريقة. إنه معجز في نظم وفي بيانه، وفي العلوم الكثيرة التي جاء بها، وفي احتوائه على علوم الدين والدنيا، والجمع بينهما في نظام محكم، وتناسق عجيب، ولاشتماله على كل ما يصلح الحياة وينفع الناس في الدنيا والآخرة.

والقرآن معجز في شدة تأثيره في النفوس، وجذبه للقلوب، وفي إثارته للأحاسيس والوجدانات الراقية. في خطابه للبشرية جمعاء، وبتعاليمه الوسطية السمحة التي جعلت الأبيض والأسود والعربي وغير العربي يعتنقه ويتأثر به، ويحفظه عن ظهر قلب ويتكلم لغته ويمهر في سائر علومه. القرآن معجز لأنه هو الكتاب الوحيد المقروء في العالم وأنه حتى اليوم يقرأ في كل مكان، بلغته التي نزل بها «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر».

الهوامش:

١ - مختصر تفسير / ٤٩٨.

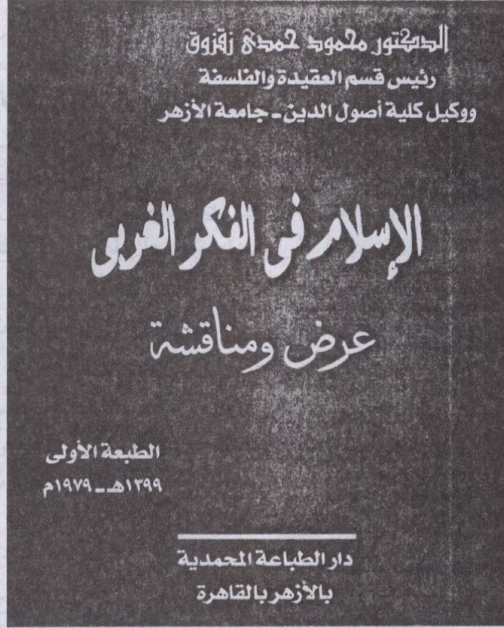
٢ - الأخفش (سعيد بن معرة البلخي. معاني القرآن تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد. بيروت عالم الكتب ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص ١٧٠ - ١٧١.

٣ - ابن عطية المحرر ١/ ١٣٨، ١٣٩.

٤ - دلائل القاهرة المكتبة المحمودية ص ٤١، ٤٢.

الإسلام في الفكر الغربي

عرض ومناقشة



وكان ضمن هيئة تحرير المجلة وقتها الأكاديمي والكاتب الشهير الدكتور رضوان السيد - الأستاذ بالجامعة اللبنانية والجامعات العربية ورئيس تحرير مجلة الاجتهاد والمستشار وعضو هيئة التحرير في العديد من المجلات الإسلامية المتخصصة وهو الذي كتب كلمة الشهر للعدد الحادي عشر من السنة الأولى والذي سنشير إليه فيما بعد.

وكان كاتب هذه السطور - منذ شبابه المبكر - مهتما بدراسة الشبهات والأباطيل التي تثار ضد الإسلام ويقوم بالرد عليها ودحضها، ويحاول أن يكون له دور في خدمة الإسلام وسد هؤلاء العمالة.

تأليف الأستاذ الدكتور

محمود حمدي زقزوق

عرض وتقديم المستشار

توفيق على وهبة

منذ أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين وأنا أتابع كتابات المفكر الإسلامي الأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق، فقد كنت أكتب في مجلات عديدة ومنها مجلة (الفكر الإسلامي) التي تصدر عن دار الفتوى في لبنان، وكان يكتب فيها وقتئذ عمالقة الفكر وعلماء الإسلام أذكر منهم أستاذنا العلامة الشيخ محمد أبو زهرة، والإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود، والأستاذ الدكتور محمد البهي، والشيخ أحمد حسن الباقوري، والشيخ طه الولى، والشيخ حسن خالد مفتى لبنان، والدكتور الشيخ صبحي الصالح، والشيخ الدكتور وهبة الزحيلي، والدكتور محمود حمدي زقزوق، والأستاذ أنور الجندى، وغيرهم كثير.

لذلك كنت أتابع عن قرب كتابات الأستاذ الدكتور العالم الوزير محمود حمدي زقزوق لدخول هذه الكتابات ضمن اهتماماتي بالكتب والمقالات التي تحض الأباطيل وترد على الشبهات التي يثيرها المستشرقون وغيرهم حول الإسلام.

وكانت كتابات عالما الكبير ذات مذاق خاص، فهو يتخير ما يقال عن الإسلام لدى علماء الغرب وخاصة في المانيا لارتباطه العلمي ببعض كبار المستشرقين حينما كان يدرس هناك لنيل درجة الدكتوراه.

وقد بدأ المؤلف يكتب بابا تحت عنوان «ما يقال عن الإسلام» في العدد الحادي عشر من السنة الأولى في رجب ١٤٩٠هـ - أيلول سبتمبر ١٩٧٠م ص ١٠٩ - ١٢٥، وتصادف أن نشر لي مقال في نفس العدد بعنوان: «العدوان الإسرائيلي على المدنيين في ضوء تعاليم الإسلام وأحكام القانون الدولي العام» ص ٦٩/٦٢.

ولقد كتبت المجلة مقدمة مهمة وضافية لمقالات الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق قالت فيها: (لدراسات الاستشراقية هزة إعجاب عند الكثيرين، لما يرون فيها من منهجية دقيقة، وغزارة في الاطلاع، وجدة في الاستنتاج، بيد أن الأمر وجهين: فالمستشرقون مهما بلغت بهم دقتهم العلمية غريبا عن هذه الأمة في دينها وحياتها ومواطن اعتزازها. وفي أعماقهم من رواسب العداوة بين الإسلام والاستعمار قديمه وحديثه ما يؤدي بهم إلى الكثير من الشطط والبعد عن مقتضى الحقيقة النزيهة.

هذه السلسلة قصد بها أن تقيم بغير تحيز ما لدراسات المستشرقين وما عليها، وكتابها د. محمود حمدي زقزوق يحمل دكتوراه في الفلسفة من جامعة «ميونيخ» وهو أستاذ الفلسفة الحديثة في جامعة الأزهر وعميد كلية أصول الدين والوزير الحالي للأوقاف.

ولثقافته الألمانية أهميتها في فهم دراسات المستشرقين الألمان، ففي حين أننا نعرف الكثير عن المستشرقين الإنجليز والفرنسيين، لا نعرف إلا بعض الأسماء الكبيرة في مجال الدراسات الاستشراقية

الألمانية مثل (ولهاوزن ونولدكه وبروكلمان)، انتهى تقديم المجلة.

ولقد كتب الدكتور اسطفان فيلد مدير المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت في ذلك الوقت وهو أحد المستشرقين الألمان معقبا على التقديم الذي كتبه مجلة الفكر الإسلامي في عددها الحادي عشر من السنة الأولى، ونشرت المجلة هذا التعقيب في عددها الرابع من السنة الثانية تحت عنوان: (على هامش ما يقال عن الإسلام) أشاد فيه بمقال الدكتور زقزوق قال فيه: (ومما يسعدني كمستشرق ألماني أن المجلة تقصد التقييم بغير تحيز ما لدراسات المستشرقين وما عليها).

ومما زاد في تفاؤلا الأسلوب العلمي الصافي الذي اتبعه الدكتور زقزوق في مقاله الأنف ذكرها، وهي مكتوبة بروح من التعاون العلمي المخلص والفهم العميق...

وقد عتب المعقب على المجلة في جملة وردت في تقديمها لمقال الدكتور زقزوق وكانت سببا في تعليقه عليها وإبداء وجهة نظره حيالها.

وبعد هذه الفقرة الاعتراضية عن تعقيب المستشرق الألماني نعود إلى موضوعنا، فبعد التقديم المهم الذي كتبه المجلة كتب الدكتور زقزوق يقول:

من أحدث الكتب التي ظهرت باللغة الألمانية في السنوات الأخيرة كتاب ضخم بعنوان (عقائد الإسلام) من تأليف (هومان اشتيجل إكر) وقد صدر هذا الكتاب في عام ١٩٦٢م عن دار النشر المعروفة باسم (فرديناند شوتنج) وفي هذا المقال نود أن نتحدث عن هذا الكتاب محددين النقاط التي سنتناولها.

ولقد أحسن الدكتور زقزوق صنعا عندما أورد تقديم المجلة ورد الدكتور اسطفان عليها في كتابه ص ٥٦/٥٢، ولم يعقب عليها حيث إن تعقيب المستشرق الألماني كان على جملة في تقديم المجلة لم ترق له وليس على مقال دكتور زقزوق بل بالعكس فقد أشاد بالمقال كما سبق أن ذكرنا.

عود إلى كتاب: الإسلام في الفكر الغربي؛

هذا الكتاب يتضمن عرض ومناقشة ثلاثة كتب

صدرت لمستشرقين تحمل وجهة نظر كاتبيها حول الإسلام، وتتضمن الكتب صورتين مختلفتين عن الإسلام في نظر الأوروبيين.

يقول المؤلف في مقدمته:

في هذا الجزء نعرض صورة الإسلام في الفكر الغربي من واقع بعض نماذج من كتابات اثنين من المستشرقين الأوروبيين، وتمثل الصورة الأولى التي نعرضها بكل موضوعية بما لها وما عليها، ونناقش مناقشة علمية ما ورد فيها من آراء تمس الإسلام وتمثل هذه الصورة القسم الأول من الكتاب.

أما الصورة الثانية التي يعرضها المؤلف في القسم الثاني فهي أيضا لأحد المفكرين الأوروبيين، ولكنها صورة مختلفة تماما وذلك لأن صاحبها يكتب من منطلق إسلامي حيث ارتضى لنفسه الإسلام ديناً بعد أن درسه واقتنع بمبادئه.

وهكذا تختلف صورة القسم الأول من الكتاب عن صورة القسم الثاني لاختلاف منطلق كل منهما.

والمؤلف إذ يعرض صورة الإسلام في الفكر الغربي بهذا الشكل فما ذلك إلا لكي نتدبر أمر ديننا، ونستخلص الدروس والعبر من الوضع الذي آل إليه أمر الإسلام والمسلمين.

وتحت عنوان بدايات ضرورية، وضع المؤلف يده على أهم أوجه القصور في مجال الدعوة الإسلامية والدفاع عن الإسلام، فشخص الداء واقترح الدواء ويرى أن ما تحتاجه الدعوة الإسلامية اليوم أمرين:

أولهما: الموضوعية: أي بناء وجهات النظر الإسلامية على أسس علمية موضوعية تتناسب مع ما جدد في العالم من تطورات. فهذا الأسلوب هو الذي يكون له أثر في نفس الإنسان المعاصر الذي أصبح لا يرضى بالأساليب الخطابية الوعظية ولكنه يريد أن يقتنع عن فهم وإدراك، يستوى في ذلك مخاطبتنا للمسلم أو مواجهتنا لغير المسلم.

والأمر الثاني: الذي يراه المؤلف د. زقزوق ضروريا يتمثل في الدفاع عن الإسلام، حيث يقول: لقد درجنا على أن نقوم بدور المدافع عن الإسلام الذي جعل مهمته منحصرة في رد الهجوم،

ولكن هذا لم يعد أمراً كافياً، فعلينا ألا نفتتح بدور المدافع - وإن كان هذا في حد ذاته مطلوب أيضاً - وإنما ينبغي أن تنتقل إلى الموقف الأقوى وهو عرض الإسلام عرضاً جديداً بأسلوب علمي يصل إلى عقل كل ذي لب في عالمنا المعاصر. وبهذا نضيق وقتنا في انتظار وترقب الهجمات لصدها. وإنما نفتتح الميدان بعرض الإسلام من جديد.

ليس العرض الخطابي العاطفي الذي يكون له تأثير وقتي سرعان ما يزول وإنما العرض المقنع الذي يستمر تأثيره ويدوم.

وأود أن أوجه نظر القارئ إلى أن هذا الكلام قيل منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، ولكن المدرك للأحداث وما يدور حولنا الآن يرى أنه تشخيص للحالة الإسلامية الآن مما يبرهن على أن المؤلف بعيد النظر يلمس واقع المسلمين في وقتنا الحاضر، وفي عصر انتشرت فيه الكتب والقنوات الفضائية والإنترنت، وقد ابتلينا باستخدام غير المسلمين هذه التكنولوجيا الحديثة لنشر شبهاتهم وأباطيلهم ضد الإسلام.

ثم تحدث المؤلف في مقدمته عن الفراغ الفكري والتيارات الهدامة، وأوضح أن الفراغ الفكري لدى الشباب يمكن التيارات المنحرفة والأفكار الضالة من غزو المجتمعات الإسلامية ومحاولتها أن تحل محل الإسلام. وعزا هذا الفراغ الفكري إلى سلبية معظم المتدينين وانعزالهم عن الحياة العصرية.

ودعا إلى التفاعل مع الحضارة الحديثة والأخذ بما لا يتعارض مع تعاليم وأحكام الإسلام. وإعادة عرض الإسلام ومبادئه عرضاً جديداً ينتقل إلى واقع المسلم المعاصر ويعيش معه حياته ومشكلاته ومتطلباته، وطالب بضرورة قيام علم كلام جديد يملأ الفراغ الفكري القائم في المجتمعات الإسلامية.

واقترح إنشاء أكاديمية للبحوث الإسلامية على مستوى العالم الإسلامي تكون بعيدة عن أية تيارات سياسية أو دعائية، ويتكون أعضاؤها من الباحثين الإسلاميين في شتى المجالات بصرف النظر عن جنسياتهم.

وبعد هذه المقدمات الضرورية يبدأ القسم الأول من الكتاب بعرض كتابين هما: عقائد الإسلام، وهو الكتاب الذى عرضه المؤلف فى مجلة الفكر الإسلامى حسب ما أشرنا فيما سبق، ولكن هذه المرة بتوسع، وبسط الأفكار الواردة به والتعليق عليها.

والكتاب الثانى هو محمد والقرآن.

أولاً: عقائد الإسلام:

وعن الكتاب الأول يدور حديث المؤلف فى نقاط محددة تناول الحديث فيها عن المؤلف ومنهجه وهدفه من كتابه كما يشير إلى الموضوعات الرئيسية التى تضمناها الكتاب ثم يذكر ما ورد فى الكتاب من جوانب إيجابية ثم يعرض بعد ذلك لنماذج من الجوانب السلبية فى الكتاب ويناقشها فى موضوعية وتجرد.

وكتاب عقائد الإسلام يتضمن قسمين رئيسيين هما الإلهيات والنبوات أما المسائل التمهيدية فيتحدث عنها المؤلف بعد المقدمة وتتعلق بالنقاط التالية: أسماء علم العقيدة الإسلامية، ووضع وبناء علوم العقيدة الإسلامية والخلفية التاريخية لهذا البناء وبعض المفاهيم الفلسفية.

ثم يأتى بعد ذلك القسم الخاص بالإلهيات وهو مقسم إلى أبواب رئيسية تتناول ما يلى:

أ - صفات الله: الصفات بوجه عام وصفات الله الوجودية والسمعية والسلبية.

ب - أفعال الله: الحرية، والقضاء والقدر، والخير والشر، وهل هناك أمور واجبة على الله؟ وهل يبتغى الله من وراء أفعاله غرضاً معيناً.

ج - أسماء الله: أى أسماء الله يجيزها العقل وأياها يجيزها الوحي؟ اسم الله والأسماء الحسنى، والمسيحة.

أما القسم الخاص بالنبوات فيتحدث فيه المؤلف عن النبوة بوجه عام وعن الأنبياء بالتفصيل ثم يتحدث عن العقيدة والخطيئة والنفس والروح، والأولياء والكرامات، والملائكة والجن وإبليس.

وبعد ذلك يتحدث عن البعث والدار الآخرة (وهنا

يفصل القول فى الموت وأحوال القبر ومصير النفس بعد السؤال حتى البعث، وعلامات الساعة، والبعث والحساب.. إلخ).

وفى نهاية الكتاب كلمة ختامية للمؤلف وفهرست للأعلام والموضوعات.

والكتاب به جوانب إيجابية وأخرى سلبية بينها الدكتور زقزوق ولمن أراد التوسع فليرجع إلى الكتاب، وتجدر الإشارة إلى أن الجوانب السلبية أكثر بكثير من الإيجابية.

ولقد تعقب المؤلف د. زقزوق ما ورد فى الكتاب من جوانب إيجابية أو سلبية ورد على ما أثير من شبهات وأباطيل.

وفى نهاية عرضه كتب تعقيباً عاماً على الكتاب

يقول فيه:

فى ختام حديثنا عن كتاب (عقائد الإسلام) لا يفوتنا أن نبدى بعض الملاحظات التى تبرز أماننا بعد هذه الدراسة:

١ - أن ما ذكره المؤلف فى مقدمة كتابه وما اشتمل عليه الكتاب من بعض جوانب إيجابية يمكن أن يجعل القارئ المسلم - وخاصة من ليس عنده أساس فى الدراسات الإسلامية - يظن أن المؤلف موضوعى حقيقة فى عرضه لعقائد الإسلام.

٢ - أن الكثيرين من الأوروبيين الذين يتعرضون للكتابة عن الإسلام هم فى أغلب الأحيان صادقون وكاذبون فى الوقت نفسه.

صادقون لأنهم يعتمدون فى الغالب على مؤلفات أخرجتها المطابع فى العالم الإسلامى، وكتب كتبها مؤلفون ينتسبون إلى الإسلام على مر العصور.

وكاذبون لأنهم يتحررون هنا من الأمانة العلمية، فليس كل ما كتب عن الإسلام هو الإسلام حتى وإن كان صادراً عن من ينتمون إلى الإسلام.

والأوروبيون المهتمون بالدراسات الإسلامية يعرفون قبل غيرهم أن ما بين أيديهم من مراجع مختلفة عن الإسلام فيه الغث والسمين، وأن الإسلام لا يتحمل وزر هذه المراجع التى يمتلئ الكثير منها بالخرافات والأوهام وتزخر

بالإسرائيليات ولكن لا يجوز لنا أن ننتظر منهم أن يخدموا الإسلام فهذه مهمتنا نحن المسلمين.

٣ - أعتقد أنه آن الأوان لأن نعيد النظر في تراثنا الفكري الإسلامى بهدف تنقيته من الشوائب حتى يكون غذاء روحيا صالحا كما أننا فى حاجة ماسة إلى عرض الإسلام من جديد عرضا علميا مستمدا من المنابع الأصلية للإسلام، وليس معتمدا فقط على المراجع الثانوية.

وبذلك نقطع السبيل على المحاولات التى تعرض للإسلام بهذه الطريقة التى اتبعها المؤلف.

هذا وقد عاد المؤلف إلى التأكيد على ضرورة تنقية كتب التراث الإسلامى عند عرضه لكتاب محمد والقرآن ص ٧٣، ٧٤ وسنعود إليها فى موضعها.

ثانياً: محمد والقرآن:

هذا هو الكتاب الثانى الذى يعرضه ويعلق عليه ويرد على شبهاته الدكتور زقزوق وقد صدر فى ألمانيا الغربية عام ١٩٥٧م وأعيد طبعه عام ١٩٦٦م بعنوان: (محمد والقرآن - تاريخ النبي العربى ودعوته) تأليف رودى بارت مستشرق ألمانى كان يعمل أستاذ علوم الاستشراق فى جامعة توبنجن بألمانيا الغربية وهو من مشاهير المستشرقين الألمان المعاصرين عكف سنوات طويلة على ترجمة القرآن الكريم ترجمة جديدة إلى اللغة الألمانية صدرت هذه الترجمة فى ألمانيا الغربية فى الفترة ما بين عامى ١٩٦٣م، ١٩٦٦م وله بحوث أخرى فى الأدب واللغة والثقافة الإسلامية والأدب الشعبى وله كتاب مترجم إلى اللغة العربية هو (الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية).

وقد اتبع الدكتور زقزوق فى عرضه لهذا الكتاب نفس المنهج الذى اتبعه مع الكتاب الأول فعرض لموضوعات الكتاب ثم بين الجوانب السلبية فى الكتاب مع التعليق عليها ثم الجوانب الإيجابية.

ولكن يبدو أن هذا الكتاب كرس كاتبه فى الجوانب السلبية وليس له من الإيجابيات إلا اعترافه على استحياء بنبوة محمد ﷺ مع أن هذا

الجانب الإيجابى يتعارض مع الجوانب السلبية التى وردت فى الكتاب وأهمها تأكيد المؤلف على التأثير اليهودى والمسيحى على الإسلام فمضمون الكتاب مقصور فى جوهره على الحديث عن التأثير اليهودى والمسيحى على نشأة أو بمعنى آخر مقصور على محاولة البرهنة على هذا التأثير بالعديد من الدعاوى، وكل فضول الكتاب تخدم هدف المؤلف فى تبعية الإسلام لليهودية والمسيحية، ويرى الكاتب أن محمدا ﷺ هو الذى كتب القرآن بنفسه بناء على ما استطاع جمعه وما تحصل عليه من معلومات مسيحية.

ويعقب الدكتور زقزوق على هذه الشبهة بقوله:

والأمر الذى يؤسف له عندما يتحدث المؤلف عن الأثر المزعوم للمسيحية على الإسلام فإنه يبنى كلامه بوجه عام لا على براهين، ولكن على تخمينات وادعاءات ومن الأمثلة على ذلك ما يقوله عن شعيرة الصلاة.

وتعليقا على ذلك يقول د. زقزوق إن الزعم بأن الإسلام أخذ من المسيحية صورة الصلاة زعم باطل مرفوض يكذبه الواقع إذ أن صورة الصلاة الإسلامية تختلف عن صورة الصلاة فى عبادة الكنيسة المسيحية، فشكل الصلاة فى الإسلام وشروط صحتها ومقدماتها من وضوء وغيره شيء فريد يتميز به الإسلام، وليس له نظير فى أى دين من الأديان، كما أن كلمة صلاة والتى يريد أن يعتمد عليها المؤلف فى ادعائه كانت معروفة فى اللغة العربية قبل الإسلام وإن كانت آنذاك تحمل معنى آخر.

ولنا أن نتساءل عن معنى هذا الإصرار العجيب من جانب بعض المستشرقين على تبعية الإسلام للمسيحية واليهودية. إن هذا له معنى واحد يتمثل فى الادعاء بأن الإسلام دين بشرى لفقّه محمد ﷺ من الديانات التى تعرف عليها.

وهذا الادعاء يقوله بعض المستشرقين بطريقة ملفوفة وغير مباشرة ويقولوه البعض الآخر بطريقة مباشرة وبأسلوب صريح.

وهكذا يمضى الدكتور زقزوق فى تتبع شبهات وأباطيل هذا المستشرق ويردها ويدحض باطلها . ويعود الدكتور زقزوق للتأكيد على مسألة تنقية كتب التراث لأن المستشرقين وغيرهم يستغلون وجود بعض الآراء المنحرفة أو المدسوسة أو الموضوعية داخل كتب التراث الإسلامى ويبنون عليها شبهاتهم وأباطيلهم فيقول ص ٧٣: ولا يفوتنا هنا أن نطالب بعمل إيجابى حيال تراثنا الدينى وذلك بالعمل على تنقيته مما علق به من شوائب على مر الأيام إذ أن كثيرا من قدامى مؤلفينا قد اعتمدوا على النقل من بعضهم بدون نقد أو فحص لما ينقلون، وقد تسرب إلى كتب تراثنا الكثير من الآراء الدخيلة الباطلة والإسرائيليات، ولابد لنا أن نقوم بتطهير تراثنا - عندما نقوم بتحقيقه ونشره - من كل الشوائب حتى يكون غذاء فكريا صالحا يستمد منه المسلم المعاصر أسباب القوة.

وتنقية التراث تكون إما بحذف الجوانب السلبية أو إبقائها والتعليق عليها بما يبين وجه الصواب حتى لا يختلط أمام القارئ الغث بالسمين، والنافع بالضرار، ويتعذر عليه معرفة الصواب، فنحن بذلك نقطع خط الرجعة على كل من تسول له نفسه الطعن أو النيل من الإسلام أو من نبيه مستغلا هذا الركاب من الشوائب والسلبات والإسرائيليات التى تزخر بها كثير من كتب التراث.

مشروع تنقية التراث:

لقد بدأت أنا وصديقى الأستاذ الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح - الأستاذ بجامعة الأزهر والجامعات العربية - مشروعا لتنقية كتب التراث، وقد استخدمنا كلا الفريقين اللذين أشار إليهما الدكتور الوزير محمود حمدي زقزوق، فما وجدناه لا يستقيم العمل إلا بحذفه حذفناه، وأما ما يمكن إبقاءه والتعليق عليه فقد أبقيناه مع بيان وجه الصواب فيه وقد صدر من هذا المشروع اثنا عشر كتابا حتى الآن، وهناك ثمانية كتب تحت الطبع وجار العمل فى تحقيق كتب أخرى ونسأل الله العون والتوفيق.

كلمة أخيرة حول كتاب محمد والقرآن:

تحت هذا العنوان يقول الدكتور زقزوق: إذا سألنا أنفسنا فى نهاية هذه الدراسة ما الفكرة التى يمكن أن يكونها الأوروبى لنفسه عن الإسلام بعد فراغه من قراءة كتاب (محمد والقرآن)؟

فإن الإجابة على هذا السؤال تتخلص فى عبارة قصيرة هى:

الإسلام دين مأخوذ من اليهودية والمسيحية، وقد استقى محمد معلوماته الإسلامية من اتباع هذين الدينين وخيل إليه أنه رسول من عند الله، فاستعاد ما سبق أن عرفه وجمعه ثم كتب ذلك بلسان عربى مبين على أنه قرآن موحى به إليه من عند الله.

وإذا كان المؤلف - يمثل هذه الآراء - يريد أن يقول لنا رأيا شخصيا له فلا نستطيع أن نقف فى طريقه - كما يقول د. زقزوق - ولكن الذى لا نستطيع أن نقره عليه هو محاولة وضع هذا رأى الشخصى على أنه (معرفة علمية موضوعية) وذلك عن طريق بعض الدعاوى والاستنتاجات التى لا ترقى بأية حال إلى درجة المعارف المعتمدة. وإن استنتاجاته لا تستطيع أن تثبت أمام النقد.

ويرى أن الحاجة أصبحت ملحة إلى أن يقوم علماء المسلمين أنفسهم بعرض عقيدة الإسلام بكل اللغات الأجنبية الحية وبأسلوب علمى موضوعى حتى نتيح للقراء فى البلاد الناطقة بتلك اللغات فرصة الاطلاع على الإسلام فى صفائه ونقائه بعيدا عن الأهواء والأغراض التى تشوب الدراسات الاستشراقية. وفى الوقت نفسه نحمى المسلمين الذين يعيشون فى تلك البلاد من الوقوع تحت تأثير تلك الدراسات الاستشراقية عن الإسلام.

القسم الثانى: خصص المؤلف القسم الثانى من كتابه (الإسلام فى الفكر الغربى) لعرض وجهة النظر الأخرى وهى لمستشرق ارتضى الإسلام ديناً والكتاب عبارة عن إجابة على مجموعة من الأسئلة التى وجهت إلى المؤلف وإلى فريق آخر من المختصين فى الأديان المختلفة.

والكتاب بعنوان (إجابة الأديان) وقد صدرت فى

ألمانيا الغربية عام ١٩٧١م طبعته الثانية وهو إجابة على واحد وثلاثين سؤالاً تتعلق بالموضوعات التالية: العالم والإنسان، علاقة الأديان بعضها مع بعض، الدين والإنسانية، الدين والمجتمع، والأديان التي أجاب المختصون فيها عن هذه الأسئلة هي حسب الترتيب الوارد في الكتاب اليهودية - والكاثوليكية والبروتستانتية والإسلام والهندوسية والبوذية.

صاحب فكرة الكتاب:

قام بإعداد الأسئلة وإخراج الكتاب الدكتور جرهارد تشينى. وهو لا ينتمى إلى أى دين من تلك الأديان أو غيرها ولكنه يقول أنه مقتنع بأن الإنسان متدين بطبيعته وأنه كائن حى لن يكف عن توجيه أسئلة لا يمكن الإجابة عليها إلا عن طريق عقيدة دينية.

وهدف تشينى من أسئلته التى وضعها فى كتابه هو (أولاً أن يطلع الفرد بدقة أكثر على الإمكانيات المختلفة للعقيدة الدينية)، وثانياً: أن يتضح له أنه توجد هناك أيضاً خلف التعاليم اللاهوتية المعقدة مشكلات تتعلق بكل فرد منا.

ويأمل تشينى فى أن يستطيع كتابه (إجابة الأديان) أن يجعل قراءه أكثر تفهماً للأديان الأخرى وللدين بصفة عامة.

وقد قام بالرد على الأسئلة المطروحة من وجهة النظر الإسلامية الأستاذ محمد أسد وقد ولد فى النمسا عام ١٩٠٠ وكان اسمه ليوبولد فايس وقد اعتنق الإسلام عام ١٩٢٦م بعد أن قام بجولة فى أنحاء العالم الإسلامى مراسلاً لبعض أمهات الصحف الأوروبية من عام ١٩٢٢م إلى ١٩٢٦م وأبدى اهتماماً بنظام الحياة فى مجتمعات تلك البلاد، ووجد أن النظرة إلى الحياة فيها تختلف اختلافاً أساسياً عن النظرة الأوروبية للحياة، فقاده ذلك إلى البحث فى تعاليم الإسلام.

ولقد سعى محمد أسد بكل طاقاته لدراسة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، ودرس اللغة العربية وتاريخ الإسلام. وخرج محمد أسد من دراساته المستفيضة ومقارناته العميقة لوجهات

النظر الدينية والاجتماعية السائدة فى العالم الإسلامى بعقيدة راسخة بأن الإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لا يزال بالرغم من جميع العقبات التى خلفها تأخر المسلمين - أعظم قوة نهضة بالهمم عرفها البشر. وهكذا تجمعت رغباته كلها منذ ذلك الحين حول مسألة بعث الإسلام من جديد.

ولقد أجاب المفكر الأستاذ محمد أسد على واحد وثلاثين سؤالاً تتضمن عدة موضوعات مهمة هى:

- ١ - العالم والإنسان.
- ٢ - علاقة الأديان بعضها مع بعض.
- ٣ - الدين والإنسانية.
- ٤ - الدين والمجتمع.

وقد قام المؤلف د. زقزوق بترجمة الأسئلة التى أعدها تشينى وكذا ترجمة إجابات محمد أسد عليها.

وبعد:

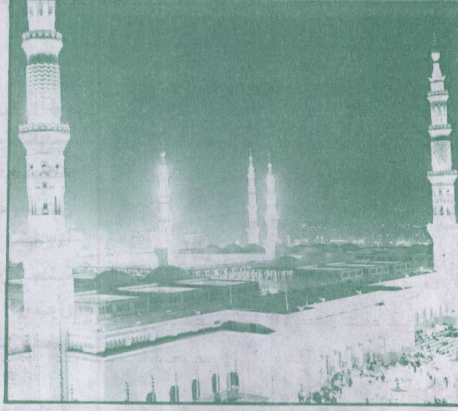
فهذا عرض موجز للخطوط الرئيسية للكتاب يتبين منها مدى أهميته للقارئ المسلم وغير المسلم. بل وتزداد أهميته للمتحدثين بغير العربية.

ونظراً لأن الطبعة التى قمنا بتقديمها وعرض أهم ما اشتملت عليه قد صدرت عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، أى منذ ما يزيد على ربع قرن، لذلك فإننى أرى أن يعاد طبع هذا الكتاب هو وأى كتب أخرى للمؤلف على منواله ضمن سلاسل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لتعم الاستفادة منه جمهور القراء المتعطش لمثل هذه الردود ليكونوا على بينة بما يقال عن دينهم ونبيهم وقرآنهم وكيفية مواجهة مثل هذه الأباطيل والشبهات.

كما أرى أن يترجم إلى اللغات الأجنبية وخاصة الألمانية التى صدرت بها الكتب المشار إليها فهم أحوالهم من غيرهم إلى هذه الدراسة.

والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل.

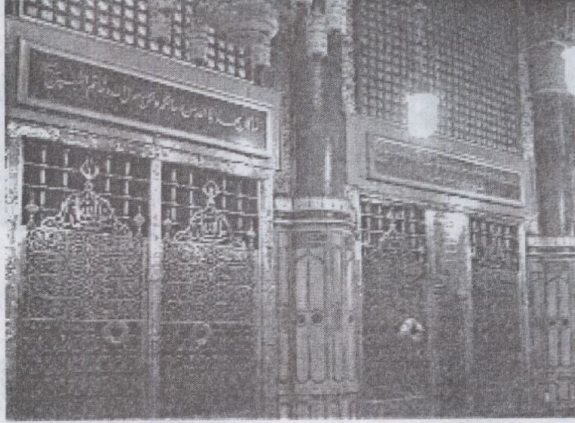
فى رحاب ذكرى المولد النبوى الشريف



- النبى ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم
- من وحي المولد النبوى الشريف
- ذكرى المولد النبوى الشريف بين الإفراط والتفريط
- دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ
- من مـواقف رسول الله ﷺ
- مع صاحب الخلق العظيم فى ذكرى مولده ﷺ
- خواطر فى ذكرى مولد الحبيب ﷺ
- الرسوم المسيئة للرسول ﷺ بين حرية التعبير واحترام المقدسات

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم

أ.د. أحمد عمر هاشم



وعلى يديه تمت المكارم فعاش العالم في ظل أيامه الوارفة وقد وجد الحق الذي افتقده والعدل الذي غاب عنه، والفضائل التي دقت تحت وطأة الظلام فاستعادت الحياة رشدًا وبقينها وبدأت في ظل إيمانها، وما أفاء عليها من سعادة وإشراق ترى الوجود بمنظار مبين على هدى خاتم النبيين - صلوات الله وسلامه عليه - والله أعلم حيث يجعل رسالته وصدق الله إذ يقول: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً﴾ الأحزاب: آية ٤٠.

ومن فضل الله ورعايته للرسول ﷺ أن منحه خصائص تميزت بها شخصيته الكاملة وتمتعت على ضوئها حياة الناس ونعم الجو الإسلامي بما ساد فيه من دفء الإيمان، وراحة اليقين وقد أبرز هذه الخصائص في حديثه الشريف عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الفنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون».

وهكذا تطالعنا آيات القرآن والسنة الشريفة على مكانة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - عند ربه سبحانه وتعالى

إن الحديث عن الأخلاق في ذروتها، وفي القدوة الحسنة فيها هو حديث عن الرسول ﷺ فيما يتصل بسلوكه وخلال له وأفعاله وأقواله، والحديث عن الأخلاق في رحاب السنة هو بيان لما جاء في القرآن الكريم، لأن السنة مبيّنة للقرآن وقد كان خلق الرسول ﷺ القرآن، لذا رأينا أن نلقى بعض الضوء على خلق سيدنا محمد ﷺ: أولاً: فيما يتعلق برحمته وعطفه على أمته وسلوكه الأخلاقي.

ثانياً: فيما يتعلق بدعوته إلى الأخلاق، وما أبرزته أحاديثه الشريفة من قيم ومبادئ يجب التمسك بها فقد اقتضت مشيئة الحق أن تلقى السماء بالأمانة الإلهية، وأن تختم الرسالات بآخر رسول يكون خاتم النبيين يتمم مكارم الأخلاق، وتخرج بالبشر من بين أسوار ليل متجههم وجهالة مطبقة ووثنية محدقة إلى واحة فجر مترعر ريان، يجتث من طريقه جذور الرذيلة ويوزع على صفائه كل فضائل الخير، فيعطر الوجود عبيره ويمتدح الحياة رشده ويخرج الناس من الظلمات إلى النور وصدق الله إذ يقول: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» التوبة: آية ١٢٨.

كان حبكم لرسول الله ﷺ فقال: كان رسول الله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا، وآبائنا وأمهاتنا وأحب إلينا من الماء البارد على الظمأ.

إذا فالله تعالى قد أفاض علينا من الآداب الإلهية تجاهه سبحانه وتجاه رسوله - عليه الصلاة والسلام - ما يمهّد لنا طريق الخير، ويذل أمام مسيرة الحياة كل عسير، إذا ما أتبعناها، واعتصمنا بما تتضمنه تلك

المبادئ من قيم سلوكية وروحية يحتضنها صدق الحب، وترجمها أفعالنا فتفيض الحياة بالنور وتجيش العواطف بالمودة وفي مناخ الحب الإلهي العاطر يصيب الإنسان حلالة الإيمان ويندق السعادة الحقّة كما يقول الرسول ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلالة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعبد في الكفر بعد أن أنقذه الله منه

كما يكره أن يقذف في النار».

أما مكانة هذا الحب فهي المكانة الأولى، حيث لا يتقدم على حب الله ورسوله شيء وإلا فقد اهتز الإيمان ونقص وفي الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين، وفي الصحيح كذلك: أن سيدنا عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله والله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي فقال ﷺ: لا ياعمر حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال: يا رسول الله والله لأنت أحب إليّ من كل شيء حتى نفسي، فقال ﷺ: «الآن يا عمر» وهنا قد صدق الإيمان واكتملت معالمه وأشرقت دلائله في النفس المؤمنة.

ولقد بلغت محبتهم من الصدق والعمق ما

كما تطالعنا الآيات بفيض غامر من الآداب الإلهية التي أوجب الله علينا أن نلتزم بها تجاه رسوله فتعرف له مكانته الشريفة، والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ النور: آية ٦٣، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الحجرات: آية ١، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ

فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ الحجرات: آية ٢.

وفرض الله تعالى طاعة رسوله وقرنها بطاعته سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ آل عمران: آية ٣٢، ﴿مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء: آية ٨٠.

وبين سبحانه ثمرة هذه الطاعة: وهي أنها سبيل إلى

الهداية وسبيل إلى الرحمة ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ النور: آية ٥٤، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ آل عمران: آية ١٣٢.

وأوجب سبحانه على المؤمنين - بجوار هذه الطاعة - أن يكون الله ورسوله أحب إليهم من كل عزيز وغال في الحياة قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة: آية ٢٤.

وقد استجاب أصحاب الرسول ﷺ لدعوة ربهم، فغردت حياتهم بالحب وتهللت أيامهم بهدى الله ورسوله سئل الإمام علي بن أبي طالب: كيف

بعثة النبي ﷺ استعادت الحياة رشدها وبقينها وبدأت ترى الوجود بمنظار مبين على هدى خاتم المرسلين

جعلهم يقدرونه حق قدره ويجلونه الإجلال كله مما يضاف على قلوبهم مهابته قال عمرو بن العاص فيما أخرجه مسلم: «ما كان أحد أحب إلى من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له حتى لو قيل لي: صفة ما استطعت أن أصفه».

وقد فاقت محبتهم له محبتهم لأنفسهم، فنذروا أرواحهم لفدائه حيث رأوا فيه الرحمة الشاملة للعالمين، والنور الإلهي الذي هدى الله به الخليقة الإنسانية إلى حياة الإيمان والاطمئنان.

روى البيهقي عن عروة قال: لما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه وكان قد أسر يوم الرجيع - قال له أبو سفيان ابن حرب، وهو يومئذ مشرك: أنشدك بالله يا زيد: أحب أن محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب أن

محمدا في مكانه الذي هو فيه مقيم تصيبه الشوكة، وإنني جالس في أهلي فقال أبو سفيان: ما رأيت أحدا من الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا، تلك هي مكانة الرسول ﷺ عند الله وعند الناس، أما منزلته بالنسبة للأنبياء فهو من أولى العزم من الرسل بل هو أولهم في الرتبة العلية، والدرجة السنية، ولذا قدمه سبحانه عليهم في الذكر حين نوه بشأن أولى العزم منهم فبين أنه أخذ عليهم العهد والميثاق بتبليغ الرسالة، والدعوة إلى الدين قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمَنْكَرَ نُوْحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما﴾ الأحزاب: الآيتان ٧، ٨.

وقد نص من بينهم على هؤلاء الخمسة لأنهم أولو العزم وهو من عطف الخاص على العام فبدأ بخاتم الأنبياء ﷺ لشرفه ثم رتبهم حسب وجودهم - صلوات الله وسلامه عليهم - وهذا «العهد» يعنى إقامة الدين وتبليغ الرسالة والتعاون كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران: آية ٨١.

وصرح القرآن الكريم بذكرهم وبالصيغة التي أخذ عليهم الميثاق بها في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الشورى: آية ١٣.

ولما كانت مكانة الرسول ﷺ في هذه الدرجة من السمو والرفعة عند الله وعند الناس وعند الأنبياء فقد أعطيت أمته من الفضل ما يتواءم مع هذه المكانة السامية فهو أولى بهم من أنفسهم مطلقا ففي كل أمر من أمور الدين وفي كل أمر من أمور الدنيا هو أولى بهم كما يشهد بهذا الإطلاق قوله تعالى: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، لهذا كان أحب إليهم من أنفسهم - وقد روى الترمذي في سبب نزول هذه الآية أنه - عليه الصلاة والسلام - أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال أناس: نستأذن أباءنا وأمهاقتنا، فنزلت الآية، وهو لهم في أمور دينهم بمنزلة الأب فإن كل نبي أب لأمته من حيث أنه أصل فيما به الحياة الأبدية ولهذا كان المؤمنون إخوة قال - عليه الصلاة والسلام: «أنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله - عز وجل - فأياكم ما ترك ديننا أو ضيعة

**أوجب - سبحانه
وتعالى - على المؤمنين
أن يكون الله ورسوله
أحب إليهم من كل
عزيز وغال في الحياة**

فادعوني فأنا وليه وأيكم ما ترك مالا فليؤثر بماله عصبته من كان».

وولاية الرسول ﷺ لا تقف عند حدود الدنيا وإنما تمتد شفقتة بأتمته ورحمته بها إلى يوم القيامة حيث الشفاعة لأتمته قال ﷺ: «لكل نبي دعوة دعاها لأتمته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة».

إنه حقا لأولى بالمؤمنين من أنفسهم، فقد بلغ من شفقتة بهم كمالها ومنتهاها وعنى بالنظر فى مصالحهم المهمة فأخر دعوته إلى أهم أوقات الحاجات.. فلكل نبي دعوة متيقنة الإجابة ولكنه لا يتعجل دعوته فى الدنيا بل يدخرها ليوم تشخص فيه الأبصار، بل إنه - صلوات الله وسلامه عليه - لا يكتفى بادخار دعوته التى يحدوها اليقين المطلق بالإجابة حتى يطمئن يقينه فى الدنيا ويرتاح قلبه الكبير فيبلغ مرفأ البشارة بالرحمة ويختلج فؤاده بالرأفة بأتمته وتفيض دموعه الناضرة الشريفة رافعا كفيه ضارعا إلى ربه: «اللهم أمتى أمتى» حتى يستجيب له ربه السميع العليم فيبلغه البشارة ويطمئن بالرضا. إنه حقا بالمؤمنين رؤوف رحيم، عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبی ﷺ تلا قول الله - عز وجل - فى إبراهيم «رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فإنه منى» إبراهيم: آية ٣٦، وقال عيسى ﷺ: «إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» المائدة: آية ١١٨، فرفع يده وقال اللهم أمتى أمتى ويكى، فقال الله - عز وجل -: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل ﷺ فسله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك» رواه مسلم.

وكل هذا العطاء الذى تمنحه رحمة الله الواسعة لهذه الأمة منوط بواجبات تؤديها وتقوم عليها فإن استجاب واستقامت على الجادة

ضوعف لها الجزاء الأوفى وارتفعت مكانتها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وليس غريبا أن نرى أصحاب رسول الله ﷺ قد هاموا به وامتزجت أرواحهم بحبه وهذا نموذج من نماذج أصحاب الرسول ﷺ تدفعه عواطفه الجياشة ليقف على مكانته من نبيه وحبيبه حتى يطمئن إنه «ثوبان» مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب له قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف فى وجهه الحزن فقال له: يا ثوبان ما غير لونك؟ فقال: يا رسول الله: ما بى ضر ولا وجع غير إنى إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك لأنى عرفت أنك ترفع مع النبيين وإنى إن دخلت الجنة كنت فى منزلة هى أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل فذلك حين لا أراك أبدا فأنزل الله قوله: «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا» ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما» النساء: الآيات ٦٩، ٧٠.

وإذا ما تبينت لنا مكانة رسولنا - عليه الصلاة والسلام - عند ربه الكبير المتعال، ومنزلته بين أنبياء الله ورسله وتبينت لنا مكانته فى أتمته وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم كان علينا ألا نحيد عن هداه فلا نقدم على أمر من الأمور دون أن نتقيد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم» الحجرات: آية ١.

وكما كان هذا الأدب مع الرسول ﷺ فى حياته فلا بد من استمراره كذلك من بعدها وهذا واضح فى الوقوف على حدود سنته الشريفة فلا نتقدم عليها ولا نحيد عنها «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» الحشر: آية ٧.

من وحي المولد النبوي الشريف



فضيلة الشيخ: محمد عبد المجيد زيدان

ولد المصطفى ﷺ في شهر ربيع الأول من عام الفيل فكانت ولادته بشير خير ومطلع هداية ومشرق نور.

لقد كانت قافلة الحياة قبل ولادته جائرة السبيل، حائرة الدليل. فجزيرة العرب كانت تموج بالفتن والفوضى، يبطش القوي بالضعيف ويستعيد الغنى الفقير، وتعصف العصبية العمياء بالقيم الإنسانية فتمزق الروابط وتقطع الصلات، وكان الجمود الفكري يعطل العقل من النظر في حقائق الأمور، وكان الفرس والرومان يتحكمون في مصائر العرب، يبتزون أموالهم ويستنزفون دماءهم، ويضربون بعضهم ببعض جريا وراء القاعدة الاستعمارية التي تقول «فرق تسد» فكان العرب أشتاتا لا تجمع بينهم عقيدة صحيحة، ولا تؤلف بينهم كلمة جامعة.

فكان من رحمة الله بهم هذا النبي الخاتم وصدق الله العظيم الذي قال في شأن نبيه الرحيم «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» ذلك لأن الرحمة هي الهدف الأسمى والغاية العظمى من رسالته حيث إنها تمثل أرقى درجات السمو الأخلاقي الإنساني لأن هذا السلوك مرتبط بالتسامح والحب لكل الكائنات حيث لا يمكن لمن تعلق بهذا الخلق أن يكون ظالماً أو متعصباً أو حقوداً أو متطرفاً في فكره أو سلوكه.

لقد جاء ﷺ فحدد للإنسانية طريق الحق، وقادها نحو ربها بنظام شرعه الله - تبارك وتعالى - وكان ﷺ في نفسه صورة حية لنظام الإسلام، وقدوة طيبة لأتباعه المؤمنين، فلقد أرسى الدعائم والأسس التي تربي الفضيلة وتمحو الرذيلة، وتصور المجتمع من كل دنس ورجس.

لقد كان أفضل الناس تسامحا، وأوسعهم احتمالا، حتى إن

وعن أبي عبد الله البجلي قال: سألت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله ﷺ فقالت «كان خلقه القرآن يحل حلاله ويحرم حرامه» وفي رواية قال: «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح».

إنه بحق رحمة الله المهداة ونعمته المسداة امتن الله به على هذا العالم ليمسح آلامه ويخفف أحزانه ويأخذ بيد الضعيف فهو القائل «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وهو القائل «من لا يرحم لا يرحم» وصدق الله العظيم حيث قال في شأنه «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين يوفي بوعدهم» (التوبة ١٢٨). حقاً من كانت

هذه صفته كانت رحمته عامة دون تمييز أو مجاملة بعض دون بعض وصدق الله العظيم حيث يقول: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (الأنبياء ١٠٧) وصدق ﷺ حيث يقول: «إنما أنا رحمة مهداة» فرحمته ﷺ لم تقتصر على المسلمين إنما عمت كل من تعامل معه ورسالته رحمة لكل من آمن به كما نشر الخير لكل الإنسانية فالقرآن رحمة لكل الناس وكذلك السنة الشريفة رحمة لكل الناس فرحمته عامة للإنس والجن.

فمن مظاهر عموم رحمته أنه لم يدع على قومه مع شدة إيذائهم له وتعنتهم معه بل عدل عن الدعاء عليهم إلى الدعاء لهم فقال: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» فالتمس لهم العذر فأى رحمة بعد هذا؟

السيدة عائشة - رضي الله عنها - لتقول: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط - لا عبداً ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه شيء فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل» (رواه مسلم). كما ورد أيضاً أنها قالت: «ما خير

رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل» (متفق عليه).

لقد كان الأسوة الحسنة والقُدوة الطيبة في أخلاقه العالية وأدبه الراقى. يقول قيس بن سعد رضي الله عنه: «زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد أبي رداً خفياً فقلت لأبي: ألا تأذن

لرسول الله ﷺ. فقال: ذره حتى يكثر علينا من السلام فقال ﷺ: ورحمة الله ثم رجع فأتبعه سعد فقال: يا رسول الله «إني كنت أسمع تسليمك وأرد عليك رداً خفياً لتكثر علينا من السلام. فأنصرف معه النبي ﷺ وأمر سعداً بغسل فاغتسل ثم ناوله ملحفة مصبوغة بزعفران فاشتعل بها ثم رفع يديه وهو يقول: «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد» فلما أراد الانصراف أحضر له حماراً وقال يا قيس اصحب رسول الله ﷺ فصحبته فقال ﷺ: اركب معي فأبيت فقال ﷺ: «إما أن تركب وإما أن تتصرف».

ويقول خادمه أنس رضي الله عنه: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لي لشيء صنعته لم صنعت؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟

الرحمة هي الهدف الأسمى والغاية العظمى لرسالته لأنها تمثل أرقى درجات السمو الأخلاقي

لقد كان النبي ﷺ أمة في إنسانيته لأنه منهم يشعر بالأمهم وآمالهم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف ١١٠).

لقد كان كريماً مع كل الناس حتى مع أعدائه فقد دعا لأهل الطائف على الرغم من سوء معاملتهم له وإيذائه وعفا عن أهل مكة على الرغم من إيذائهم له ولأصحابه وتأمروهم على قتله.

لقد حرر العبيد ودعا إلى تحرير العقل من قيود التقليد ودعا إلى المساواة وتوحيد الكلمة وسلامة النوع البشري وحق الأولاد في الحياة والاعتراف بإنسانية المرأة والاعتصام بمكارم الأخلاق وتحسين المعاملة حتى مع الحيوان فعندما رأى

أناسا يستندون على دوابهم ويتسامرون نهامهم عن ذلك وقال: «ما كانت هذه لتتخذ كراسي اركبوها صحاحا وكلوها سمانا» (صحيح ابن حبان).

إن إنسانيته ﷺ تجعل كل إنسان يقف أمام مبادئه وتوجيهاته وأخلاقه وسلوكه معلنا رحمة هذا النبي حيث شملت الإنسان والحيوان في جميع الحالات فاستمع إلى قوله الشريف: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة..» ويقول ﷺ: «والذي تقسى بيده لو كانت دجاجة ما صبرتها» أي ما عذبتها ولم أذبحها للتمثيل بها.

لقد جمع رسول الله ﷺ بين أناقة المظهر وأناقة الكلمة وأناقة الحركة وأناقة السلوك يبدأ

من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه أو أثره بالوسادة التي تحته فشهد له قومه قبل بعثته ولقبوه لما عرفوه بالصادق الأمين ووصفته السيدة خديجة عندما رجع إليها خائفا في أول نزول الوحي فقالت: «لا تخف يا بن العم إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتمنن على نوائب الحق والله لا يخزيك أبدا».

أمر بالإحسان إلى الجار حتى وإن جار ودعا إلى صلة الرحم ولم تقتصر دعوته لصلة الرحم على الإحسان بالإحسان فهذه ليست بصلة إنما هي مكافأة على جميل قدم إليه وإنما الصلة التقرب إلى الله وهذا الأمر يحتاج إلى مجاهدة النفس لأن الأجر على قدر المشقة ولهذا يقول لنا رسولنا الكريم والمربي العظيم «ليس الواصل بالمكافئ».

إن سيرته ﷺ ورسالته العظيمة تثيران لنا الطريق لمواجهة تحديات العصر ولتحقيق طموحاتنا إلى مستقبل أفضل فقد جمع ﷺ بين نبوته وإنسانيته فجاءت سيرته العطرة زاخرة بالأسوة الحسنة والقُدوة الطيبة في العمل والمثابرة والعزم والتصميم وقوة الإرادة فقد كان ﷺ في نفسه صورة حية لنظام الإسلام فلم يكتف بتبليغ كلمات الله إلى الناس وإنما كانت سيرته وأفعاله تفسيراً حياً وتجسيدا أميناً للرسالة التي جاء بها وأمر بتبليغها. لذا لا نعجب حين نقرأ للمهاثمة غاندي قوله حول رسول الله ﷺ: «أردت أن أعرف صفات هذا الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر. لقد أصبحت مقتنعا كل القناعة أن

كانت سيرة الرسول زاخرة بالأسوة الحسنة والقُدوة فجاءت تفسيراً حياً وتجسيدا أميناً لرسالته

السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته. بل كان ذلك من خلال بساطة هذا الرسول مع دقته وصدقته في الوعود وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته..».

ويقول شير النمساوي: «إن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد إليها».

ولو ذكرت أقوالهم في رسول الله ﷺ لما اتسع لى وللقارئ الكريم المقام.

ومع تداعى الأحداث وتحت ما يسمى بحرية التعبير قامت صحيفة دنماركية وأتبعها كثير من صحف الغرب بنشر صور بذيئة مسيئة لرسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وهذه الصور الهزلية ما هي إلا حلقة من حلقات الإساءة

للإسلام والمسلمين التي تتغذى بها وسائل الإعلام الغربية منذ سقوط الاتحاد السوفيتي واتخاذ الإسلام كعدو بديل.

إن هذه الرسوم القبيحة التي نشرت في صحف الغرب عبرت عن جهل فاضح وتعصب مقبوت وتتكسر لكل مبادئ العصر وقيمه وآدابه وفي يقيني أن هناك عدة عوامل أسهمت في نشر العداء للإسلام منها على سبيل المثال لا الحصر المحافظون الجدد في أمريكا الذين أشعلوا نار العداء للعرب والمسلمين سواء باقتحام حياة المسلمين الخاصة أم بالجرائم التي ترتكب في سجونهم على يد جنودهم في العراق وأفغانستان مما ضاعف من حالة الغضب بين المسلمين ومن الكراهية لأمريكا والغرب كما أن فشل النموذج الأوروبي في احتواء

الوافدين الجدد من العرب والمسلمين سياسيا وثقافيا حيث لم يبذلوا أى جهد في التعرف على معتقداتهم وثقافتهم وفرضوا عليهم حالة من العزلة مما ترتب عليه غياب الحوار البناء بين هؤلاء الوافدين وأصحاب البلاد ولذلك تعجب رئيس تحرير الصحيفة الدنماركية من رد الفعل الغاضب للمسلمين من نشر هذه

الرسوم القبيحة لأنه يجهل مكانة الرسول الكريم ﷺ في قلب كل مسلم فغياب هذا الحوار وعلاقة الود والاحترام كل ذلك أدى إلى هذه النتيجة المفزعة البعيدة كل البعد عن حرية الصحافة التي يجب أن تمارس من خلال الإحساس بالمسؤولية.

إننا - نحن المسلمين - ندعو لفتح النوافذ وتعزيز الحوار المتبادل لأن الحوار والتفاهم والتعايش هو الأسلوب الأمثل بين بنى البشر.

نحن مع حرية التعبير وضد الإساءة للأنبياء والمقدسات. حرية التعبير لاتعنى إطلاق صفات سلبية مطلقة على نبي من الأنبياء ولا على التابعين له لأن هذه الصفات السلبية المطلقة حين يدمغ بها شعب وأصحاب دين فهي من قبيل العنصرية.

وإن الوثائق الدولية لحقوق الإنسان تحرم الإساءة إلى الغير وإلى الأديان بشكل عام باعتبارها حقاً مهماً وجوهرياً من حقوق الإنسان وإن المبدأ الرئيسى الذى أقرته الحضارة الأوروبية وقامت عليه الديمقراطية هو (إن حريتى تقف عند حدود حريتك).

نشر الصور المسيئة للسيد محمد ﷺ حلقة من حلقات الإساءة للإسلام التي يتغذى بها الإعلام الغربى

يستطيعوا في عصر لا يعرف إلا القوة طريقا للحياة الكريمة إعداد قوة الردع كغيرهم من أعدائهم وكما أمرهم ربهم في قوله «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم» (سورة الأنفال آية ٦٠).

إن الترويج المنظم لنظرية العدو المسلم تقف وراءه القوى المناصرة لإسرائيل لذا فإن التعريف بالإسلام أصبح يحتاج أن يخرج عن دائرة النخبة وحدها وينتقل إلى دوائر الرأي العام في المعاهد والجامعات ومنتديات الأحزاب السياسية والجمعيات الثقافية بتنظيم وتمويل وتحرك شامل يخاطب العقل العربي ولا يترك الساحة

مباحة إما لتأثير الجهل بالإسلام أو للسعي لتصويره بأنه هو العدو البديل، فالدعوات الإسلامية بالانفتاح على الغرب وتفعيل الحوار تجد - للأسف - من يطالب داخل دول الغرب بالانغلاق ويرفض الحوار في إصرار غريب على اللامبالاة والجهل المتعمد بثقافة الآخر ورموزه وعلمائه الذين أثروا التاريخ الإنساني منذ الأزل.

وإن مدارسنا وكتبنا وجامعاتنا تدعونا إلى التعرف على رموزهم وعلمائهم ومفكرهم ولكن مدارسهم تدعوهم إلى العكس أو إن شئت فقل الجهل، فعلى من تقع المسؤولية علينا أم عليهم؟

تناقض واختلاف معايير الحكم

إن أية محاولة للتشكيك في الأرقام التي ذكرت حول ضحايا معسكرات النازية أو نقد سياسة إسرائيل الاستيطانية أو السخرية حتى ولو كانت

كما أن مبدأ حرية الرأي والتعبير لا يسمح بانتهاك الخصوصية والحرية الشخصية للأفراد ويعاقب عليها فما بالكم بانتهاك الحرية والخصوصية لأكثر من مليار مسلم.

إن حرية الإنسان قيمة عظيمة لكنها ليست أعظم القيم فالعدل أسمى من الحرية والحرية لم

تكن أبدا مطلقة فالقانون أسمى من الفوضى فلا توجد حرية في الاعتداء على الآخرين في مشاعرهم ومقدساتهم. ولكن الموقف لخصه الكاتب البريطاني روبرت فيسك في قوله المنصف «لو أن الرسوم المسيئة لنبي الإسلام كانت لحاخام يهودي يرتدى القلنسوة معبأة بالقنابل لقامت الدنيا ولم تقعد ولصكت الأذان من صخب الادعاء بمعاداة السامية».

نعم ، فقد حكم على المؤرخ البريطاني الذي أنكر الهولوكست بالسجن ثلاث سنوات عن طريق محكمة نمساوية حيث إن نقي الهولوكست يعتبر جريمة حسب القانون النمساوي تصل عقوبتها القصوى إلى السجن عشرة أعوام.

لقد بلغ الأمر مرحلة تتطلب تحركا دوليا منظما ومدروسا لإعادة التوازن المفقود في منظومة حقوق الإنسان وإنهاء الجدل المفتعل بين احترام حرية التعبير من جانب وضرورة الامتناع عن الإساءة إلى المشاعر الدينية من جانب آخر حيث قد قلبت الموازين فأصبحت إهانة المقدسات الدينية حرية رأي وإبداعا فنيا وأصبح رد الفعل المسلم الغاضب غوغاء وهمجية وتخلفا ورجعية فيا لها من مغالطة فجة ترجع في الأساس إلى استسلام المسلمين لفاهيم مغلوطة فرضها عليهم أعداؤهم فرضاً فلم

نعيش زمنا قلبت فيه
الموازين حتى صارت
إهانة المقدسات الدينية
حرية رأي وإبداعا فنيا

على سبيل الفكاهة كل ذلك يندرج في دول الغرب تحت بند معاداة السامية وما أدراك ما هي عواقب هذه التهمة فالأمر لم يتوقف عند حد التجريم أو بعقوبة السجن أو بدفع غرامة مالية إنما يستمد لينال من جوانب حياة الفرد وسمعته التي ستتحول إلي مادة خصبية للهجوم والنقد من جانب كل

وسائل الإعلام المقروءة

والمسموعة والمرئية. وتلك هي المأساة التي يعيشها حاليا الفنان الفرنسي الشهير (يودونيه) الذي طالما أضحك جمهوره من فكاهات تنتقد كل نواحي الحياة الفرنسية المختلفة وقد دفعته الجراءة ذات يوم وجعل من اليهود موضوعا لفكاهته وهنا قيل له: قف لقد تخطيت حدودك وانهالت عليه القضايا التي تتهمه بمعاداة السامية وأصبح هذا الهجوم ضارا به من كل وسائل

الإعلام الفرنسية بحجة أن ليس كل شيء قابلا للضحك والفكاهة وقد تناسى هذا الإعلام الظالم ما ادعاه سابقا حول حق الإعلام في حرية التعبير عندما كان الأمر يتعلق بالرد على احتجاجات المسلمين من نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ.

إننا لسنا بصدد الدفاع عن سلوك هذا الفنان، إنما نرى في محاسبته والحكم عليه تناقضا ظاهرا، فإذا كان هذا الممثل اعتبر من جهة وسائل الإعلام الغربية مجرما عندما تندر على اليهود فماذا عن الذي جعل من المسلمين ورسولهم العظيم مادة لرسومهم القبيحة، ألا يستحق هذا أيضا أن يجرم؟ من منطلق أن تلك الرسوم تحض على الكراهية والعنف ضد المسلمين، ولماذا اعتبر ما فعله هذا الفنان جنابة؟ بينما ما فعله هذا الرسام البذيء حرية رأي وتعبير! إن هذه المعايير المزدوجة

وعدم إدراك خطورة العبث بالأديان أدى إلى نشوء خصام خطير يزداد اتساعا بين حضارة الغرب وبين المسلمين.

لقد كان من حق الصحافة الغربية أن تدين الجماعات الإسلامية المتطرفة، ولكن ليس من حقها أن تجعل الإرهاب أصلا لعقيدة المسلمين، فليس هذا صحيحا بالمرّة فضلا عن أن ما تعلقه تلك الصحافة تتكأ جراحا لم تتدمل.

إن الأغلبية الساحقة من شعوب العالم اختارت وقبلت التعايش في عالم متعدد الأعراف والديانات وأن الأزمة الناتجة عن الإساءة للرسول الكريم ﷺ والتي كانت تعبيرا عن روح عنصرية معادية وعن رغبة في استفزاز المسلمين والإساءة إليهم أظهرت نقصا واضحا في معرفة قيم الآخر وفشل ما يسمى بحوار الحضارات مما يؤكد ضرورة دعم انطلاقة العلوم الإنسانية والاجتماعية من خلال وسائل المعرفة المشتركة، وإن السلام العالمي لن يتحقق إلا بإقرار القوانين والمبادئ الأخلاقية التي يحتكم لها المختلفون فتضمن لهم العدالة وينصاع لها الجميع.

إن التهجم على الإسلام والتطاول على نبيه الكريم ليس جديدا ولن يكون تهجم الصحافة الدنماركية هو الأخير وسيظل الإسلام عظيما شامخا وأتباعه في ازدياد مستمر رغم أنف الحاقدين وقد صدق من قال:

فما الشُّمُّ الشوامخ عند ريح

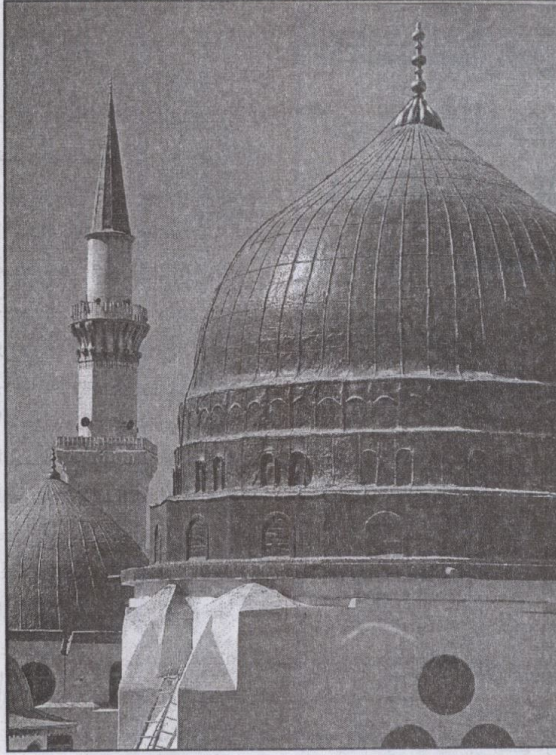
تمر على جوانبها تمودُ

ولا البحر الخضم يُعاب يوما

إذا بالث بجانبيه القروود

إذا كان من حق الصحافة الغربية أن تدين التطرف فليس من حقها أن تجعله أصلا لعقيدة المسلمين

ذكرى المولد النبوي الشريف بين الإفراط والتفريط



أ.د / بكرزكي عوض

عما قريب تهب ريح طيبة عطرة
بذكرى ميلاد حبيب الحق وسيد
الخلق سيدنا محمد ﷺ ويتنسم كل
مسلم من هذا التيسيم العليل ما يبعث
الروح من سباتها ويوقظها من ركودها،
حيث تكثر الأذكار والصلوات على
النبي المختار - عليه الصلاة والسلام -
وفي بلاد العالم الإسلامي يأخذ
إحياء هذه الذكرى اتجاهات ثلاثة:
١ - اتجاه المفرطين في إحياء
الذكرى ولهم في ذلك تجاوزات شتى
خالقوا فيها الكتاب والسنة، وليس
هذا الاتجاه بجديد - الغلو في حب
الرسول - بل ظهرت بوداره في حياة
الرسول ﷺ يمثل ما أراد أحدهم أن
يسجد له، فمنعه قائلا: لو كنت أمرا
أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة
أن تسجد لزوجها لفرط حقه عليها،
وأخبر ثان أنه - أي الرسول - يعلم ما
في غد فأذكر الرسول عليه ذلك،
ومثل ذلك وقائع وقعت فلم يقرها ﷺ
لحرصه على بقاء التوحيد خالصا
لله رب العالمين.

وفي أيامنا هذه وقع خلط بين الذكرى وكيفية الإحياء،
فرأينا من المسلمين من يتخذ سبلا ما أنزل الله بها من سلطان،
كالطبل والزمر والرقص واللعب بالسيوف ونقر الدفوف، والسير
في الشوارع والطرق لساعات وساعات، وأحيانا لعدد من
الأيام بدعوى إحياء هذه الذكرى، دون سند من نقل أو عقل.
وطائفة أخرى تجعل هذه الذكرى وسيلة للتسول، فهي دائما
تنتظر هذه الفرصة لتستجدي الخلق باسم الرسول، وكأنه جاء

داعيا إلى التسول ناسين أن الكثير من أحاديثه قد نهت عن التسول فضلا عن الاتجار به ولم يكن النهي قاصرا عند زمن معين بل هو نهى مطلق، يستثنى منه حالات خاصة (ألا إن الصدقة لا تحل إلا لثلاث: لذى فقر مدقع، وغرم مفضع ورجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيب سدادا من عيش أو قواما من عيش).

ومن الدعاة من يحرص على إلهاب العاطفة وتغيب العقل، فهو يعمل كثيرا على ما ورد في كتب السمائل وكتب الخصائص وكتب المدائح وكتاب مولد شرف العالمين للمناوى، غير مفرق بين ما صح وما شذ، وغير مميز بين الحق والباطل من القول، حتى إن بعضهم ليخرج بالرسول ﷺ من دائرة البشرية إلى دائرة الملائكية أو الألوهية، يمثل نسبة الأصل إلى قبضة من نور وجهه الله خوطبت بالأمر الإلهي «كوني محمدا» فانقسمت أربعة أقسام

هى: الشمس والقمر والنجوم والرابع ذات الرسول ﷺ وهذا الكلام يرضى العامة ويلهب العواطف ويتعارض مع قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ﴾ الكهف: آية ١١٠، وقوله ﷺ: «إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد» ولكن قولوا عبدالله ورسوله.

إن فى نصوص القرآن وفى الأحاديث النبوية الشريفة ما يغنى عن الإسرائيليات والموضوعات والأساطير والخرافات فى هذا المجال.

ولدينا من سنن الأقوال وسنن الأفعال ومن الجوانب الإنسانية المتعلقة به - عليه الصلاة والسلام - ما يكفى، فضلا عن إبراز مبدأ الرأفة والرحمة للخلق عامة بما فى ذلك الإنسان والحيوان والطير والجن، والأحاديث فى ذلك غاية فى الكثرة.

إذا كانت العقول والقلوب مهيأة للسمع فى هذه الفترة من الزمن فعلينا أن نسطر فى العقول ما يستعصى مسحه، ويصعب حذفه، لأن الحقائق تحفر لها حفرا وتطبع لها بصمات على العقل، وأما العواطف منها سريعة النسيان بقدر سرعة التأثير، وقلما توجه المستمعين وإن وجهتهم فهو توجيه إلى حين.

٢ - اتجاه المفرطين فى حق

الرسول ﷺ وهم طوائف ظهرت فى القرون الأخيرة لا يشغلهم من أمر الدين إلا تحريم أكثر الأشياء، ولا يرون فى سلوكيات الناس إلا البدعة، ولا يعيرون من الأمور أهمية إلا النقد بشقيه البناء والهدام، أغلب الأشياء عندهم حرام، حتى العادات والتقاليد الاجتماعية أخضعوها للحرام، فكل الذكريات حرام، وكل الأعياد - سوى الفطر والأضحى - حرام وكل المناسبات حرام، بل بعض المختلف فيه

عندهم حرام مع أنهم لا يستطيعون القول بحرمة الأعياد القومية ولا المناسبات الشخصية - تولية الحكم - ذكرى التأسيس - ذكرى ميلاد مسئول، العيد القومى لهذه الدولة أو تلك، ومنهم من يشارك فى هذه المناسبات بالاختيار أو بالاضطرار، وهؤلاء غير منصفين بحق نبي هذا الدين، لأنه ﷺ كان يحتفل بذكرى مولده كل أسبوع، احتفالا قائما على شكر المنعم على نعمة الوجود وذلك بصوم كل يوم اثنين وخميس من كل أسبوع، ولما سئل عن علة ذلك من الصحابة بين أن صوم الاثنين إنما هو شكر لله مبينا العلة «ذلك يوم ولد فيه ويوم بعث فيه».

كما أن الإسلام قد أقر المناسبات وخلدها باعتبارها مؤثرة عند تناول الناس يتهيئون لها

إذا كانت العقول
مهيأة لسمع سيرة
الرسول ﷺ
فعلينا أن
نغذيها بحقائق
لا يمحوها الزمن

عند الاستماع، وما درى هؤلاء أن الحق سبحانه قد جعل ذكر الرسول وذكره غير قاصرين على زمان أو مكان، أو شهر أو عام، بل إنه جعل ذكره قائما في كل ثانية من ليل أو نهار، باعتبار حركة الشمس وحركة الأرض حول نفسها أمام الشمس كل يوم، وتعاقب الأذان من بلد لبلد ومن دولة لدولة حيث يفرغ من الأذان في بلد فيرفع في أخرى وفي كل يقول المؤذن «أشهد أن محمدا رسول الله».

كما أن اغتنام الفرص التي تهئ فيها العقول والقلوب للسمع مطلوب شرعا «كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة كراهية السامة علينا» أي يراعى الزمان والاستعداد النفسى للاستماع ليلقى الموعظة، وأنى لهؤلاء أن يلقوا الرسول قائلين: كنا نحارب إحياء ذكرى ميلادك لأنه بدعة.

٣ - الاتجاه الثالث المعتدلون في كل حال سواء تعلق الأمر بذكرى المولد أم بغيرها من الذكريات، فلا هم مفرطون في المنح ولا هم مغالون في المنع وإنما يفتنمون الفرصة لإظهار جوانب من السيرة النبوية العطرة، مخاطبين العقول والقلوب في وقت واحد، محررين أنفسهم من الصراع على الجماهير حاملين إياها على ضبط المنطوق به ضبطا يتفق مع الشرع، لديهم من الرصيد المعرفي ما يكفي لحسن معالجة الموضوع في عدد من اللقاءات وزيادة.

مراقب الحديث عن الرسول ﷺ في ذكرى ميلاده
يمكن القول: إن الحديث عن هذه الذكرى العطرة وعن الرسول ﷺ له مراتب ثلاثة هي:

١ - حديث الله عن رسول الله، وهو أسمى مراتب الحديث وأعلى درجات الكلام.

٢ - حديث الرسول ﷺ عن نفسه، وهو في المرتبة الثانية بعد كلام الله.

٣ - حديث الناس عن رسول الله ﷺ وهو درجات في ذاته.

ويمكن لكل داعية يؤثر السلامة ويحرص على

مرضاة الله ثم مرضاة رسول الله أن يتزود ابتداء بالحديث عن الرسول من خلال حديث الله عنه على النحو التالي:

أ - حديث الحق عن الرسول قبل ميلاده، وهو أوضح ما يكون في الآيات التي صرحت باسمه - عليه الصلاة والسلام - وبصفاته، وبصفات أمته، وهو أوضح ما يكون في آيات البقرة «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه»، وآل عمران «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة..»، والأعراف: «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل» آية ١٥٧، والفتح: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار» آية ٢٩، وفي سورة الصف: «وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» آية ٦، إلى غير ذلك من الآيات التي تحدثت عن الرسول ﷺ قبل مولده بمئات بل بآلاف السنين، فموسى أسبق في الوجود من عيسى بألف وخمسمائة عام، وعيسى أسبق في الوجود من محمد بخمسمائة وإحدى وسبعين سنة، وكل منهما كان عنده علم بين واضح بأمر محمد وأمر أمته.

ب - الحديث عن الرسول ﷺ حال حياته وله اتجاهان.

الأول: قبل النبوة والرسالة.

الثاني: بعد النبوة والرسالة.

والاتجاه الأول يمكن الاستشهاد له بآيات سورة الضحى «ألم يجدك يتيما فأوى* ووجدك ضالا فهدى* ووجدك عائلا فأغنى» آية ٦ - ٨، وكذلك الآيات التي تحدثت عن عربيته وقبيلته وعيشه مع أهله قبل النبوة والرسالة وعلمهم به، وبمنزلته ومكانته.. إلخ.

وأما الاتجاه الثاني: فهو الحديث عنه بعد النبوة والرسالة والآيات فيه تبلغ حداً في الكثرة، منها ما يتعلق بذاته وصفاته، ومنها ما يتعلق بالدفاع عنه ومنها ما يتعلق بأصحابه وأتباعه ومنها ما يتعلق بشرعه الشريف ومنها ما يدرأ الأذى عن عرضه وعن نفسه، كل ذلك في إطار ما يقره الشرع.

ج - الحديث عن الرسول ﷺ بعد مماته.

ويراد به النص على أمره في القرآن، وحفظ الله لهذا القرآن وحفظ ما ورد فيه بشأن الرسول، ومن هنا يكون للقرآن مدعاة لبقاء الحديث عن الرسول قائماً يذكر كلما قرئ القرآن، فضلاً عن النص على اسمه في الأذان مقروناً بالنبوة والرسالة، والنص على اسمه في الصلاة مقروناً بالرسالة، وختم بالتشهد بالصلاة الإبراهيمية وفي النص صراحة على نبوة محمد والصلاة عليه، وبهذا يكون الزاد الأول لكل داعية يريد الحديث عن الرسول ﷺ هو القرآن الكريم.

وأما حديث الرسول ﷺ عن نفسه فله اتجاهات شتى منها:

أ - حديثه عن نفسه قبل ميلاده، وهو ما يعرف بالبشارة، والنسب وذكره لانقسام الناس وتشعبهم واختيار الله له خير الفرق.

ب - حديثه عن نفسه بعد مولده وقبل النبوة والرسالة، وقد ورد ذلك واضحاً في حديث عن الرضاعة وشيء من الطفولة وفترة الشباب وتناول في ذلك مسيرته القائمة على الاعتدال ورعاية الله وعنايته له وحفظه إياه من الشرب والسكر والطبل والزمر والسجود للأوثان والأصنام والحلف بغير الله فضلاً عن جميل الخصال والصفات كالصدق والأمانة والكرم والشجاعة.

وأما الحديث عن نفسه بعد النبوة والرسالة فهو أوضح ما يكون في باب الفضائل في كتب السنة، وما ورد في كتب الخصائص والشمائل ودلائل النبوة والسير، وما ورد في كتب التفسير بالمأثور حيال النصوص التي وردت متعلقة بحقه ﷺ.

وأما حديثه عن نفسه بعد الممات فقد وردت

أحاديث تبين صلتته بأمتة وصلته أمتة به بعد ملاقاته لربه مثل: الزيارة - الصلاة عليه - عرض الأعمال - منزلة مسجده - كما أن سنته تعد خطاباً منه لهذه الأمة.. فهل يعول الدعاة على هذا الأمر حال البلاغ.

الاتجاه الثالث: حديث الناس عن الرسول ﷺ

ولهم درجات..

فريق محب مفرط في حبه تكلم بحق الرسول ﷺ كثيراً منهم من وقف عند حد المقبول شرعاً وعقلاً وهؤلاء أساليبهم في التعبير متفاوتة ولا بد من تناول جزء من كل أسلوب من أساليب هؤلاء لتكون الوجبة شهية، فالشعر والنثر والخطب كل هذه أساليب ينبغي أن تراعى وأن ينتقى من هذه النماذج ما يحسن طرحه بدءاً بما قاله حسان بن ثابت وانتهاءً بما يكتبه الآن محمد التهامي.

وفريق حاقد حاسد، قد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فهم لا يرون الشمس في رائعة النهار، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر.

هؤلاء ينبغي أن يواجهوا بما يتناسب مع صنيعهم وسلوكهم، ويؤاخذون بما يردعهم حتى لا يستهان بالحرمان ولا تستباح الأعراض مع بذل كل جهد ممكن لكشف النقاب عن الدوافع الدافعة لهؤلاء من أجل سلوكهم هذا المسلك ومحاسبة مثل هذه الجهات عن سلوكياتها بحق الرسول ﷺ.

وفي الختام أقول: إن إحياء ذكرى المولد لا يتعارض مع الشرع ولا العقل، وإن العقول والقلوب مهيئة الآن للاستماع وبخاصة بعد ظلمة عمت الغرب وهبت ريح عاصفة على الشرق باعثها ما كتب بحق الرسول ﷺ من موتورين في هذه الديار فهل يستيقظ المسلمون من سباتهم، ويعود الرسول مصدراً من مصادر وحدتهم وقوتهم، وهل تفتقد فرصة تحرك الشعوب لفعل شيء ما إيجابياً بحق الرسول ﷺ، أم أنها العاطفة التي تحركت بعد العاصفة ثم يكون الرقاد من جديد؟

صَلَّى اللّٰهُ
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

دلائل نبوة سيدنا محمد

د. سالم عبد الجليل

إن الإيمان بنبوة سيدنا محمد ﷺ من مقتضيات الإيمان بوحدانية الله، فلا يمكن الفصل بينهما، ولا يوصف إنسان - ولد بعد بعثة سيدنا محمد ﷺ وسمع به - بوصف الإيمان إلا إذا أقر بنبوته - عليه الصلاة والسلام - فالإيمان بنبوته مع الإيمان بوحدانية الله ركن الإسلام الأعظم، فلا يقوم بنيان الإسلام إلا به، قال ﷺ: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً» متفق عليه.

والإيمان بنبوته داخل أيضاً في أركان الإيمان، كما في حديث عمر عندما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر...» متفق عليه.

وهو العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على جميع الأنبياء والمرسلين، لئن بعث الله محمداً ليؤمنن به ولينصرنه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ سورة آل عمران: ٨١، قال ابن كثير: «يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم ﷺ إلى عيسى ﷺ فمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أى مبلغ ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه» (١)، وهذا عام في كل نبي يبعث وخاص في سيدنا محمد ﷺ، وهذا ما ذكره على وابن عباس - رضى الله عنهم -: «ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه» (٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمن بلغته رسالة محمد ﷺ فلم يقر بما جاء به لم يكن مسلماً ولا مؤمناً بل يكون كافراً وإن زعم أنه مسلم أو مؤمن» (٣).

ولقد شهد الله تعالى لنبيه ﷺ بالرسالة، فقال سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ سورة الفتح، الآية: ٢٩، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

وأوجب علينا الإيمان به سبحانه وبرسوله ﷺ فقال: ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ سورة النساء، الآية: ١٣٦، وسورة الحديد: الآية ٧، وقال: ﴿فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ سورة التغابن: الآية ٨.

وتوعد سبحانه من لم يؤمن به وبرسوله بعذاب السعير، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ سورة الفتح: الآية ١٢.

وقال ﷺ: «والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» (٤).

ولقد أيد الله تعالى أنبياءه ورسله بدلائل كثيرة، ومعجزات

عظيمة ، وكانت معجزات كل نبي من جنس ما برع فيه قومه، فمعجزة موسى ﷺ العصي، التي كانت تتحول إلى حية - ثعبان عظيم - تاكل ما أمامها في الوقت الذي كان الناس قد برعوا في السحر، يلقون حبالهم وعصيتهم فتتحرك حركة خادعة مدروسة يهيئ الناظر إليها أنها تسعى سعياً حقيقياً، وكانت المسألة مجرد خيال، كما قال الله تعالى: ﴿يُخِيلُ إِلَهُهُ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ سورة طه: الآية ٦٦، والحقيقة أنها مجرد حبال و عصي مفرغة من الداخل و مملوءة بالزئبق، فإذا وضعوا تحتها بطريق السحر مواد تشع حرارة، تحركت هنا وهناك بطريقة عشوائية لخفة الزئبق، فكانت عصا موسى تتحول إلى حية حقيقية، تلقف ما أمامها، ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ سورة الشعراء: الآية ٤٥، فأرغمت أنوف السحرة وأسجدتهم لله، وجعلتهم يؤمنون بموسى عليه السلام لأنهم أعرف الناس بالسحر وفنونه، ليتقنهم أن الذي جاء به موسى ليس سحراً، إنما هو إعجاز لا يكون من بشر ولا يقدر عليه مخلوق، ولهذا قالوا في يقين وثبات ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ قالوا آمنا برب العالمين* رب موسى وهارون* الشعراء: الآيات ٤٦ - ٤٨، فلما تهددهم فرعون وتوعددهم بالقتل والصلب، أجابوه ﴿لَنْ نُوْثِرَكَ عَلَى مَا جِئْنَاكَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إنا آمنا برينا ليفسر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾ طه: الآيتان ٧٢، ٧٣.

ولما كان الناس في زمان عيسى ﷺ قد برعوا في الطب أيده الله تعالى بإبراء الأكمه والأبرص، وهما داءان لا علاج لهما، ولا يبرأ منهما المريض إلا بمعجزة من الله تعالى، بل وأيده الله تعالى بما لا يقدر عليه الخلق جميعاً، أيده سبحانه وتعالى بمعجزة إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ نَكَلَمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا

وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جَعَلْتَهُمُ الْبَنِينَ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ المائدة: آية ١١٠.

ولما كان الناس قد برعوا على عهد رسول الله ﷺ في البلاغة والبيان جعل الله تعالى معجزة سيدنا محمد ﷺ القرآن الكريم.

ولما كانت رسالته ﷺ للناس كافة ومستمرة إلى قيام الساعة جعل الله تعالى القرآن الكريم محفوظاً على مر الزمن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتكفل هو سبحانه جل في علاه بحفظه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: آية ٩.

ولما كان الناس سيحتاجون إلى نوع جديد من الإعجاز غير النوع البلاغي لبراعتهم في أمور أخرى، ضمن الله تعالى القرآن العديد من المعجزات التي تبهر العقلاء، وتتحنى أمامه رقاب أولى الألباب في كل عصر ومصر، فالقرآن هو معجزة رسول الله ﷺ الخالدة، متنوع في إعجازه ولا تنتهي عجائبه، ولذلك فأتباع النبي محمد ﷺ هم الأكثر يوم القيامة.

فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة..» متفق عليه.

وليس معنى هذا أنه لم يكن لرسول الله ﷺ معجزات غير القرآن، بل كان للنبي ﷺ معجزات يصعب حصرها، لكن معجزة القرآن هي المعجزة الباقية التي نستطيع أن نتحدى بها الدنيا بأسرها، ونقول لجميع الناس:

«محمد نبي الله» ودليل صدقنا فيما نقول ذاك الكتاب الذي أنزل عليه، فإن كذبتونا في هذا

الادعاء ورفضتم الإيمان به، قلنا لكم إيتونا بمثله، فإن عجزتم عن ذلك فأتونا بعشر سور فقط، فإن عجزتم فأتونا بسورة واحدة من مثله وادعوا من تشاءون من الخلق ليساعدكم في ذلك فإن عجزتم فليس أمامكم إلا أن تشهدوا بنبوة هذا النبي ﷺ. ونحن واقفون بأنهم لن يستطيعوا، ولو اجتمع من في السموات ومن في الأرض لما استطاعوا أن يأتوا بمثل كلام الله الخالق - جل في علاه -.

ولقد جاء التحدي من رب العباد سبحانه في صورة واضحة، تحداهم به كله في سورة الطور: ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ الآية: ٢٤، وتحداهم في سورة هود بعشر سور مثله: ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ الآية: ١٢، وتحداهم بسورة واحدة منه، كما ذكره تعالى في سورة البقرة: ﴿فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ الآية: ٢٣، ثم صرح بعجزهم فقال: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ سورة البقرة: آية ٢٤، ثم أكد في سورة بني إسرائيل - الإسراء - عجز جميع الخلائق - وإن اجتمعوا - عن الإتيان بمثله في قوله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ الآية: ٨٨.

وليس معنى هذا أن القرآن الكريم هو المعجزة الوحيدة لكنه المعجزة الخالدة، ذلك لأن التحدي بالقرآن مستمر إلى قيام الساعة، «فيه نيا ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته

الجن حين سمعته أن قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا* يهدي إلى الرشدا فأما به﴾، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم» (٥).

ويطلق على القرآن الكريم المعجزة المعنوية، ويطلق على غيره من المعجزات، المعجزات الحسية، ومعجزات الرسول ﷺ الحسية أكثر من أن تحصى، نذكر منها على سبيل المثال:

١ - تكثير الطعام القليل ببركة دعائه ﷺ:

عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة من ثريد فوضعت بين يدي القوم فتعاقبوا إلى الظهر من غدوة يقوم قوم ويجلس آخرون فقال رجل لسمرة بن جندب أما كانت تمد فقال سمرة من أي شيء تعجب ما كانت تمد إلا من هاهنا وأشار بيده إلى السماء» متفق عليه.

وعن عبد الله قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ، وليس معنا ماء، فقال رسول الله ﷺ: اطلبوا من معه فضل ماء، فأتى بماء فضبه في الإناء، ثم وضع كفه فيه، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه، ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى فشرينا» وفي رواية زيادة: «كانوا خمس عشرة مائة». متفق عليه.

وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق نحفر، فلبثنا ثلاثة أيام لم نطعم طعاما، ولا نقدر عليه، فعرضت في الخندق كدية غليظة لا يعمل فيها الفأس فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذه كدية قد عرضت في الخندق ورششنا عليها الماء، فقام وبطنه معصب بالحجر - يعني من الجوع - فأخذ المعول والمسحاة، ثم سمى ثلاثا، ثم ضرب فعادت كثيبا أهيل، فلما رأيت ذلك منه قلت يا رسول الله ائذن لي، فأذن لي، فجئت إلى امرأتي، فقلت: ثكلتك أمك، إني رأيت من رسول الله ﷺ، شيئا لا صبر لي عليه فما عندك؟ قالت عندي صاع من شعير وعناق، قالت: فطحنا الشعير وذبنا العناق وطبخناها

وجعلناها في البرمة وعجنا العجين، ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ، فلبثت ساعة ثم استأذنت ثانية، فأذن لي، فجئت فإذا بالعجين قد أمكن فأمرتها بالخبز وجعلت القدر على الأثافي، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فشاورته - وفي رواية: فساررتة - وقلت عندنا طعيم لنا، فإن رأيت أن تقوم معي أنت ورجل أو رجلان معك فعلت، فقال ما هو وكم هو؟ قلت: صاع من شعير وعناق، فقال: ارجع إلى أهلك فقل لها لا تنزع البرمة من الأثافي ولا تخرج الخبز من التور حتى آتي، ثم قال للناس: قوموا إلى بيت جابر، فاستحييت حياء لا يعلمه إلا الله تعالى، فقلت لامرأتي: قد جاء رسول الله ﷺ بأصحابه أجمعين! فقالت أكان سالك كم الطعام؟ قلت: نعم، قالت: الله ورسوله أعلم، قد أخبرته بما كان عندنا، فذهب عني بعض ما أجده وقلت لها صدقت، وجاء رسول الله ﷺ فدخل ثم قال لأصحابه: لا تضاغطوا، ثم برك على التور والبرمة فجعلنا نأخذ من التور الخبز ونأخذ من البرمة اللحم فنثرد ونغرف ونقرب إليهم، فقال رسول الله ﷺ: ليجلس على الصحيفة سبعة أو ثمانية، فلما أكلوا كشفنا التور والبرمة، فإذا هما قد عادا إلى أملا مما كانا عليه، حتى شبع المسلمون كلهم وبقيت طائفة من الطعام، فقال لنا رسول الله ﷺ: إن الناس قد أصابهم مخمصة فكلوا وأطعموا، فلم نزل يومنا نأكل ونطعم، قال فأخبرني أنهم كانوا ثمانمئة، صحيح البخاري.

وهذا نظير معجزة سيدنا عيسى عليه السلام في المائدة (٥).

٢ - نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ:

لما نزل رسول الله ﷺ بالحديبية، وهي جافة قال للناس: انزلوا، فقالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه! فأخرج سهما فدفعه إلى البراء بن عازب، وقال اغرز هذا السهم في بعض قُلب الحديبية وهي جافة ففعل فجاش الماء ونادى الناس بعضهم بعضاً من أراد الماء فقال أبو سفيان قد ظهر بالحديبية قلب فيه ماء ثم قال لسهيل

ابن عمرو قم بنا إلى ما فعل محمد فأشرفا على القلب والعيون تحت السهم فقالا ما رأينا كاليوم قط وهذا من سحر محمد قليل فلما أمر رسول الله ﷺ بالرحيل قال للناس خذوا حاجتكم من الماء ثم قال للبراء اذهب فرد السهم فلما فرغوا وارتحلوا أخذ البراء السهم فجف الماء كأنه لم يكن هناك ماء (٦).

وهذا نظير ما أعطى سيدنا موسى عليه السلام من الحجر الذي انفجرت منه اثنتا عشرة عينا (٧). ومثله ما روى أنه في غزوة بني المصطلق، دعا بركة جافة ثم ثقل فيها ثم قلبها فتفجرت من بين أصابعه عيون حتى شرب الخيل والإبل وملئ كل سقاء (٨).

٣ - إضاءة العصي لبعض أصحابه ﷺ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل الصباحين يضيئان بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله، صحيح البخاري.

وفي رواية عن أنس أيضاً: أن أسيد بن حضير ورجلا آخر من الأنصار تحدثا عند رسول الله ﷺ ليلة في حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة، الليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان ويبد كل واحد منهما عصية فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها حتى إذا افترقا بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ إلى أهله، أخرجه أحمد.

٤ - إذعان المخلوقات للنبي ﷺ:

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟ فدعاه رسول الله ﷺ، فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ، ثم قال ارجع، فعاد، فأسلم الأعرابي، أخرجه الترمذي.

٥ - إبراء المريض ببركته ﷺ:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال

يوم خبير: لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فقال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال أين على بن أبي طالب؟ فقيل هو يا رسول الله يشتكى عينيه، قال فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال على يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم» متفق عليه.

٦ - انشقاق القمر:

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: انشق القمر على عهد النبي ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقالوا سحرنا محمدا فقال بعضهم: لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم» أخرجه الترمذي.

وفي رواية عن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلققتين فستر الجبل فلققة وكانت فلققة فوق الجبل فقال رسول الله ﷺ اللهم أشهد» متفق عليه.

٧ - نطق الجمادات والحيوانات بين يديه ﷺ وشهادتها بنيوته:

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن» أخرجه مسلم.

عن أبي سعيد الخدري قال: عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فألقى الذئب على ذنبه قال ألا تتقى الله تنزع مني رزقا ساقه الله إلي؟ فقال يا عجبي، ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم

أتى رسول الله ﷺ، فأخبره فأمر رسول الله ﷺ فتودى الصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي أخبرهم فأخبرهم فقال رسول الله ﷺ: صدق والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده» أخرجه أحمد.

٨ - حنين الجذع لفراقه ﷺ:

عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه، فإن لى غلاما نجارا، قال: إن شئت، قال: فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت تتشقق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت، قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر» متفق عليه.

٩ - اهتزاز جبل أحد وإذعانه لأمر النبي ﷺ:

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال ﷺ: اثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان» متفق عليه. وهذا، غيض من فيض، وإلا فإن دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ سطرت في مجلدات، يمكن الرجوع إليها، وتبقى الحقيقة الثابتة الواضحة أمام كل عاقل:

محمد نبى الله ورسوله، معجزاته المادية لا تعد، والمعجزة الخالدة الدالة على صدقه هي القرآن الكريم ولا يسع العاقل إلا أن يقر بنبوة سيدنا محمد ﷺ ليحقق أهم أركان هذا الدين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ.

الهوامش:

- ١ - انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٣٧٧.
- ٢ - المرجع السابق ج ١ ص ٣٧٨.
- ٣ - انظر مجموع الفتاوى ج ٣ ص ٩٢.
- ٤ - تخريج الأحاديث والآثار ج ١ ص ٢١١.
- ٥ - أعلام النبوة ج ١ ص ١٣٨.
- ٦ - أعلام النبوة ج ١ ص ١٣٨ وانظر مسند الإمام أحمد.
- ٧ - أعلام النبوة ج ١ ص ١٣٨.
- ٨ - أعلام النبوة ج ١ ص ١٤١.

من مواقف رسول الله

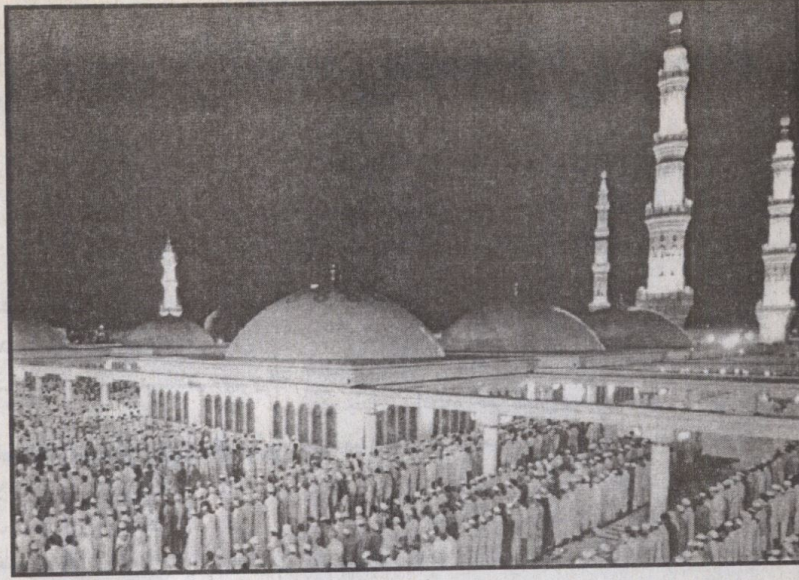
والإسلام ينصف المظلوم ويقف بجانبه حتى ولو لم يكن مسلماً لأنه يريد للحق أن يستقر وللعدل أن يسود وفي حياة رسول الله ﷺ مواقف تقدم لنا المثل العملي لإرساء هذه القيمة التي لا يصلح أمر الفرد والجماعة إلا عليها، فقد حدثتنا كتب السير أن رجلاً من قبيلة تسمى «أراش» جاء إلى مكة بإبل يبيعها فاشترها منه أبو جهل، ولم يدفع له ثمنها وظل الرجل يتردد، وأبو جهل يماطله، حتى كاد اليأس يستولى على الرجل ولم يجد من يعينه على أخذ حقه بعدما طال مقامه في مكة، فتوجه إلى رجالات مكة يستعين بهم على الحصول على حقه من أبي جهل ويشكو إليهم ما حل به من ظلم ومماطلة وكانوا مجتمعين في مجلس لهم بالقرب من الكعبة، وكان رسول الله ﷺ يجلس في ناحية من المسجد، وقال الرجل مستغيثاً بالمكيين: «يا معشر قريش، من رجل ينصفني ويعينني على أبي الحكم بن هشام، فإنني رجل غريب ابن سبيل، وقد غلبني على حقي.. وأراد المكيون أن يتخذوا هذا الموقف وسيلة يخرجون بها رسول الله ﷺ، ويوقعونه في مأزق، وهم يعلمون مدى العداوة التي يكنها أبو جهل لرسول الله ﷺ فأشاروا إلى رسول الله ﷺ وقالوا للرجل: أترى ذلك الرجل الجالس؟ اذهب إليه، فإنه يعينك عليه، فتوجه الرجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا عبدالله إن أبا الحكم ابن هشام قد غلبني على حق لي قبله، وأنا غريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يعينني عليه يأخذ لي حقي منه فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقي منه يرحمك الله.

قال ﷺ: انطلق إليه واتجه معه نحو بيت أبي جهل، وطلب المكيون إلى أحدهم أن يتبعه ليخبرهم بما سيحدث، وعند باب أبي جهل طرقت رسول الله ﷺ الباب، سأل أبو جهل من هذا؟ فأجابه رسول الله ﷺ: محمد فأخرج إلى ممتنع اللون، قد غاض الدم من وجهه من الخوف الذي وقع في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: أعط هذا الرجل حقه، فقال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له، ولم يلبث أن دخل وعاد فأعطى الرجل ماله،

أ.د. محمد إبراهيم الجيوشي

١ - الانتصاف للمظلوم من الظالم

الإسلام يأبى الظلم ويحذر منه، ويشجب العدوان ويتوعد المعتدين بسوء المصير وخزى العقوبة ذلك أن الإسلام يحترم الحقوق ويرعى الحرمات، ويرسى قواعد القيم الخيرة بين أفراد المجتمع الإنساني حتى يسود السلام، ويعم الأمن، ويعيش الناس في ظلال المحبة والتعاون والرخاء إخواناً متحابين، قدماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم حرام لا يحل أن تراق ولا أن تغتصب ولا أن تنتهك ومن يستبيح لنفسه ذلك يكون قد خرج على منهج الإسلام وأهدر قدسيته، ورمى بمبادئه عرض الحائط وواجب المسلمين أن يمنعوه عن هذا الظلم الذي وقع فيه، وأن ينتصفوا للمظلوم حتى يعود إليه حقه المسلوب من أرض ومال وحقوق، ذلك أن الإسلام يقيم العلاقة بين المسلمين على الأخوة التي تجمع الشمول وتوحد الكلمة وترعى الحقوق، وتضمن الحرمات.



للمسلمين حتى يأخذوا على أيدي الظالم ويعينوا المظلوم، وما أشبه اليوم بالبارحة والمسلمون مطالبون برد المعتدين وإنصاف المظلومين.

٢- الحكمة في معالجة الأمور

حياة رسول الله ﷺ مصدر غنى، ونبع فياض يجد المسلم من خلال دراسته لها، ومعرفته بجوانبها نماذج فذة في كل مناحي الحياة يستنتج منها الدرس، ويأخذ العبرة، ويستفيد معرفة بأمور الدين والدنيا، ويتعلم كيف يتعامل مع الناس في حالتهم رضاهم وغضبهم، وكيف يعالج قضاياهم بالحكمة وحسن التأنى.

وتحدثنا كتب السير أن هوازن تركت أموالها وأسراها بين أيدي المسلمين بعد غزوة الطائف وأن رسول الله ﷺ انتظر أن يجيء وفد هوازن معلنا إسلامه فيرد عليهم أموالهم وأسراهم على الرغم من استعجال الأعراب قسمة الغنائم والحاحهم في ذلك، وأنهم تكاثروا حول رسول الله ﷺ يسألونه

وانصرف رسول الله ﷺ وقال للرجل: اذهب لشأنك، وانطلق الرجل مسرورا وتوجه إلى المكيين في مجلسهم يثني على رسول الله ﷺ ويقول: جزاه الله خيرا، فقد والله أخذ لي حقى.

واستبدت الدهشة بالمكيين وقد كانوا يتوقعون أن ينال أبو جهل من رسول الله، ولما جاء الرجل سأله عما رأى، فقال: رأيت عجبا من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه؛ وقص عليهم ما رأى.

وجاء أبو جهل وأخذوا يقرعون على ما بدا منه من خوف أمام رسول الله فقال ويحكم: والله ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت رعبا، ثم خرجت إليه وتراءى لي فوق رأسه فحل من الإبل ما رأيت مثل رأسه ولا رقبته ولا أنيابه، ولو أبييت لأكلنى.

ذلك موقف انتصف فيه رسول الله ﷺ لرجل مظلوم حتى أعاد إليه حقه، وقد ضرب بذلك المثل

أن يقسم بينهم الغنائم حتى إنهم زاحموا في الطريق عند شجرة فيها شوك، تعلق بها رداؤه ﷺ، فقال: أعطوني رداي، فلو كان عدد هذه العضاة (١) نعمة لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا وقسمت الغنائم، وأعطى رسول الله ﷺ منها حديثي الإسلام شيئا كثيرا يتألفهم به.

وقد شعر الأنصار بشيء من عدم الرضى، لأنهم لم يعطوا شيئا منها حتى قال بعضهم: لقد لقي رسول الله قومه، أما حين القتال فتحنا أصحابه، وأما حين القسم فقومه وعشيرته، ووددنا إنا نعلم ممن كان هذا؟ إن كان من الله صبرنا، وإن كان هذا من رأى رسول الله ﷺ استعيتناه.

فلما بلغت هذه المقالة رسول الله ﷺ غضب لها، وعاتب فيها سعد بن عباد، لما دخل عليه وسأله عن رأى الشخصى فى هذا الموقف قائلا: فأين أنت من ذلك يا سعد؟

فقال يا رسول الله ﷺ ما أنا إلا أحدهم، وأنا لنحب أن نعرف من أين؟

فطلب إليه رسول الله ﷺ أن يجمع له الأنصار، وخطبهم قائلا بعد حمد الله والثناء عليه أيا معشر الأنصار، ما مقالة بلغتني عنكم؟ وجدة وجدتموها فى أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟

قالوا: بلى، الله ورسوله آمن وأفضل.

قال: ألا تجيبونى؟

قالوا: وماذا نجيبك يا رسول الله؟

قال: أما والله لو شئتم قلتم فصدقتم، أتيتنا مكذبا فصدقتناك، ومخذولا فتصبرناك، وطريدا فأويناك، وجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى شيء من الدنيا تألفت به قوما أسلموا وولكلكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رجالهم بالشاء والبعر، وترجعون برسول الله إلى رجالكم؟ والذي نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا، وسلك الأنصار شعبا لسلك شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

فبكوا حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله حضا وقسما، ثم انصرفوا راضين.

وهكذا تكون الحكمة فى معالجة الأمور حتى يعود العاتب إلى مجال الطمأنينة والرضى، وتلك حكمة النبوة وهداية الوحي، وصدق الله العظيم:

﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ البقرة: آية ٢٦٩.

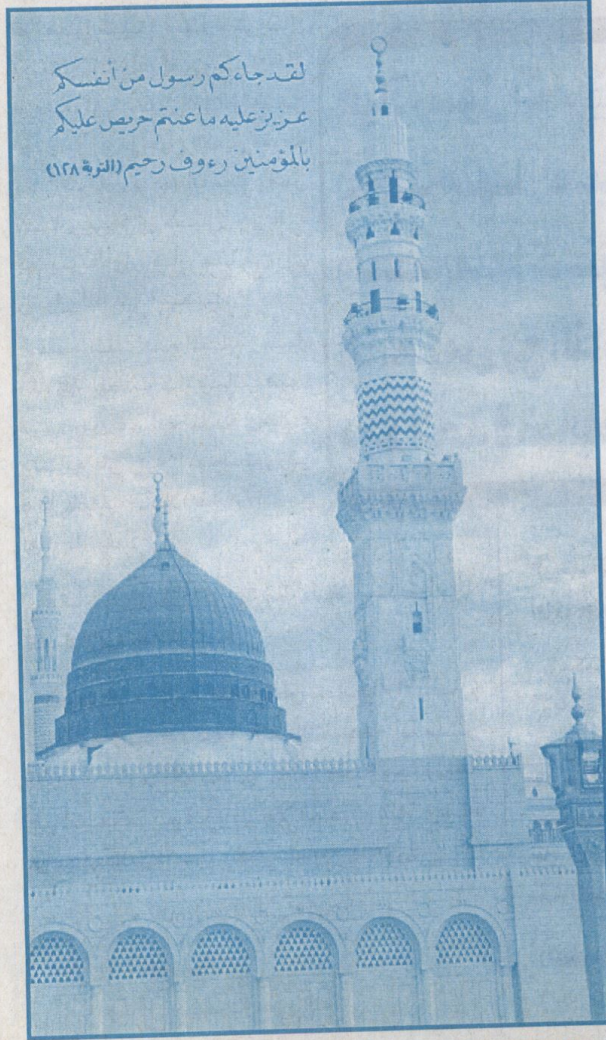
وهكذا تكون استجابة القلوب التى عمرها الإيمان، وملك زمامها اليقين، وحسبهم أن الله مدحهم بقوله: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ الحشر: آية ٩.

الهامش:

١ - العضاة: الشجر العظيم له شوك.

حياة رسول الله ﷺ
يأخذ منها العبر
ويتعلم منها كيفية
التعامل مع الناس
ومعالجة قضاياهم

مع صاحب الخلق العظيم في ذكرى مولده



لقد جاءكم رسول من أنفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمؤمنين رؤوف رحيم (التوبة ١٢٨)



الحمد لله الذي جعل ميلاد رسول
الله ﷺ فتحاً، وبعثته هداية، ورسالته
سعادة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له، فتح به أعينا عمياً وأذاً
صماً، وقلوباً غلظاً، وأشهد أن سيدنا
محمدًا عبده ورسوله، وصفيه
وحبيبه، أدبه ربه فأحسن تأديبه
وتولى تربيته فكان أحسن عين
الوجود، وأفضل من كل مخلوق، اللهم
صل وسلم وبارك عليه وعلى آله
وصحبه الذين سجلوا في صحائف
الأنام كل عظيم من الأخلاق وجميل
الصفات والأعمال فكانوا يحقهم
المؤمنون حقاً أولئك الذي هداهم الله
وأولئك هم أولو الأبواب.. أما بعد..

فيأيها المؤمنون..

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ الجمعة: آية ٢.

تفتخر الأمم الراقية بعظمائها المخلصين، وتسعى للسير على خطاهم الرشيدة، وإن دراسة سيرة وتاريخ العظماء لمن أقوى الوسائل التي تؤثر في نفوس الناس. إذ توجههم إلى مناهجهم الإصلاحية حتى يستضيئوا بها في حياتهم. وليس من شك أن المسلمين بل البشرية كلها في حاجة ماسة إلى دراسة سيرة الرسول الخاتم - صلوات الله وسلامه عليه - لأن صفحات تلك السيرة العطرة أسمى صفحات التاريخ بل أعظمها هدى ونورا، وأقواها إشراقا وضياء. وأوفاهها بالمثل العليا، والقيم الخالدة التي تضمن للإنسانية الحرية والعدالة والسلام والأمن والسعادة في الدنيا والآخرة..

إن نشأة سيد المرسلين ﷺ من أروع مظاهر قدرة الله - عز وجل - وعظيم إعجازه وبديع صناعه وأى إعجاز أروع من نشأة طفل يتيم بدون أب في بيئة بلغ أهلها من الجهل أنهم كانوا يعبدون أصناما يصنعونها بأيديهم. كما أنهم كانوا يئدون بناتهم خشية العار. أو خوف الفقر والإملاق.. لم يدخل ذلك الطفل مدرسة، ولم يستمع إلى معلم. بل نشأ أميا لا يعرف القراءة والكتابة، ومع ذلك فقد كان في طفولته يتصرف تصرف العقلاء البالغين، وفي فتوته وشبابه يسلك سلوك الكبار المحنكين، وفي رجولته يتبوأ مكان الصدارة بين الجميع، فكان في قومه ملء الأسماع والأبصار، ومحل التقدير والثقة والاعتبار.. فكانوا يلجأون إليه في الملومات، ويحتكمون إليه في المشاكل والخصومات، ويشيرون إليه في كل مكان وزمان إشارة التجلة والاحترام:

هذا هو الأمين وما أحسن قول القائل:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة

في الجاهلية والتأديب في اليتيم

ولا عجب، فإن الذي تولاه بالرعاية والتهذيب وأحاطه بالتأديب والتوجيه هو رب العالمين الذي اصطفاه من خير القرون، وتعهد نوره الشريف في تنقله من الأصلاص الطيبة إلى الأرحام الطاهرة من لدن آدم حتى حملت به أمه لم يصبه من دنس الجاهلية شيء، ولم يلتق أحد من آبائه على سفاح قط - لقد ظل أشرف الخلق محفوظا برعاية في جميع أطوار حياته - فسمما في صباه على أثرابه بما حياه الله من جلال ووقار، وعفة وقناعة.

كان الصبيان في سنه يتزاحمون على الطعام إذا ما حضر ينتهبونه نهبا، في حين كان ﷺ لا يتقدم إلى الطعام حتى يدعى إليه. فلما رأى ذلك عمه أبو طالب غرف له طعامه على حدة. وكان الصبيان في سنه يلعبون ويمرحون بينما كان ﷺ لا يشاركهم في شيء من ذلك مكتفيا بالنظر إليه دون اللعب معهم. وما عاقر في شبابه خمرا، ولا قارف ميسرا، ولا هم بفاحشة، وما استلم صنما قط حتى أكرمه الله تعالى بما أكرمه به من نبوة، وأنزل عليه من كتاب.. كان ﷺ - في شبابه - محبوبا في قومه مسموعا في قوله، مقبولا في حكمه. حتى إن قريشا حين اجتمعت قبائلها لتجديد الكعبة، واختلفوا على من يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، واشتد النزاع فاستعدوا للقتال وتعاهدوا على الموت. لولا أنهم قد اتفقوا على الاحتكام إلى أول من يدخل عليهم.. وإذا بأشرف الخلق ﷺ يطلع عليهم. فما كادوا يرونه حتى صاحوا قائلين: هذا هو الأمين فينا قد رضينا به حكما.. وأنصت الصادق الأمين ﷺ للقضية. وأصدر الحكم فرضيه الجميع.. أمر بثوب وضع وسطه الحجر الأسود وطلب من زعيم كل قبيلة أن يأخذ بطرف منه، وأن يرفعوه جميعا

حتى إذا بلغوا به موضعه. تناول الحجر بيديه الشريقتين فوضعه في مكانه وبني عليه..

وبهذه الحكمة في تقدير الأمور، والقدرة على حل المشاكل والجرأة في تحمل المسؤوليات ساد الصادق الأمين قومه في شبابه دون نبوة أو رسالة، وفيهم من هو أكبر سناً وأعظم جاهاً، وأوفر مالا، وأقوى شأنًا.

فلما بلغ ﷺ مرحلة الرجولة نضجت في ذاته الشريفة أسمى الفضائل الإنسانية فكان في قومه الأمل المنشود للعشيرة والأقربين والملاذ المقصود للفقراء والمساكين، والملجأ الأمين للضعفاء والمظلومين.. وكان في بيته المثل الأعلى للزوج الوفي، والوالد الرحيم. حتى إن السيدة خديجة - رضی الله عنها - لتقول له مهدئة لروعه ومثبتة لفؤاده، وقد فزعه مالا عهد له به من مجيء الوحي إليه، وشدته عليه.. قالت له: «أبشر - يا ابن العم.. كلا - والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق..» فهذه الثقة التي عمر بها قلب أم المؤمنين، وهى أقرب المقربين إلى الصادق الأمين تصور مدى السمو الخلقى الذي اكتملت عوامله في ذاته الشريفة، ومدى الرقى الروحي الذي تفيض به نفسه حتى استحق من رب العالمين ذلك الثناء الجميل حيث قال الله تعالى عنه: ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾ القلم: آية ٤.

فهذه العظمة التي وصف بها خُلُقُ سيد المرسلين، تعنى أن ذلك الخلق فوق ما يتصوره بشر، أو يحيط بكنهه وصف أو خبر، لأن هذه العظمة من عظمة الله الذي اصطفاه واجتباها وتولى رعايته وهداها. فكان من عطاء رب العالمين.. فتبارك الله أحسن الخالقين.

لقد اجتمعت في شخص سيد الخلق أجمعين مكارم جميع الأنبياء والمرسلين، بل لقد رجحهم

جميعاً يدل على ذلك قوله ﷺ: «إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق» ومعنى هذا أن من سبقه من الأنبياء والمرسلين بعث كل منهم بقسط منها. ثم جاء ﷺ متمماً لها ومكملاً لرسالتها.. وما أعظم قول القائل:

فاق النبيين في خلق وخلق

ولم يدانوه في علم ولا كرم

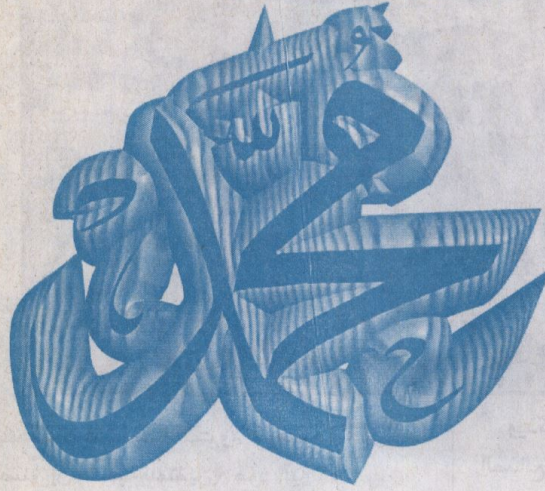
حقاً.. لقد كان الخلق المحمدي عظيماً لأنه كان الصورة الصادقة إلى ما بعث به سيد الخلق من آداب، وما أنزل عليه من كتاب..

سئلت السيدة عائشة - رضی الله عنها - عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن.. يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ثم قالت - رضی الله عنها -: «ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ. ما دعاه أحد من أصحابه أو أهل بيته إلا قال: لبيك. ولم يذكر خلق محمود إلا وكان للنبى - عليه الصلاة والسلام - الحظ الأوفر منه. فما أحوج المسلمين الآن إلى دراسة تلكم السيرة العطرة، واتباع السنة الشريفة التي تهدي إلى أكرم غاية. وأقوم سبيل.

فاتقوا الله - عباد الله - واجعلوا احتفاءكم بذكرى مولد الصادق الأمين احتفاء بما خلفه للإنسانية من مبادئ صانت العالم كله من الشر، وحمته من الفساد والمفسدين، وأعلموا أن العمل للحق حصن الأمان، والسير في طريق الهدى وقاية من عوادي الزمان، ومن أحسن العمل جنى أطيب الثمر، ومن ضل سعيه خاب أمله في الدنيا والآخرة، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا يتسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر..» أخرجه الترمذي. في سننه.

وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

خواطر في ذكرى مولد الحبيب ﷺ



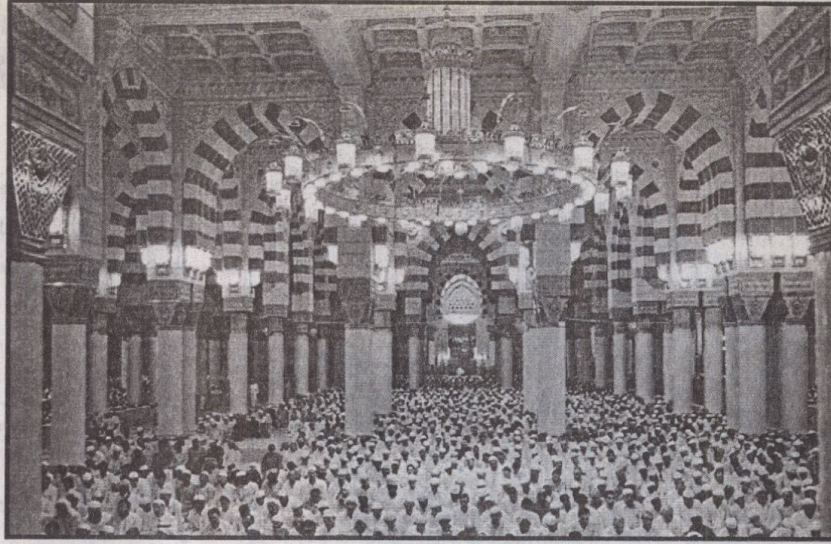
فضيلة الشيخ / فوزي فاضل الزفراف

سيدى يارسول الله: تهل علينا في هذه الأيام المباركة الذكرى العطرة لمولدك الشريف - عليك أزكى الصلاة وأتم التسليم - تهل علينا وقد تكالب أعداء الإسلام على أمتك، واجتمع الخصوم على تشويه الصورة الجميلة لدين الإسلام، الذى اصطفاك الله لحمل رسالته، وأداء أمانته، وبلغت بهم الوقاحة والندالة أن تجرؤوا على رسم الحبيب المصطفى في صور تخيلتها أفندتهم المريضة فيها إهانة وإسفاف لأكرم خلق الله وأفضلهم على الناس أجمعين!!

فكانت غضبة أمتك في كل مكان في العالم على من رسم تلك الصور، وعلى من أيد رسمها، وعلى من سكت ولم ينكرها.. غضبة أفرغت أعداء الإسلام، وأوقفت غرورهم الذى عاشوا فيه، وظنوا أنهم قاربوا على النهاية بالقضاء على الإسلام.. «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا»..

سيدى يارسول الله: إن التاريخ يسجل للإنسانية ذكريات، هي بمثابة مرآة عاكسة لأحداثها، تنظر فيها الأجيال المتعاقبة لترى فيها صور الماضي، فتعرف أحداث الخير وأسبابها، وتقف على أحداث الشر وعواملها، فتسلك بالأولى سبل الخير والرشاد، والهدى والصواب، والنجاة والفلاح، والتقدم والنجاح.. وتأتى وتتجنب وتبتعد بالثانية عن مهاوى الردى والهلاك، والضياع والخذلان، والضلال والخسران..

لقد جاء القرآن الكريم فجذب الانتباه، ولفت الأنظار إلى سجل التاريخ، وأخذ يقص على الناس كثيرا من أنباء وأخبار السابقين على بعثة الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - مصلحين ومفسدين، مؤمنين وكافرين، طائعين وعاصيين، مصدقين ومكذابين.. يقول سبحانه وتعالى: «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذابين» آل عمران: آية ١٣٧، ويقول: «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين» هود: آية ١٢٠، ويقول: «تلك من أنباء الغيب نوحيها



ويذكر القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح: ليرشد بها إلى ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في طلب العلم من الطاعة والامتثال، وحسن التواضع واحتمال المشاق في سبيل معرفة العلم وتحصيله، والصبر على عدم الوقوف على الأسباب إلى إدراك أسبابها: ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ الكهف: آية ٦٦.

ويذكر قصة ذي القرنين: فيقدم شخصية تعرف معنى العدل الذي تستقر به الحياة، وتطمئن به القلوب وتسكن به النفوس، وتضع قانونه الحازم ﴿أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا﴾ وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا﴾ الكهف: الآيات ٨٧، ٨٨. وتعرف هذه الشخصية - مع هذا - معنى النجدة والمساعدة، فتصد عدوان الظالمين على الأمنين، وترد غائلة المعتدين على الضعفاء الهادئين في أوطانهم ومساكنهم، المسالمين لغيرهم: ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل

إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ هود: آية ٤٩.

والقرآن الكريم عندما يقص علينا هذه الأنبياء والأخبار من سجل التاريخ، يبغي ويهدف إلى أن ينبه ويرشد بما يقص ويحكى من واقع الماضي إلى موضع العظة والاعتبار، والتأمل والتفكير.. وإلى ما يحمل ذلك الواقع من سنن مطردة، وقواعد منتظمة، بنيت عليها الحياة في خيرها وشرها، وقوتها وضعفها، وازدهارها واضمحلالها.. فهو يذكر - على سبيل المثال - قصة أصحاب الكهف: لا للتسلية والسمر، ولا للهو واللعب، وإنما يذكرها ليقدم بها أمثلة حية، ذات روح وحياة في قوة الإيمان والكفاح، والعزيمة والإصرار، والبعد بالنفس عن الخضوع للذلة والطفيلان، والخنوع والاستسلام: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا﴾ الكهف: الآيات ١٣، ١٤.

بيننا وبينهم سدا* قال ما مكى فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما* الكهف: الآيات ٩٤، ٩٥.

ويذكر القرآن الكريم قصة قارون وأصحاب الأخدود: مثلاً في البغى والطفیان، والظلم والعدوان، والتكالب على الدنيا، والشره في جمع متاعها، والأنانية في تملك أموالها، ورفض حقوق العباد فيها، وتسخيرهم نعم الله

في إيذاء خلق الله: ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيه من الكونز ما إن مفاتحه لتتوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين* وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ إلى أن يقول في خاتمته وعاقبة أمره: ﴿فخسفنا

به ويداره الأرض فما كان له من

فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ القصص: الآيات ٧٦ - ٨١.

ويقول: ﴿قتل أصحاب الأخدود* النار ذات الوقود* إذ هم عليها قعود* وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود* وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد* الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد﴾ البروج: الآيات ٤ - ٩.

وهكذا يسلك القرآن الكريم إلى القلوب، وينفذ إلى أعماق النفوس، عن طريق التذكير بسجل التاريخ للأحداث الماضية، للالتفات والانتباه، والوقوف مع النفس للمراجعة والحساب، وإعمال العقل والفطرة التي فطر الله الناس عليها،

للوصول إلى الحق والإيمان بالله.

وحتى يثبت القرآن الكريم في قلوب الناس - على وجه عام - صدق الإيمان بما يحكيه من سجل التاريخ عن ذكريات الماضي للأمم السابقة الضاربة في أعماق التاريخ، والتي كثيرا ما نسخت عصور الفناء آثارها، كما طوت أبطالها وعناصرها - وهي الفترة التي سبقت بعثة الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - حتى يثبت

ذلك ذكر الناس - والمسلمين على وجه خاص - وهم في المدينة المنورة، بأحداث المرحلة الأولى من الدعوة - وهم في مكة قبل الهجرة - بما كانوا عليه من الضعف والخوف، وقلة العدد، والتعرض للعدوان والأذى من الكفار - ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يخطفكم الناس فأوكم وأيدكم بنصره ووزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾

الأنفال: آية ٢٦.

سيدى يارسول الله: نحتفل بذكرى مولدك الشريف في هذه الأيام المباركة، فنستشعر عظمتك في جميع أطوار حياتك كلها، وهي عظمة متفردة، ليست من جنس العظومات البشرية المألوفة، فهي ليست من عظمة الملوك الجبارين الذين يستعذبون أنين الإنسانية، واستعباد الخلق وإذلالهم، وليست من عظمة القواد الطاغين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، ويسفكون الدماء، ولا يرون السعادة إلا في الفتك بالضعفاء، والتخريب والتدمير، وترويع الأمنين، وليست من عظمة الأغنياء الموسرين، الذين يستكبرون في الأرض بغير الحق، ويمنعون حق السائل والمحروم، ثم يسخرون عباد الله في شهواتهم وأهوائهم

ما أجدر المسلمين
اليوم أن يتعرفوا على
عظمة الرسول ﷺ
التي يستمد منها
العالم الحرغذاء
الروحي والمادى

بشيء من حطام الدنيا الزائل.

إنها عظمة هداية وإرشاد، عظمة رحمة وعطف، عظمة مودة وصلة، عظمة بناء وتعمير، عظمة سلم وأمان وأمن واطمئنان، عظمة تأخذ بيد الإنسانية إلى طريق الخير والفلاح، عظمة يستمد العالم منها غذاء حياته الروحية والمادية، عظمة تتمثل في تلك التعاليم التي وحدت بين قلوب متفجرة، وربطت بين قبائل مبعثرة متقاتلة، واستلكت الأحقاد والأضغان، وقضت على أسباب الكره والقطيعة والطغيان، وكونت من هذه القبائل المتنافرة أمة مهيبة الجانب، عزيزة المنال، ذات شخصية قوية استطاعت أن تسوس شعوب العالم على دعائم قوية من الحق والعدل، والعلم والمعرفة، والمساواة بين الذكر والأنثى، والحاكم والمحكوم، والغنى والفقر، والقوى والضعيف. وقررت أن الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى.

تلك التعاليم التي قررت مبدأ حرية العقيدة، وأنه لا سلطان لمخلوق فيها على مخلوق **﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾** يونس: آية ٩٩، **﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾** اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا* من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا **﴿الإسراء: الآيات ١٣ - ١٥.**

تلك التعاليم التي ما تركت فضيلة إلا حثت عليها، ولا رذيلة إلا حذرت منها، تلك التعاليم التي غرست بذور الخير في جميع نواحيه، ونهضت بالإنسانية من كبوتها، وسمت بها إلى المكانة اللائقة بها، مكانة الخلافة عن الله رب العالمين. إنها عظمة نبي ورسول تولاه الله برعايته، وصنعه بيده، آواه من يتم، وأغناه من فقر، وهده من ضلال، وظل يغمره بالفضل والإحسان حتى

بلغ أشده واستوى في أفق الإنسانية الأعلى، وتهيأت نفسه لتلقى الرسالة العامة الخالدة التي ختمت بها رسالات الحق إلى الخلق، فأرسله الله رحمة للعالمين، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، أرسله بدين أساسه الإيمان بالله واليوم الآخر، وقوامه مكارم الأخلاق وصالح الأعمال **﴿ياأيها المدثر﴾** قم فأنذر* وربك فكبر* وثيابك فطهر* والرجز فاهجر* ولا تمنن تستكثر* ولربك فاصبر **﴿المدثر: الآيات ١ - ٧.**

سيدى يارسول الله: ما أجدر المسلمين أن يتعرفوا عظمة نبيهم محمد - عليه الصلاة والسلام - وأن يقرءوا سيرته العطرة في جوانبها المتعددة، منذ ولادته، بل ومن قبل ولادته، إلى أن لقي ربه وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة.. إنها سيرة إمام المرسلين، وخاتم النبيين، الذى حباه الله بالتكريم، وحيّاه في القرآن الكريم بالخير العميم، فى قوله تعالى - عز وجل -: **﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾** القلم: آية ٤٤.

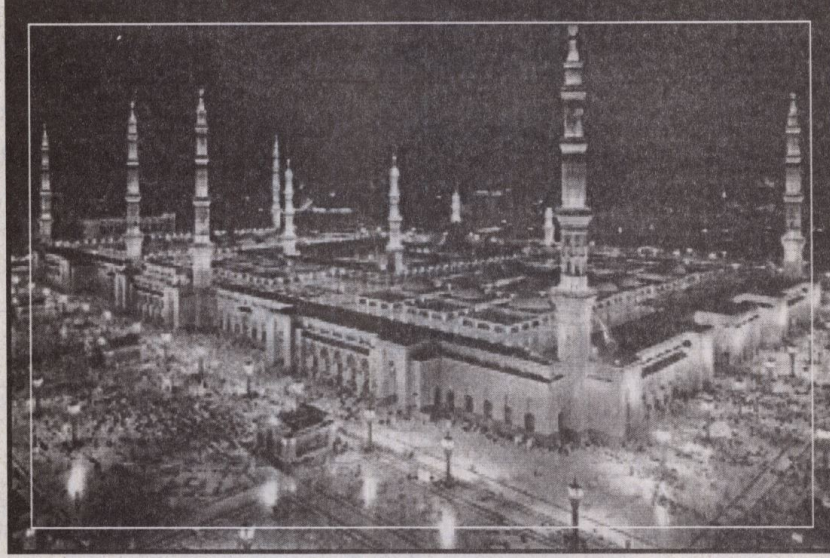
سيدى يارسول الله: ما أجدر المسلمين اليوم أن يتعلموا كيف يشرحون سيرة رسولهم محمد - عليه الصلاة والسلام - ويوضحون عظمتها لغير المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، بلغتهم التى يتكلمون بها، وبالخطاب الدينى الذى يفهمونه، وبالأسلوب الذى حدده الله لرسوله الكريم **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾** النحل: آية ١٢٥.

سيدى يارسول الله: إن قراءة سيرتك العطرة، والحديث والكتابة عن تاريخك العظيم، متعة لا تعدلها متعة، وزاد للفؤاد لا يشبع منه، ومعرفة وثقافة تعلق بالإنسان إلى الملام الأعالى، وحماية وحصانة من وساوس الشياطين، وقوة رادعة ضد أعداء الحق والدين.. عليك أفضل الصلاة وأزكى السلام.

..وسقط أدعياء الحرية الزائفة بسموم أقلامهم

«الرسوم المسيئة للرسول ﷺ بين حرية التعبير واحترام المقدسات»

ندوة
بالأزهر
حول:



إلا محمد ﷺ.. صيحة هادرة مدوية انطلقت بها القلوب قبل أن تهتف بها الحناجر، تجوب الأفاق في مشارق الأرض ومغاربها لتوقظ البشرية وتعلن على مسامع الدنيا أن الظالمين قد جاوزوا المدى وتناولت أقلامهم المسمومة وتجاسرت على خير الورى.. ولو قدروا هذا الرسول الكريم حق قدره لانحنوا إجلالا وتعظيما لهذا النبي الأُمى الذي قاد أعظم انقلاب في تاريخ البشرية في فترة من أحط فترات التاريخ التي تدنت فيها الإنسانية وانحدرت القيم إلى الدرك الأسفل، وفقد الإنسان بصره وبصيرته بعد أن انطفأت مصابيح الهدى وغرقت البشرية في ظلام دامس وراحت في سبات عميق.

متابعة وإعداد: مصطفى إبراهيم خيان

د. محمد فؤاد البرازي:

ادعو كافة الأطراف إلى
التهدة لتهيئة المناخ
الملائم لإصدار قانون
يجرم ازدراء الأديان

الاستقرار ويحل بالأمن، وقال إن الإرهابيين اتخذوا من الإسلام جسرا لهم لتحقيق مآربهم. ثم تساءل (رئيس الوزراء) لماذا يلجأ هؤلاء إلى العنف؟ وقال إن على الجاليات الإسلامية أن تتعاون مع الجهات الرسمية للقضاء على هذه الظاهرة، ونحن لا نحمل هؤلاء وزر الإرهاب ولكن يجب أن يكونوا أول من يجارب هذا الفكر المتطرف.

التعرض للأديان

وأضاف الدكتور محمد فؤاد البرازي إنه عندما أتحت لي فرصة الحديث أكدت أن الإسلام يدين العنف والإرهاب ويرفضها لما في ذلك من استهداف للأمنين والإضرار باقتصاد البلاد وأمن المجتمع، ونحن نؤكد على ضرورة احترام القانون وتحقيقا لذلك عقدت الرابطة مؤتمرات للتنديد بالإرهاب ثم اقترحت عددا من الأفكار منها منع وسائل الإعلام من التعرض للأديان لما يخلف ذلك من مشاعر البغض والكراهية في النفوس، مع ردود أفعال شديدة تستتبع ذلك، مما يمنح المتطرفين مبررا للعنف كما حدث من قبل في هولندا كرد فعل على الفيلم الذي أساء للإسلام هناك.

ازدواجية المعايير

واستطرد رئيس الرابطة الإسلامية بقوله: أشرت إلى أنه من المؤسف أن تتعامل وسائل الإعلام بازدواجية في معايير النشر فتحجم عن نشر المواقف الإيجابية للجالية الإسلامية على حين تترقب أي سلبية ولو كانت ضئيلة للغاية لتقوم بتضخيمها والتفخ فيها، الأمر الذي يتسبب في حدوث الاحتقان بين أوساط المجتمع ويبث

في ظل هذا الجو المكفهر الملبد بغيوم الضلالة والوثنية الفارق في المادية أشرقت شمس الإسلام بنور محمد ﷺ حاملا رسالة تضع الموازين القسط وتمحو ظلام الجاهلية وتعيد بناء الإنسان وصياغة الحياة الإنسانية على منهج قويم وصراط مستقيم، واستطاع الهادي البشير أن يغزو أعماق أعماق النفس الإنسانية بهديه وحكمته ورحمته التي اتسعت للبشرية جمعاء.. وإذا كان

هناك من يطلع علينا ليتناول على خير خلق الله فإن الرياح قد جاءت بما لا يشتهي الغرب وكانت الصحوة الكبرى التي سادت العالم أجمع إزاء الرسوم المسيئة للرسول ﷺ.

وفي تحرك واع عقدت بمركز صالح كامل ندوة حول «الرسوم المسيئة للرسول ﷺ بين حرية التعبير واحترام المقدسات» شارك فيها الدكتور محمد فؤاد البرازي - رئيس الرابطة الإسلامية بالدنمارك - والدكتور

محمد عبدالحليم عمر - مدير مركز صالح كامل - والدكتور جعفر عبدالسلام - الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية ..

جنوح الشباب

الظروف والملابسات التي شابت أزمة الرسوم الكاريكاتورية كانت محور حديث الدكتور محمد فؤاد البرازي - رئيس الرابطة الإسلامية بالدنمارك - الذي اتسم بقدر كبير من العقلانية وبعد النظر؛ حيث أوضح قائلا البداية كانت عندما وجه رئيس الوزراء الدنماركي «أنس فرغ راسموسن» الدعوة إلى ٢١ شخصا من الجاليات الإسلامية في العشرين من سبتمبر ٢٠٠٥م لمناقشة جنوح بعض الشباب المسلم - على حد قوله - مما يزعزع

د. محمد عبد الحليم عمر:

عادت ريح المسلمين
قوية بفضل
الإجماع الإسلامي
على التصدي
الفعال للحملة

الكراهية في نفوس الدنماركيين إزاء الجالية الإسلامية، وعندما أصدرت بيانا استنكر فيه تقجيرات لندن لم تقم وسائل الإعلام بنشرها، وقلت للحضور لو أنني قلت العكس أي أنني أؤيد هذه التفجيرات وأنه تعبير عما يشعر به مرتكبو الحادث من ظلم وقهر، هل كان الإعلام الدنماركي سيتجاهل هذا التصريح، أم يضخمه ليصنع منه مادة دسمة لمهاجمة الإسلام

وتخرج علينا الصحف بعنوان كبير يقول أكبر داعية إسلامي يؤيد العنف والإرهاب؟! هكذا يتعامل معنا الإعلام الدنماركي ونحن نأمل في إعلام متوازن يبرز الحقائق.

حرية غير مسئولة

وأجاب رئيس الوزراء بأن الصحافة حرة ولذلك فهي تنتقد الحكومة وتنتقده هو شخصيا ولا يستطيع منعها أو تقييد حريتها ولكنني - والكلام للدكتور فؤاد البرازي - أكدت لوسائل الإعلام

احترامي لحرية الصحافة شريطة ألا تتعرض للأديان، وقلت إنني أقيس تقدم الأمم بمقدار ما تمنحه من حرية للصحافة ولكنني ليس مع من يسئ أو يتعرض للأديان بما يؤدي إلى احتقان المجتمع، وقد عبر رئيس الوزراء عن ارتياحه من موقف الجالية الإسلامية، ولكن وسائل الإعلام ما كانت ترغب في أن يخرج رئيس الوزراء بهذا الانطباع الجيد عن المسلمين حتى إن بعض الصحف كتبت تقول إن المسلمين لا يزالون يعيشون في عصور الظلام ويريدوننا أن نعيش مثلما يعيشون.

وفي يوم ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م حدثت الواقعة التي فجرت بركان الغضب لدى المسلمين حين

أقدمت صحيفة يولاند بوسطن على نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول ﷺ، ولكنني أود أن أؤكد هذه الفعلة النكراء تخص الصحيفة وحدها ولا علاقة للحكومة بذلك.

مظاهرة سلمية

وأشار الدكتور البرازي إلى أن المؤسسات الإسلامية قد دعت بعضها بعضا للبحث عن الرد المناسب على التصرف المشين

للصحيفة وقال: تقدمت باقتراح يدعو إلى رفع دعوى قضائية ضد الصحيفة لكنهم طلبوا مني إرجاء ذلك، فقامت الرابطة الإسلامية بتنظيم مظاهرة سلمية في الرابع عشر من أكتوبر ٢٠٠٥م وهي أول مظاهرة احتجاجية، وقمنا برسم طريق تحركها بحيث تتفادى المرور على مقر الصحيفة حتى نتجنب أي احتكاك يمكن أن يحدث بين المتظاهرين والعاملين بالصحيفة،

كما حرصنا على أن نردد هتافات أعدت بعناية كاملة لتؤدي الغرض المنشود، ولأول مرة خرجت الصحافة لتشي على الصورة الحضارية للمظاهرة الإسلامية؛ حتى إن صحيفة بوليكل وهي أكبر صحيفة دنماركية أشادت بالمظاهرة مؤكدة أنها شديدة التعبير، وقوية التأثير، وعند وصول المسيرة إلى وسط العاصمة قمت بإلقاء بيان طالبت فيه وسائل الإعلام بالإنصاف وعدم إثارة الأحقاد وجددت المطالبة بضرورة اعتذار الصحيفة، وضرورة إصدار قانون يمنع التعرض للأديان.

حلول عملية للأزمة

وقد أعلن الدكتور البرازي عن مبادرة للرابطة

د. جعفر عبد السلام:

القانون المصري يكفل حرية التعبير ويجرم التطاول على الأديان

المقاطعة نذكر:

- **مقاطعة مشركى مكة للرسول ﷺ** ولن معه من المسلمين ولن يحميهم فيما عرف بخبر الصحيفة فكتبوا بذلك وثيقة تعاهدوا فيها بالآلا يناكحهم ولا يبيعهم ولا يتاعوا منهم ولا يدعوا سببا من أسباب الرزق يصل إليهم.. والتزم كفار قريش بهذه المقاطعة ثلاث سنوات اشتد فيها البلاء على الرسول والمسلمين ومن ناصرهم حتى بلغ بهم الأمر أن أكلوا ورق الشجر إلى أن جاءت عناية الله وانتهت المقاطعة.

ومن المقاطعة أيضا ما قام به الزعيم الهندي غاندى بالامتناع عن أى سلع إنجليزية، مما كان له عظيم الأثر فى جلاء الانجليز عن الهند.

ومن ذلك أيضا المقاطعة العربية لإسرائيل ومن يناصرها والتي بدأت جذورها عام ١٩٢٩م، وفى عام ١٩٤٥م تشكلت لجنة دائمة بموجب قرار مجلس الجامعة العربية تحولت إلى مكتب دائم بدمشق عام ١٩٥١م ثم صاغت الجامعة العربية الإطار القانونى والتتظيمى للمقاطعة عام ١٩٥٤م وتضامن مع العرب فى المقاطعة أكثر من ٢٥ دولة صديقة مما زاد من عزلة إسرائيل التى قدرت خسائرها الاقتصادية بما يربو على تسعين مليار دولار، مما دعا الولايات المتحدة على تفكيك المقاطعة مستغلة التحولات فى السياسة العالمية وصنود اتفاقيات الجات.

الجهاد السلبي

وعن موقف الشريعة من المقاطعة أوضح الدكتور محمد عبدالحليم عمر أن الأصل فى العلاقات مع الآخر فى الإسلام هو الاعتراف

الإسلامية لحل أزمة الرسوم الكاريكاتورية ومما اشتملت عليه المبادرة:

- **إدانة الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للإسلام وللتبى محمد ﷺ** والتأكيد على قبول الاعتذار الذى تقدمت به الجريدة أملا فى عدم عودة الإعلام إلى نشر ما يسئ للمقدسات الدينية.

- اعتبار أن ترحيب رئيس الوزراء الدنماركى باعتذار الصحيفة بمثابة خطوة على طريق إنهاء الأزمة.

- تهيب الرابطة بالدول العربية والإسلامية لتبنى قرار يصدر من الأمم المتحدة يدعو إلى عدم المساس بالأديان السماوية ومعاقبة من يزدري أو يسئ إليها.

تدعو الرابطة كافة الأطراف إلى التهدة لتوفير المناخ المناسب لإصدار قانون محلى ودولى يجرم الإساءة للأديان.

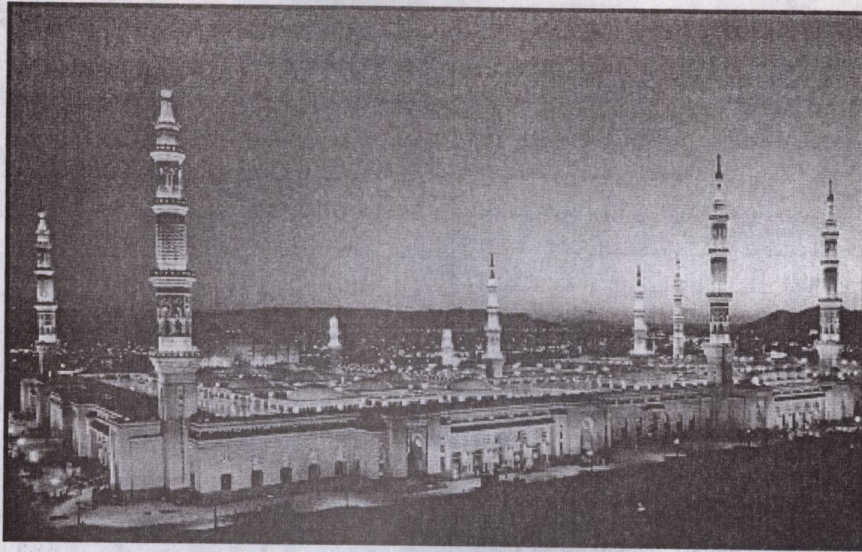
تدعو الجالية إلى ضرورة مراعاة حقوق الجالية الإسلامية

من كافة المعنيين بالأمر عند مناقشة أى حل يستهدف إنهاء الأزمة لئلا يؤدى ذلك إلى نسيان الجالية وعزلها، ثم إهدار حقوقها.

سلاح المقاطعة

وأشاد الدكتور محمد عبدالحليم عمر - مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى - بالنتائج الإيجابية التى ترتبت على قيام أبناء العالم الإسلامى بمقاطعة السلع الدنماركية، داعيا إلى استخدام سلاح المقاطعة كرادع لكل من تسول له نفسه الاعتداء على الإسلام والمقدسات الإسلامية.

وقال إن المقاطعة من أمضى الأسلحة وأقواها التى استخدمت منذ القدم ومن نماذج هذه



تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِئَنَّ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام: آية ٦٨.

تغليب مصلحة الدين

وشدد الدكتور عبدالحليم عمر على أنه عند الموازنة بين ما تسببه المقاطعة من خسائر اقتصادية وبين ضرورة المحافظة على مقدساتنا وديننا فإن علينا تغليب مصلحة الدين والمقدسات استرشادا بدعوة القرآن إلى ضرورة المحافظة على الدين وأن الله سيعوضنا بكرمه وفضله عما يحق بنا من خسائر، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ التوبة: آية ٢٨.

أما عن أهم الدروس المستفادة من المقاطعة الإسلامية للرسوم المسيئة للرسول ﷺ كما يرصدها الدكتور عبدالحليم عمر: أن المقاطعة أظهرت مدى الحب الذي يكنه المسلمون للرسول

والتعارف والتعاون على البر والتقوى لقوله تعالى مخاطبا كل الناس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات: آية ١٣.

وكما دعا الإسلام للجهاد الإيجابي بالسلاح وبالكلمة الطيبة والجدال الحسن فهناك الجهاد السلبي وهو المقاطعة ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الممتحنة: آية ٩.

فالتولى هنا معناه النصرة والمحبة والود والبر، ومن النصرة المد بأسباب القوة، والاقتصاد من أهم عناصر قوة الأمم وبالتالي فإن التعامل الاقتصادي مع الدول التي تعتدى على المسلمين يزيد اقتصادها قوة وينطوى على موالاة لهم وهذا ما تنهى عنه الآية الكريمة.

من جانب آخر فتجن مأمورون بعدم مخالطة من يسئ إلى الإسلام بالكلام حيث يقول الله

ﷺ كما أظهرت جدوى التحرك الشعبي الكامل الذي بدأ قبل أن تتحرك الأجهزة الرسمية وأكدت مدى إمكانية توحيد المسلمين في جميع أنحاء العالم. ولأول مرة في التاريخ الحديث يهتم الغرب بالمسلمين وبكلمتهم وبدأ الكل يراجع نفسه ومواقفه وعادت ريح المسلمين قوية مؤثرة نظرا لما ساندتها من إجماع وتوحد للمسلمين في وجه الحملة، وحتى يتحقق الردع الكافي لكل من تسول له نفسه الاعتداء على الرسول ﷺ يجب تفعيل المقاطعة واستمرارها. كما يلزم إنشاء تنظيم شعبي على مستوى العالم الإسلامي موازيا للمنظمات الإسلامية ليساندها في الدفاع عن الإسلام.

الموقف القانوني

وتناول الدكتور جعفر عبدالسلام - الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية وأستاذ القانون الدولي - بالتحليل للموقف القانوني من قضية الإساءة للأديان، مشيرا إلى أن ذلك يعد جريمة في القانون المصري تسمى بازدياء الأديان، ويشمل ذلك مختلف الأديان وليس الإسلام وحده، وقد تصل عقوبتها إلى الحبس لمدة ثلاث سنوات ونحن في مصر نمارس حرية التعبير بشكل عام ونحترم الأديان ونحميها من أي مساس.

أما بالنسبة للقانون الدولي، فهناك العهد الدولي للحقوق السياسية والمدنية وهو يتحدث عن حرية التعبير ويعطى الكتاب والصحفيين الحق في أن يلتمسوا الأخبار والمعلومات وما يمكن أن يكونوا به رأى من مصادرها، ويعطى لهم الحرية في التعبير عن آرائهم بالشكل الذي يرونه سواء كان على هيئة كتابة أم حديث أم رسم، وقد صدقت على هذا القانون أكثر من ١٨٠ دولة في العالم.

حدود الحرية

وعدد الدكتور جعفر عبدالسلام أهم مواد القانون ومنها: المادة ١٩ وقد اختصت بالقيود التي تفرض على

بعض الممارسات وتتنص على أن القيود لا بد أن يكون مصدرها القانون، وهي تؤكد على «أنت حر مالم تضر»، و«حريتك تتوقف عندما تمس حريات الآخرين»، ولذلك فإن القانون يعاقب على جرائم القذف والسب، والقذف يعنى واقعة لو صحت لعدت جريمة تؤدي إلى احتقاره من بنى وطنه. أما المادة ٢٠ من القانون فهي ترفض الدعوة إلى العنصرية أو التمايز الأسمى أو الدينى أو أى دعاوى في النشر تسيء إلى المجتمع وتزلزل أركان السلام الاجتماعى.

التلويح بمعادات السامية

وأضاف الدكتور جعفر عبدالسلام: إن إسرائيل تمكنت من انتزاع قانون يمنع معاداة السامية، واستخدمته كسلاح ترهب به كل من يتعرض للصهيونية بالحديث أو النقد، مثلما حدث مع كاتب بريطاني لمجرد أنه شكك في أعداد اليهود الذين تعرضوا للمحارق النازية، ولم يشفع له تراجع عن رأيه من أن يتعرض للسجن لمدة ثلاث سنوات، ونحن في مصر نتعامل مع الأديان باحترام كامل وبصورة أشمل وأعم مما يتعامل به غيرنا؛ ولذلك أطالب المجتمع الدولي باستصدار قانون يعاقب كل من يتعرض للأديان بسوء.

رد الفعل السريع

وطالب الدكتور محمود سالم الشيخ - نائب رئيس جامعة فلورنسا بإيطاليا - بأن يكون تحركنا سريعا، ورد فعلنا في الوقت المناسب إزاء من يتعرض لدينا الإسلامى حتى تؤتى مواقفنا ثمارها المرجوة.

وقال إن علينا أن نتحدث من موقف القوة ونحن مرفوعو الرأس؛ فالإسلام دين شامخ ليس فيه ما يعتذر عنه ولذلك فهو ليس في حاجة إلى من يدفع عنه التهم التي تلصق به جزافا، وعلى كل مسلم أن يبدى رأيه بصراحة ووضوح في كل ما يدور على الساحة، وكل ما يحاك لنا دون أن يحنى رأسه أو يفرط في مبادئه.

فَلْنَنْصُرِ الْهَادِيَ

شعر / زكريا عبد المحسن على سيد

خير الورى يا سيد الأكوان * * * وحبيب ربي.. صفوة الرحمن
وامام كل المرسلين.. جميعهم * * * وشفيعنا من قبضة النيران
يا صاحب الحوض الأغبر لأمة * * * ساعدت بنورك.. منحة الديان
عدرا فقد عصفت بنا دنيا الهوى * * * وتفرق الشمل العتيق الهانى!!
والزيف أقبل مستبيحا دورنا * * * والنسل أضحى خاوى البنيان!!
والعدل يصرخ فى البقاع فلا يرى * * * عمرا وصوت الشعر فى حسان
فالدش يهجم كالشهاب مدمرا * * * خلق البرايا والديار تعانى
ونرى التبج صار رمز حضارة * * * تطغى لترجع صفوها لثوان!
والغرب أطلق للجهاالة علمه * * * متماديا فى الشر والخذلان
وصحافة حمقاء تظهر حقدها * * * لتعيد ثرثرة على الأذان
عبثا تقول على الرسول محمد * * * وهو خير من نشر الهدى بأمان
نادى إلى الرحمن فاتجهت له * * * أمم تكبر من بنى الإنسان
وتألفت فالدين يجمع شملها * * * وإليه قد هرعت جموع الجان
ترجو النجاة من العلى ورحمة * * * فقد اكتوت فى ظلمة العصيان
هذى الوفود من المشارق قد أتت * * * ومن المغارب فى هوى الإيمان
الأرض دانت للعدالة كلها * * * وهوى ضلال الفرس والرومان
والأمن يسطع شامخا فوق الدنا * * * ويضم كل الخلق فى تحنان
هل أصبح الإسلام إرهابا لهم؟ * * * والمسلمون بطانة الطغيان؟
فالقدس ذقت من سياط حقوقهم! * * * وعراق يهتف ضائق الأركان!
فالكفر يمضى فى الضلال بشرعه * * * لينال مجدا فى حمى الفرسان
يا أمة الإسلام ضمى وحدة * * * وتسيدى العلياء بالقرآن
وارمى عدو الله فى جنباته * * * يهوى ذليلا مغلق الأذهان
كى ننصر الهادى.. نعز بنصره * * * ونحوز مجدا وارف الأغصان
ونراه يوم الحشر يصحبنا إلى * * * صفو الجنان وظلها الفينان



استقبل الرئيس محمد حسني مبارك والسيدة قرينته الأميرة تشارلز ولي عهد بريطانيا وقرينته دوقة كرونيل الذين زارا مصر وأقام الرئيس مبارك حفل استقبال للأمير ويلز ودوقة كرونيل شمل مأدبة عشاء أقامها الرئيس للضيف البريطاني وحضرها رجال الدولة

**الأميرة تشارلز يلقى محاضرة بقاعة الإمام محمد عبده
ويتسلم الدكتوراه الفخرية من جامعة الأزهر**

إعادة الاحترام المتبادل بين الأديان وأحياء ما تتمتع به الحضارة الإسلامية

وفي كلمته أكد فضيلة الإمام الأكبر
أن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية
والاعتدال ونبتذ التعصب الأعمى، كما
أن شريعة الإسلام تؤكد الأخوة
الإنسانية، والإنسان السوي لا يستطيع
أن يعيش بدون عقيدة يؤمن بها .

متابعة واعداد: منير بيومي

في قاعة الإمام محمد عبده، بجامعة الأزهر الشريف
بالدراسة استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد
طنطاوي شيخ الأزهر الأميرة تشارلز أمير ويلز وولي عهد
بريطانيا وقرينته كاميللا باركر (دوقة كرونيل) لمنحه درجة
الدكتوراه الفخرية في حضور رجال الدين الإسلامي والمسيحي
والعديد من الوزراء وأعضاء مجلس الشعب وعلماء الأزهر.



الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل الأمير تشارلز وقرينته في بدء زيارتهما للجامع الأزهر

الإيمان بأهمية العلم النافع باعتباره القاسم المشترك بين الحضارات التي تسعى إلى خير الإنسانية وسلام مجتمعاتها، إنه الأزهر العريق الذي يرحب بسموكم وسمو الأميرة ضيفين عزيزين على مصر وجامعة الأزهر.

سمو الأمير: لقد تعلمنا من ديننا قول الله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا»، وهذا الأمر الإلهي هو المدخل الطبيعي لعالم يسوده السلام والتسامح ويقوم على علاقات متكافئة بين الإسلام والغرب وبين الإسلام وكل شعوب الأرض. وفي ذهني - سمو الأمير - عبارات متألقة قلمتها في أكتوبر ١٩٩٣م في المحاضرة القيمة التي أقيمتها في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية عن «الإسلام والغرب». وقلتم فيها: «من الغريب أن يسيطر سوء الفهم على العلاقة بين الإسلام والغرب لأن ما يربط بين عالمنا أكبر مما يفرقهما».

وأوضح أن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون، وأنه لا إكراه على العقائد، لأن الإكراه لا يأتي بمؤمنين صادقين وإنما بمنافقين كذابين مشيراً إلى موجة الغضب الذي سببته الصور المسيئة للرسول ﷺ وطالب مجدداً الأمم المتحدة بإصدار قانون يجرم الإساءة للأديان وازدراءها على أن يكون ذلك في أقرب وقت ممكن مؤكداً ضرورة التزام كل دولة بتنفيذه، مشيراً إلى أن الإساءة التي وجهت للرسول ﷺ هي إساءة للمسلمين جميعاً موضحاً أن الإسلام يحث على احترام كل الرسل والأنبياء.

وأوضح الإمام الأكبر أن الأمير تشارلز يدعو إلى نبذ التطرف، ويدعو إلى التعاون بين الحضارات وهو أمر تدعو إليه شريعة الإسلام. وأضاف في كلمته: إننا حينما نستقبل ضيوفنا في الأزهر نستقبلهم في صرح عميق من صروح العلم والثقافة في العالم، أسهم بعمق في نهضة الفكر الإنساني، وأدى دوره المرموق في تحقيق

جامعة الأزهر - إلى أن منح الأمير تشارلز درجة الدكتوراه الفخرية جاء تقديرا لمواقفه العادلة تجاه الحضارة الإسلامية، ودعمه حوار الحضارات والثقافات مما يمثل بارقة أمل للخروج من أزمة العالم المعاصر، وما يعانيه من مشكلات تهدد المنجزات التي تكاد تغطي على إبداعاته.

وفي كلمته حول التوحد في الإيمان قال الأمير تشارلز:

لقد تأثرت بالغ التأثير عندما علمت أنكم قررتم دعوتي لأتحدث إليكم في هذا الصرح الديني والعلمي العتيق والتليد، ولقد أكرمتوني بالغ الإكرام بدعوتكم هذه، كما أنني يشرفني بصورة خاصة أن أزور جامعة الأزهر الشريف، وفي الحقيقة أن أزور مصر التي أكن لها محبة خاصة، وهي البلد الذي يعتبره الكثيرون بلدا ذا قداسة خاصة إذ كان ملاذا لجأ إليه السيد المسيح في بواكير طفولته.

اسمحوا لي أن أبدأ حديثي بذكر محامد الرجل الذي كان أول من شجعني على أن أقبل الدعوة لأتحدث في هذا المكان. إنه صديق عزيز وأحد الذين تخرجوا في هذه الجامعة العريقة، ألا وهو فضيلة الشيخ زكي بدوي، الذي كانت وفاته فجأة في شهر يناير الماضي صدمة هائلة أحزنت العديد من الناس في العالم حزنا عميقا، فقد كان الشيخ زكي بدوي حقا يتصف بالحكمة والمعرفة وبالتواضع الذي هو من شيم العالم الأصيل، أدخل - رحمه الله - الآخرين في رحاب علمه الواسع، وكان في كل ذلك يأسر محدثه بما يتمتع به من روح الفكاهة وحضور البديهة.

أنا لا أدعى أنني من أولى العلم، اللهم إلا إنني

كما قلت: «إن الحكم على الإسلام قد شابه كثير من التحريف، ولا شك أن هذا خطأ جسيم». وقلت سموكم أيضا: «إن علينا ألا ننساق وراء الاعتقاد بأن التطرف سمة المسلم وجوهره، فالتطرف ليس وقفا على الإسلام بل ينسحب إلى ديانات أخرى بما فيها الديانة المسيحية، وأن الغالبية العظمى من المسلمين يتسمون بالاعتدال، وأن الإسلام هو «دين اعتدال» والنبى محمد ﷺ نفسه كان يمقت التطرف وينكره ويحذر منه».

سمو الأمير: لاتزال كلماتكم الطيبة عن الإسلام ماثلة في ذهن حين قلت: «إن حضارة الإسلام جزء من ماضى أوروبا وحاضرها في جميع مجالات البحث الإنسانى، وإنها أسهمت في إنشاء أوروبا المعاصرة وإنها جزء من تراث أوروبا والغرب وليست شيئا منفصلا عنها».

سمو الأمير: إن التذكير

بالمعاني النبيلة، والأفكار القيمة التي وردت في محاضرتكم يحتاج منا إلى وقت طويل، وهي جميعا تعد ثمرة لدراستكم الجادة وتعبيرا عن رؤيتكم الثاقبة والمنصفة وموقفكم المتبصر الرشيد مما يحدث في أرجاء العالم بأثره، كما أنها أيضا تمثل دعوة مخلص للحوار الهادئ القائم على البحث المنصف والتحليل الدقيق والاحترام المتبادل بين الأمم، وهي أيضا في نهاية المطاف عودة للقيم الدينية والروحية الرفيعة.

لكل ذلك فإن جامعة الأزهر، وتقديرا منها لشخص سموكم ورفيع ثقافتكم، ترحب بسموكم وتبلغكم قرار مجلس جامعة الأزهر بمنحكم الدكتوراه الفخرية.

ومن جهته أشار الدكتور أحمد الطيب - رئيس

الأديان السماوية جذورها مشتركة وأتباعها مطالبون بالحفاظ على قيمها



الأمير تشارلز وقرينته أثناء جولتهما بأروقة الأزهر

درست التاريخ في جامعة كمبريدج، ولى اهتمام خاص بالتراث الذى ولدت فيه، وهو تراث إبراهيم الحنيف الذى يجمع اليهود والمسيحيين والمسلمين، فلقد كان لهذا التراث الفضل في تشكيل شخصيتي وتكوين ذاتي، واليوم أقف بينكم واحدا من أولئك الذين ينتمون إلى تلك الأسرة من الأديان التي يربط بينها تراث إبراهيم.

جذور مشتركة من الإيمان

إن جذور الإيمان في أدياننا جذور مشتركة، فكلنا نؤمن بما

آمن به إبراهيم بأن الله إله واحد، وهذا ما يسبغ علينا جميعا قيما ومثالا لا تبلى ولا تزول، علينا أن نتحلى بالشجاعة لنعبر عن هذه القيم ونؤكد لها مرة بعد أخرى في عالم مضطرب بما يشهده من التغيرات والاختلافات، وقبل أي شيء آخر، فإن هذا هو ما أود أن أتذكره لكم من حديثي إليكم اليوم أولا، وقبل ما عداه، لننتذكر أسمى القيم في تراثنا المشترك النابعة عن محبة الله، وهي الاحترام الذي يكتنه بعضنا لبعض ولكل ما خلقه الله سبحانه وتعالى، فما الاحترام الذي نكتنه للخلقة والبيئة التي نعيش فيها إلا تعبيراً عن الاحترام الذي نكتنه للخالق العظيم الذي أوحى بالوجود كله.

ثانياً، وتباعاً لما سبق، إن معتقداتنا والمبادئ والمثل التي نؤمن بها تدعو إلى إقامة السلام لا إلى الحرب والخصام، فالإنسان مدفوع بحكم طبيعته إلى أن ينتقد أخاه الإنسان ويتنافس معه، ولكن ما يربط بيننا كمؤمنين بالله يدعونا جميعاً أن نسمو بأنفسنا إلى تبادل الاحترام والتفاهم.

وثالثاً، فإن تراث إبراهيم العظيم يعتبر أن

مرسى الأديان هو القلب، وهو خارج حدود إدراكات العقل وأحكامه، فمهما كانت مكانتنا في المجتمع الإنساني ومهما كانت الامتيازات أو العوائق التي نجدها في قدراتنا ومعارفنا فإننا ننظر إلى حقيقة الإيمان بتلك العين البصيرة، أي «عين القلب» وذكروا النبي موسى ﷺ بأن القلب هو عرش الإيمان إذ يقول: «فتحب الرب إلهك من كل قلبك» (تثنية ٤/٦). وإنني على يقين بأن الأديان السماوية تخاطب عبر نصوصها المقدسة القلب، فالإيمان يجد ذاته شعور نابع من القلب.

وعلى الرغم من أنني أقدر - حق التقدير - الروابط التاريخية التي تجمع بين الأديان التي تعود جذورها إلى رسالة النبي إبراهيم ﷺ فأنا لا أريدكم أن تظنوا - ولو للحظة واحدة - بأنني أعتبر تلك الأديان كلها متساوية ومتشابهة في كل الأمور، فهناك فوارق علينا أن نعتز بها ونحبها، ولكن لأدياننا في الأمور ذات الأهمية القصوى جذورا مشتركة، وفي نظري أن غاية الله في خلقه لاشك فيها ولا ريب، فقد أراد الله لنا أن نتعارف

وتتألف متحدين رغم تنوع أدياننا واختلاف مذاهبنا، وكما هي مؤثرة في النفس حقا تلك الآية القرآنية الكريمة حيث يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات: آية ١٣.

تاريخ أوروبا والعالم الإسلامي

كانت المرة الأولى التي عبرت فيها علنا عن رأيي بالنسبة للعلاقات بين الإسلام والغرب في عام ١٩٩٣م في كلمة ألقيتها في جامعة عظيمة أخرى هي جامعة أكسفورد، وذكرت في حديثي آنذاك أمرا سبب لي منذ تلك اللحظة كثيرا من القلق والتحسب، فقد قلت في كلمتي: «... رغم ما تحقق من تقدم في التكنولوجيا وفي اتسار الاتصال الجماهيري في النصف الثاني من القرن العشرين، ورغم قيام جماهير غفيرة من الناس بالسفر والترحال واختلاط الأجناس والأعراق، فإن سوء التفاهم بين الإسلام والغرب مازال قائما، والواقع أنه في تزايد» (محاضرة «الإسلام والغرب» في مسرح شيلدوتيان - أكسفورد، ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣م).

والمأساة هي أن السنوات الاثنتي عشرة التي مضت منذ إلقاء ذلك الحديث برهنت على مخاوفي، فقد كانت تلك السنوات في معظمها مظلمة ظلما حالكا وكثيلا بالنسبة للكثير من الناس، ولا أخفيكم أن قلبي موجه يمتلئ حزنا وأسى لمشاهد الموت والدمار التي لا نهاية لها، فأنا أدرك تماما ما يعنيه القتل والدمار فقد لمست بنفسى فداحة الخطب عندما فقدت خال والدي الحبيب اللورد مونتباتن الذي اغتيل في عام

١٩٧٩م على يد إرهابيين استخدموا المتفجرات لقتله، فكم هي مؤلمة تلك الصور الدامية لمجتمعات تمزقها الصراعات الدينية، من البوسنة إلى بغداد، ومن الشيشان إلى فلسطين، وكل هذه ماضي إلا شواهد على استفحال الخلافات القائمة وتفاقمها، فالعنف الذي كثيرا ما يرتكب غالبا باسم الدين ويبرر به له آثار رهيبة تحجر القلوب وتزيدها قساوة، فما الفائدة التي يمكن أن تجني من كل ذلك؟

وتناولت في حديثي تاريخ أوروبا والعالم الإسلامي وكيف ارتبطت أوروبا بالعالم الإسلامي ارتباطا وثيقا وكيف جرى التعاطي بين الطرفين عبر القرون المتعاقبة، وتحدثت عن تبادل المنافع بين الطرفين وإسهامهما الكبير في تشكيل عالم اليوم، وقد أظهر لنا التاريخ الطفرات الهائلة لموهبة الابتكار والإبداع في مجال المعارف، كالعلوم والآداب، والفنون، التي

يمكن للبشرية تحقيقها عندما تتضافر قوى أعضاء الأسرة التي رفع قواعدها إبراهيم عليه السلام وتتعاون فيما بينها، فهلا لنا أن نستدر الإلهام من ذلك التفاهم والتفجر الهائل في العلوم والمعارف إبان عهد العباسيين بين القرنين التاسع والثالث عشر عندما كانت حاضرتهم بغداد مركزا عالميا للمعرفة والعلوم، أو نستدر الإلهام من الأندلس في عصرها الإسلامي بين القرنين العاشر والرابع عشر حين شهدت مدنها من أمثال قرطبة وطليلة كيف تأزر العلماء المسيحيون والمسلمون واليهود فقادت نشاطاتهم إلى ازدهار عصر النهضة في أوروبا. وعلينا نحن الذين نعيش في الغرب أن نتذكر أننا ندين بالكثير لعلماء المسلمين، فقد كان الفضل كل الفضل لهم في أنهم حافظوا

الغرب مدين لعلماء الإسلام بالحفاظ على كنوز العلم والمعرفة



الأمير تشارلز يستمع إلى تلاوة حفظة القرآن الكريم

أخرى نماذج تحتذى من قبل مجتمعات في أماكن أخرى. فحتى من خلال أصغر المشاريع والنماذج يمكن إعادة وضع أسس الاحترام المتبادل ومراعاة شعور الغير والتعالي بالآداب والأخلاق. ومن الممكن أحيانا إعادة وضع هذه الأسس من خلال بناء المسكن والمحيط المادي والبيئة الخاصة بالناس، فالمحيط المطلوب هو الذي يساعد على زيادة شعورنا بإنسانيتنا المشتركة عوضا عن

في العصور المظلمة في أوروبا على كنوز العلوم والمعارف الرومانية واليونانية القديمة.

إعادة الاحترام المتبادل بين الأديان

ولكنني قلت أيضا في حديثي ذلك الذي أشرت إليه إنه من المؤسف رغم هذا التبادل في الآراء والأفكار، أن نجد أناسا عديدين في الشرق والغرب ما فتئوا يكون تعصبا لا هوادة فيه، ولا لين تجاه ثقافة بعضهم البعض، وانعدام الثقة المتبادلة بين الطرفين لا يزال قائما يتمخض عن نتائج رهيبة، وأفكر في التجربة التي يمر بها المسلمون الذين يعيشون في أوروبا ويعانون من مظاهر متعددة مستمرة من هوس العداة ضد الإسلام والمسلمين من قبل مواطنيهم من الأوروبيين، وأفكر أيضا في المسيحيين الذين يعيشون في بعض الأمم الإسلامية والذين يجدون أنفسهم وقد كبلتهم قيود صارمة ومهينة، أو قد يتعرضون للإساءة والأذى من قبل بعض إخوانهم من المواطنين، وأفكر أيضا في أعمال العنف والإرهاب التي ترتكب في العالم بصورة تشوه اسم الدين.

إنى على يقين تام بأن على المسؤولين رجالا ونساء أن يعملوا على إعادة الاحترام المتبادل بين الأديان وأن نجتهد ما وسعنا للقضاء على عوامل سوء الظن وعدم الثقة اللذين يسممان حياة العديد من الناس ومما يجعل هذا الأمر أكثر صعوبة هي الصور المشوهة للطرف الآخر والسخافات التي تنشرها بعض وسائل الإعلام. وقد حاولت أنا شخصيا وبصورة متواضعة جدا أن أجد الوسائل التي يمكن بها دمج الجماعات المختلفة والاعتزاز بقيم ومثل الثقافة الإسلامية في المملكة المتحدة، وسعيت إلى تحقيق ذلك عن طريق نشاطات صندوق الأمير ومؤسستي المعروفة بالبيئة المعمرة ومدرستي الخاصة بالفنون التقليدية. وآمل أن تصبح هذه البرامج مع نموها وتطورها عبر بلاد

إحساسنا بأننا ملحقات تكنولوجية في ما يحيط بنا في عالم يزداد آلية.

أخطار على طريق التراث الثقافي للأديان

لقد كان للتركة التي خلفتها صراعات الأديان وسوء التفاهم فيما بينها دور رئيسي في التاريخ الفظيع للحرب والعنف، وما أشد انطباق هذا بالطبع على ما خلفه أيضا «المذهب العلماني» اللذان انتحلا صفة دينية خلت من كل تقديس، وهما الشيوعية والفاشية بكل ما أتى عنهما من دمار وبطش وحشي فعلى مما ينذر بعظيم الويلات والكوارث.

وفي مقدورنا الآن التعرف على رد فعل المجتمعات الإنسانية مع تطورها عبر القرون تجاه هذه التركة، فتجد أن رد الفعل هذا كان من نوعين متميزين: الأول منهما يتمثل في تمسك البعض بدينه تمسكا شديدا كمصدر للاستقرار في

حياته، ولا يرى في الأديان الأخرى عند أي صراع سوى أخطار تهدد وجوده. وأما الثاني فيتمثل في فقدان الناس هيبتهم للدين وما له من نفوذ غيبي وبعد يتخطى حدود ذواتنا - إنه التخلي عن كل إيمان بالله وتبنٍ للاعتقاد القائل بأن الدين مظهر من مظاهر «التخلف» و«البدائية» و«الزلل».

إن عدم احترام الناس للدين يشكل خطرا على إرثنا الديني وعلى قيمنا الإنسانية العامة وتراثنا الحي. وإذا اقترن هذا الوضع بهوس التشبث بالماديات وبالأمر الدينيوية التافهة، فإن ذلك لا يشكل خطرا على التراث الثقافي لديننا المسيحي وحسب، بل وعلى العالم بأسره.

ففي أوروبا فكر بعض المخلصين من الناس مدفوعين برد فعلهم تجاه الحروب التي بدت وكأن

لا نهاية لها بين الطوائف المسيحية المختلفة، بأنه لو تم تكوين مجتمعات علمانية حقا يختفى فيها ما ينسبه الناس إلى الدين من تعصب وعنف وتقطع، وتزول منها الأسباب الكامنة في أساس الصراعات الدينية، فإن ذلك يعود علينا جميعا بالخير ويمكننا من التعايش على نحو أفضل، وكان أملهم أن يحل محل النظام الديني القائم برنامج لتحسين الأوضاع المادية للناس وضمان أمنهم وسلامتهم عن طريق الاكتشافات العلمية، وأن يساعد ذلك مسيرة التآلف والتقدم والرفاهية الإنسانية في المضي قدما عندئذ دون عراقيل.

وكان من المحتوم ألا تسير الأمور بهذه السهولة، فقد اتضح أن المعرفة العلمية التي جلبت لنا وأغدقت علينا الكثير مما نقدره حق التقدير ونسلم بأنه نعمة من النعم ليست بمثابة الحكمة ذاتها، لأن الحكمة وحدها هي القادرة على أن تكشف لنا تلك الحقائق الشاملة الدائمة التي تكمن في صميم كل الأديان الكبرى، لكن هذه الحقائق التي وفرت لأسلافنا هيكلًا آمنا لوجودهم وأمدتهم بمجموعة واضحة المعالم من القيم الأخلاقية قد انحجبت اليوم عن كثير من الناس وتلاشت كليًا من حياتهم. وهذه ظاهرة لا تخص الغرب وحده، بل نراها في كل عرق ينتمي إلى أسرة إبراهيم الروحية.

فلقد كان لما فقدناه آثار عميقة الجذور، فأنا أؤمن بأن الاعتدال مصدره الحكمة التي انحدرت إلينا من التراث. وأما التطرف فهو استغلال لوضع فقد فيه احترام التراث. ففقدان اليقين المبني على الإيمان يدفع بالعديد من الناس إلى اللجوء إلى المطلقات الجديدة التي تأتي كأي معتقد بدائي، لا

**بدلنا جهدا كبيرا في
بريطانيا للترحيب
بأتباع الديانات
والحفاظ على هوياتهم**

تتقبل أن تكون موضع السؤال أو التحفظ ولكنها تؤدي إلى أشكال مختلفة من أشكال التطرف.

العصر الذهبي للإسلام

علينا أن نعود إلى إحياء ما تمتع به العالم الإسلامي في عصوره الذهبية من عمق وحس مرهف، ورحابة صدر في التفكير والروية، واحترام وإجلال للحكمة، فلقد كرم الإسلام اليهود والمسيحيين بأن أطلق عليهم اسم «أهل الكتاب»

لأنهم كالمسلمين يجتمعون على دين كتب سماوية: القرآن والتوراة والإنجيل. ولعل ما يميز تلك العصور العظيمة من عصور الإيمان كان الإدراك السائد بأنه بالإضافة إلى الكتاب هناك حاجة إلى تفسيره في علم خاص به، يتسم البحث فيه بالدقة والصعوبة، فأدى ذلك إلى وضع أسس علم التفسير وقيام المدارس الكبرى من مدارس الفقه والشرعية.

فبين النص وتفسيره، أي بين معنى كلمة الله الباقية لكل زمان، وما تعنيه لنا في هذا الزمان، يأتي التفسير، ولقد كان من عظمة الإسلام أن أدرك المؤمنون به هذه الحقيقة إدراكا عميقا كما أدركوا ما يواجهونه من تحديات، وأنتم أيها الأفاضل في هذا الصرح العريق يمكنكم أن تسهموا بمثل هذا، ليس بالنسبة للعالم الإسلامي فحسب، بل وعن طريق المثل الذي تضربونه بالنسبة لكل الآخرين من أسرة إبراهيم.

فاليوم، وفي أغلب الأحيان، هناك اتجاه بأن النصوص المقدسة يمكن قراءتها دون أن يحتاج ذلك إلى تفسير وتبيين، وكأنما المفروض أن نقرأ تلك النصوص قراءة سطحية، إن مثل هذه القراءة تسيء إلى حقيقة كلمة الله، والإساءة في فهم كلمة

الله تقود في مآل الأمر إلى الإساءة إلى الإنسان والإساءة إلى العالم.

إذا كنا لا نسمع في النصوص المقدسة سوى حقائق قاطعة مبسطة، وإذا كنا لا نرى في رحاب الله الواسعة ذات الألوان سوى الأبيض والأسود نكون عندئذ قد شطرننا الإنسانية إلى شطرين مبسطين مضادين هما: أهل الخير، وأهل الشر، أهل التقى، وأهل الشطط، ونحن وأعداؤنا، وهذا ما يقود إلى الحقد والكراهية والعنف. وبهذا نفقد المبدأ الوحيد الذي لا يعلى عليه والذي يجمع الأديان التي تكون أسرة إبراهيم الروحية، وهو المبدأ الذي عبرت عنه التوراة بالقول: «بل تحب قريبك كنفسك» (اللاويين ١٩/١٨)، ثم الإنجيل بقوله: «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم» (إنجيل متى، إصحاح ١٧/١) وفي الحديث الشريف: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (حديث شريف).

إذا كان لنا أن نلتزم بطاعة هذه التعاليم لضمان الاستمرار في إسماع صوت الاعتدال والعمل على مجابهة التطرف والتصدي، فماذا يمكن لمفاهيمنا عن الله سبحانه وتعالى، وهي المفاهيم الكامنة في صميم دياناتنا، لتساعدنا وتمدنا بالعون لتحقيق هذا الغرض؟ إنه أولا لاشك في أن الله تعالى لا يريد لنا أن يقتل بعضنا بعضا، وهذا ما تأمر به أدياننا جميعها.

ثانيا: في هذا العالم التجريدي المادي الذي يضع فيه المعنى الروحاني، ألا ينبغي أن يتحد الذين يتشاطرون الإيمان ويتخطوا الذات ويسموا على الأنانية والشهوات ويرفعوا عن عبادة العلم

ارتبطت أوروبا بالعالم الإسلامي ارتباطا وثيقا عبر القرون

الخلق وحسن الاستماع إلى الرأي الآخر، كل هذه المزايا تضمن وتؤمن احترام القيم والمبادئ وقد برهنت الأزمة الرهيبة مؤخرا وما صاحب ذلك من انفجار الغضب العارم بسبب الصور الكاريكاتورية الدنماركية على مدى الخطر الذي يتأتى عن إخفاقنا في الاستماع إلى الآخرين وفي احترام ماهو عزيز على الغير ومقدس عنده، فالسمة المميزة لأي مجتمع متحضر، في رأيي، هي ما تجزيه من احترام للأقليات

والغريباء، وإكرام الضيف وحسن استقبال الغريباء وعابري السبيل من مسافرين عنصر يعتز به حقا في الحضارة العربية، ونحن في بريطانيا بذلنا جهدا كبيرا للترحيب بأتباع الديانات الأخرى وفي تمكينهم من المحافظة على هوياتهم الفريدة وتكييفهم في الوقت ذاته مع الثقافة البريطانية. وهناك الآن أكثر من مليون ونصف المليون مسلم

بريطاني، يثرون المجتمع البريطاني ويفضونه بطرق عديدة، كما أنني على يقين بأن الأقليات المسيحية هي أيضا تثرى مجتمعاتنا الإسلامية وتقنيها بأساليب شتى.

ونحن كأهل الإيمان نعلم أيضا أن روح الإنسان تعود إلى بارئها، إلى أفق الحياة الخالدة، ونذكر بالحدس والبدية أننا كثيرا ما نركز اهتمامنا على العالم الظاهري الذي غالبا ما يستبعد ما لا يمكن قياسه ووزنه، ولذا يسقط من الحساب ما لا يقاس أو يكال أو يوزن، ولكن كيف يتسنى لنا أن نقيس ونزن الإيمان أو الجمال أو الولاء أو الفرح، أو حتى كيف يكون لنا أن نقيس المحبة ونكيلها، وكل الأمور التي تجعل الحياة جديرة بالعيش وتساعد على تحديد جوهر إنسانيتنا؟ ألا تشكل

للعلم ذاته، أولئك الذين يؤمنون بوجود كون شامل متكامل يوازن بين العقل والجسد والروح، أي بين الفكر والضمير عبر إدراك شامل لذلك النظام الذي أراده الرحمن للعالم هبة مستورة من لدنه ومحبة من عنده ليكرم به خليقته؟ ألم يعد مؤكدا أن علينا أن نتحد معا بناء على ما يجمعنا من المبادئ المشتركة في أدياننا؟ أفلا ينبغى للحكمة التي سبق وأشرت إليها أن تنبئنا إلى أنه يجب علينا أن نعمل متحدين على

أساس معتقداتنا المشتركة للتصدي لأعظم أزمة بيئية يمكن تصورها والتي تهدد العالم بأسره، وأن نفعل ذلك دون أن نقاتل بعضنا بعضا، أو نتجادل في أمور تافهة لا طائل تحتها؟ ثم ما الذي يمكن أن نتعلمه من الإسلام ليساعدنا على العودة إلى الاندماج اندماجا سليما مع الطبيعة التي أبدعها الخالق العظيم؟ أفلا نستطيع أن نتبين

الحاجة الملحة لدمج عبقرية الشرق البديهة وعبقرية الغرب الواقعية قبل فوات الأوان؟ إن التشديد على احترام بعضنا البعض في صميم تعاليم أدياننا كلها، وهذه المسألة أهم شأننا من أن تكون مسألة جدل سياسي حول حقوق الأقليات، فالمسلمون والمسيحيون واليهود متفقون في الإيمان بكرامة الإنسان وقيمه، فكل إنسان منا فريد بذاته وذو قدر فريد عند الله، ونحن عندما نتعرف على أنفسنا ونذكر وهتنا ونقاط ضعفنا، نستطيع أن نتبين أهمية تفهمنا للآخرين ورؤية وجهة نظر الغير.

إعادة بناء الثقة والاحترام المتبادل

إن احترام الغير، واحترام ما يعتز به الآخرون، بمعنى آخر أن السلوك الحميد والأدب ودمائة

علينا أن نجتمع معا على المبادئ المشتركة في أدياننا

هذه السجايا حقيقة روحية داخل نفوسنا؟

وعندما نتحدث عن الحقيقة الكاملة في داخل الإنسان فإن ما نقصده في الواقع هو ذلك البعد الذي ما وراء المادة ويتخطى حدودها، وبمعنى آخر نتحدث مرة أخرى عن القلب، نتحدث مجازا عن الفؤاد كمنبع للرحمة والترحم، أى «المحبة» التي وردت على لسان القديس بولس في إحدى تراجم الإنجيل (الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ١٣) والمحبة عند المسيحيين غاية الفضيلة.

وعندما تواجهنا مشكلات التفاهم بين الأديان والثقافات، أليس ما نفتقده بالذات هو ذلك الشعور القلبي المتسم بالاعتدال والتسامح؟ إنه ذلك الإحساس الذي يمكننا جميعا أن نتقاسمه، ويذكرنا به أدياؤنا العظام من أهل الرؤية والفكر فيما كتبوه وفي المثل الذي ضربوه، ألم ينصحننا هؤلاء العظام من أصحاب الحكمة الخالدة، رجالا ونساء، من أمثال جوليانا راهبة نوريتش، والحبر إسحاق لوريا والإمام محمد بن إدريس الشافعى - ألم ينصحننا هؤلاء بضرورة أن نعدل تصرفاتنا العدوانية السطحية بسلوك لطيف تأملى، أى التحول عن منطقة الرأس والعقل إلى مجال القلب حيث توجد طبيعة إنسانيتنا المشتركة وخيريتها؟ واسمحوا لى بأن أوضح أن ما أعنيه ليس الانكفاء إلى التأمل الانطوائى، وإنما هو وصفة لتفاهم ناشط فعال في تعاملنا مع الآخرين، ونحن فوق كل هذا نشترك في الإرث التقليدي القائم على الوحي الذى شكل أساس أدياننا، ولعل ما يدعو إلى الاهتمام أن العلم بدأ يكتشف النظام والانسجام المتأصلين في الطبيعة، وهو أمر تكشف للقدمى منذ آلاف السنين، وهذا لاشك مؤشّر ينم عن حقيقة أساسية تتعلق بنمط الحياة في داخل نفوسنا، إنه نمط سر الله الغامض للعالم الظاهر.

حقوق وواجبات

أعتقد أن علينا واجبا مشتركا بالنسبة للتعبير عن المبادئ التى تقوم عليها معتقداتنا الدينية، كما

أعتقد أن علينا أن نحافظ على سلامة كل دين من أدياننا الإسلامية والمسيحية واليهودية، ونعترف بتنوعنا الغنى ونحترمه فهو في نهاية المطاف ضماننا الوحيد ضد سيطرة ثقافة عالمية موحدة أحادية الثقافة سواء دينية كانت أم علمانية.

ولكى ندافع عن عالم الروح ضد المادية والدنيوية، وعن الكرامة الرفيعة لكل منا ضد التطرف وعبادة الذات، يجب علينا أن نرعى ونشجع ونفعل كل ما يترجم الصفات الإلهية المتمثلة في التراحم والتعاطف. وهذا بحد ذاته يدعو إلى الروية والهدوء وضبط النفس، وهو إن جاز لى القول يتطلب من كل ذوى النفوذ فى أدياننا المختلفة إسداء الموعظة وإيضاح قيمة تلك الصفات والمزايا الإلهية للآخرين.

قال الملك سليمان بن داود قبل نحو ثلاثة آلاف سنة: «بلا رؤيا يجمع الشعب». (أمثال ١٨/٢٩). وإننى لأتطلع بشوق إلى عالم نشترك فيه برؤيا تعترف بما بيننا من فوارق وتحترمها وتتفهمها، عالم نرى فيه أنه لا يمكن، ولا ينبغي لنا أن نساء إلى أدياننا العظيمة وتعاليمها باتخاذها سلاحا نخدم به مصالح أية سلطة دنيوية تتسم بالأنانية وحب الذات.

لا يخالجنى أى وهم بالنسبة لصعوبة أداء هذه المهمة، لكننى أعتقد أنها مهمة يتحتم علينا أن نضطلع بها، ونأخذها معا على عواتقنا ونجزها اليوم قبل أى وقت آخر. فليس هناك من سبيل آخر للحفاظ على روح القيم والمبادئ التى نعتز بها فى أدياننا أيما اعتزاز، ولذا فإن علينا أن نتعاون فى إيجاد عالم تترى فيه ثمار الإيمان، بما توحىه من تفاهم وتسامح وتعاطف، عالم أبنائنا وأبنائنا ونحافظ على أمنه وسلامته، ويجب ألا ندع هذه الفرصة تفوتنا دون أن نلبى هذا النداء فى عصر يتطلب منا بذل جهود مخلصه للعيش معا فى سلام.

تحت رعاية الرئيس مبارك .. المؤتمر العام الثامن عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية يناقش:

الأبعاد السياسية والاقتصادية لمشكلات العالم الإسلامي في ظل العولمة

تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك - رئيس الجمهورية - يعقد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية المؤتمر العام الثامن عشر تحت عنوان: «مشكلات العالم الإسلامى فى ظل العولمة».

وأكد الدكتور محمود حمدي زقزوق - وزير الأوقاف - أنه ليس هناك من شك أن تيار العولمة الزاحف بقوة فى كل مكان فى عالمنا المعاصر كان له تأثير بعيد المدى فى عالمنا الإسلامى سلبا أو إيجابا، وقد ضاعفت العولمة بأبعادها المختلفة من مشكلات العالم الإسلامى كما ونوعا.

وقال وزير الأوقاف فى المؤتمر الصحفى الذى عقد بوزارة الأوقاف: إنه لم يعد هناك وقت أمام العالم الإسلامى لإضاعته، خاصة وأن العالم من حوله يسير بخطى متسارعة غير مسبوقه. والمشكلات التى تحيط بالأمة من كل جانب تتفاقم يوما بعد يوم، وكان لابد من البحث الجاد والدقيق لتشخيص

مواطن الداء والبحث عن علاج ناجع بعيد عن المسكنات التى لم تعد تجدى نفعا، وبالتالي فمن الضرورى أن تتكاتف جهود المخلصين من أبناء الأمة بحثا عن مخرج لها من المشكلات التى تحدى بها من جميع النواحي.

وقال وزير الأوقاف: إنه استمرارا لجهود المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فمن واجبه فى ظل الظروف الدولية الراهنة المسارعة فى الإسهام فى جهود إيقاظ الأمة، وتوعيتها بالأخطار التى تحدى بها والعمل من أجل إنقاذها، ومن أجل تحريك الطاقات وبعث الهمم وتقوية العزائم، وتسخير كل الإمكانيات المتاحة لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

وأضاف وزير الأوقاف أن المؤتمر هذا العام يعقد حلقة الأولى لمناقشة الأبعاد السياسية والاقتصادية على أن يناقش المؤتمر العام القادم فى حلقة الثانية الأبعاد الثقافية والاجتماعية لمشكلات العالم الإسلامى فى ظل العولمة.

وعن المحاور الرئيسية للموضوع والقضايا الجزئية التى تدرج تحتها، قال وزير الأوقاف: إن المؤتمر سيناقش من خلال مدخل عام العالمية والعولمة فى نظر الإسلام.

يتناول القسم الأول: الأبعاد السياسية ويندرج تحته عدة محاور:

المحور الأول: أثر العولمة على النظام الدولى وظهور المعايير المزدوجة ويناقش:

● تراجع مبدأ سيادة الدول.

● التدخل فى الشئون الداخلية للدول: أ - قوانين أجنبية لحماية الأقليات الدينية والعرقية، ب - قوانين أجنبية لمعاقبة الدول المخالفة، ج - قوانين معاداة السامية.

أما المحور الثالث فسوف يتناول:
توظيف الفوائض المالية للدول
الإسلامية في الداخل والخارج:

أولاً: داخل العالم الإسلامي
(البنوك والصناديق الإسلامية).

ثانياً: خارج العالم الإسلامي
(أوروبا وأمريكا).

وسوف يتناول المحور الرابع: نظرة
مستقبلية حول قضايا: الزراعة -
الصناعة - التجارة البينية - السياحة - دور
الزكاة والوقف في التنمية - دور البحث
العلمي في اقتصاديات العالم الإسلامي.

وقال وزير الأوقاف: إن اللغة
المعتمدة في المؤتمر هي العربية
بالإضافة إلى أنه يمكن أن يقدم
البحث بالإنجليزية أو الفرنسية مع
ملخص باللغة العربية.

وأضاف وزير الأوقاف إنه على
هامش المؤتمر سوف تعقد حلقات
نقاشية باللغة الإنجليزية تطرح فيها
قضايا الحضارة الإسلامية والحضارة
العربية بكل أبعادها السياسية
والاقتصادية وفقاً لمحاور المؤتمر.

هذا وسوف يوجه الرئيس مبارك
كلمة للأمة العربية والإسلامية في
الاحتفال الذي تقيمه وزارة الأوقاف
بذكرى المولد النبوي الشريف في
الثالث عشر من شهر ربيع الأول،
وسوف يكرم السيد الرئيس العلماء
من مصر والعالم الإسلامي الذين
أسهموا بدور بارز في خدمة
الإسلام. كما يكرم الرئيس مبارك
الفائزين في المسابقة الدينية التي
تنظمها وزارة الأوقاف.

● تغيير مفاهيم الدفاع الشرعي: أ - الخلط بين الإرهاب
والمقاومة المشروعة، ب - الخلط بين الإسلام والإرهاب، ج - الخلط
بين مفاهيم الجهاد والقتال.

● ازدواجية المعايير في المواقف الدولية: أ - حق تقرير
المصير، ب - مفاهيم حقوق الإنسان وحدودها (حرية التعبير -
حرية العقيدة - حرية الانتقال - حق ممارسة الديمقراطية).

أما المحور الثاني فسوف يتناول: أثر العولة على المؤسسات
الدولية والإقليمية (المنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية).

ويناقد: إضعاف دور الأمم المتحدة - مواقف الوكالات
الدولية المتخصصة من

مشكلات العالم
الإسلامي - إضعاف
دور المنظمات الإقليمية
(جامعة الدول العربية -
منظمة المؤتمر
الإسلامي - الاتحاد
الإفريقي) - دور
المنظمات الدولية غير
الحكومية (التمويل
والتوجهات).

ويتناول المحور
الثالث: تدويل
المشكلات الداخلية:

التعليم - المرأة - الديمقراطية - تفتيت الدول الإسلامية.

وسوف يتناول القسم الثاني قضايا الأبعاد الاقتصادية من خلال
مدخل عام حول فلسفة العولة الاقتصادية، وسيناقش.

المحور الأول: أدوات العولة الاقتصادية: البنك الدولي وصندوق
النقد الدولي - اتفاقيات تحرير التجارة، الشركات متعددة الجنسيات.

المحور الثاني: المؤسسات الإسلامية المالية والاقتصادية في
ظل العولة: السوق العربية المشتركة - السوق الإسلامية
المشتركة، مجلس الوحدة الاقتصادية - منظمة الأوبك والأوابك -
التجارة البينية بين دول العالم الإسلامي.

الرئيس مبارك يكرم العلماء والفائزين في المسابقة الدينية في احتفال مصر بالمولد النبوي

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

شعر الدكتور / عبد الحميد إبراهيم بركات أبو سعدة

الله أكبر: عدتى وعدتادى *** ثم الصلاة على الحبيب الهادى
أدبى وعلمى للعلا بتضرع *** لله ربي أن ينير فرقى
الله أكبر جل فى عليائه *** وله القداسة مقصدي ومرادى
الجاهلون تجرؤوا بحماقة *** وعلى الرسول بخسة وعناد
جهلوا مقام المرسلين وإنهم *** لا يفقهون كصخرة وجماد
جاء البلاغ من الرسول فبلغوا *** فى غير إكراه ولا إرعاد
لك يارسول الله كل محبة *** من كل قلب ثابت الأوتاد
يا رحمة للعالمين جميعهم *** وإمامهم فى قبلة الأمجاد
يا شافعا ومشفعا ومكرما *** يا صاحب الخلق العظيم النادى
قد هاجموك بخسة ودناءة *** وبسوء ما رسموا وسوء مداد
أنت الحليم وقد صبرت مجاهدا *** فى الله حق جهاده بسداد
اقرأ كما أمر الكريم بعزة *** بسم الإله لرائح أو غدادى
المسلمون وأنت أنت إمامهم *** بسم السلام وبسم ربك هادى
لولا صمودك ما انتصرت وإنما *** نصر الإله من اصطفى برشاد
الله أيدكم وبارك جهديكم *** وأزاح بغى الجائر المتتمادى
الخرى والعار المشين من بغى *** ولكل طاغية طغى بفساد
فرعون والملا الطغاة وصحبه *** هامان قارون افتروا بعناد
فأذاقهم رب العباد بنقمة *** واقتص من فرعون ذى الأوتاد
إنى أقول لمن بغى متجبرا *** مهلا فإن الله بالمرصاد
هذى ثمود قد انتهت بدمارها *** وكذلك عاد إذ بغوا بفساد
توبوا إلى المولى الكريم فإنه *** يمحو الذنوب بتوبة وجهاد
الزاد عند الله جل جلاله *** تقوى مع الإسلام خير الزاد
أدعوك ربي أن أعيش منعما *** بالنصر والإيمان فى إسعاد

«من حديث شجرة الدر»

د. محمد رجب البيومى

خلت الجارية الحسناء شجرة الدر بصديققتها الجارية المحبوبة ريحانة تتحدث إليها عن حزن سيدها نجم الدين أيوب حين اغتصب أخوه الأصغر سنا منه عرش البلاد، وأصبح الملك العادل خلفا لوالده الكامل ورأى من الأمراء والقواد من أيده وسار فى ركبه بتدبير محكم صنع فى غيابة الليل، والوالد يحتضر، لقد كان نجم الدين لا يفكر فى أى مؤامرة يحوكمها لأن الأمر الطبيعى أن يكون النجل الأكبر ولى العهد، ثم صاحب السلطان بعد رحيل أبيه ولكن تأمر الملك العادل قد سبب حربا لنجم الدين وقد التفت ذات اليمين وذات الشمال فلم يجد من يحاول أن يقف معه فى محنته فرأى أن يكتفى بالموافقة الظاهرة على أن يكون حاكما فى غزة وما حولها بعيدا عن أبهة السلطان فى دمشق والقاهرة.

قالت شجرة الدر لصاحبها: وعرفت ما يعتمل فى نفس نجم الدين ورأيت أن أكون الشريكة الأولى له فى محنته وقد اقتحمت خلوته الصامته فى ليلة شاتية كان الرجل فى حاجة فيها إلى الدفء النفسى فدخلت باكية لم أصطنع البكاء ولكن الدمع تحدرت تلقائيا فارتاح نجم الدين لأنه يكن لى من الحب مالا سبيل إلى إنكاره وحين سألتى عن سبب البكاء قلت فى ألم. لا تظن أنك وحدك يا سيدى الذى تفكر فى خيانة أخيك والملا من جنده فأنا أول من أحس الهم فى كبده وكنت أكتم عنك الأمر كى لا أزيد شجونك ثم غلبنى الموقف فلم أستطع صبرا على الكتمان قد تأملت الأحداث الجارية فوجدت أن الأمر لن يستقيم للعادل لأن أعوانه الذين ناصروه ذوو مطامع متضاربة وفيهم من يتصل بالفرنجة ليهدد بهم العادل إن حاول أن يقصيه من مركزه المرموق إذ المسألة مسألة وقت وسيرجع الأمر إلى نصابه عن قريب، فنظر نجم الدين مشدوها إلى جاريته وقال: يا شجرة الدر إنك تتكلمين عن خواطرى المشتعلة فى صدرى وكأنى أنا الذى أتكلم لأستمع خواطرى من فمك، وأنا أعلم فيك ذكاء وخبرة لا يتاحن لرجل كبير فضلا عن جارية حسناء، وأنت من الآن وزيرى السياسى، كما أنك ملكة قلبى ولن أكتم عنك شيئا كما لا تكتمين!

قالت ريحانة: أعرف أن نجم الدين يضعك فى عينه، ولكنى أوصيك بشئ واحد، هو ألا تطلعى سره على أحد، قالت شجرة الدر، إن سره هو سرى أنا، ونحن ممتزجان ملتحمان! فابتسمت ريحانة وقالت: هنيئا لك!

ولم تمض أيام حتى سمعت شجرة الدر أن أحد النخاسين جاء إلى غزة ومعه الجوارى والغلمان كعادته كل عام، فهرعت إلى نجم الدين، وقالت له: معى حديث أود أن أفيض فيه باهتمام! فهل أنت سامع! فابتسم قائلا، ومتى كنت غير سامع

لما تقولين! وأنت أنت!

قالت: أنا جارية قد اشتريتني من أحد النخاسين وأنا أعرف أن لهؤلاء مقدرة على اختطاف الشباب من بلاد الغور والقوقاز ويستطيعون أن يحضروا لك مئات من الشباب الفارع، فتكون منهم جيشا كبيرا، يكون طوعك أنت، وتضمن ولاهم التام إذ ليس لهم سيد سواك، فإذا اقتحمت بهم ما قد يعين من المعارك، لم تصادف خائنا ولا مترددا، وإنى لأقترح أن تبدأ من اليوم في تنفيذ هذه الفكرة، وبدل أن تنفق المال على قوم لا تضمن ولاهم في ساعة الجد، فإن الحزم يقضى بأن تضيف إلى الجيش عنصرا جديدا من الممالك!

فأخذت نجم الدين هزة من الفرع، واحتضن شجرة الدر مقبلا، وقال لست جاريته بعد اليوم، قد أعتقتك وصرت حرة، واتخذتك زوجتي! وأنت اليوم سيدة القصر، وكل من به من الجواري والأتباع رهن إشارتك، وما بين أضلاعك من الجنين هو ولي عهدي، وسأعلن ذلك صباح الغد، أما شراء الممالك من النخاسين فهو أمر لا مفر منه، وسأبدأ بتنفيذه الفوري من الغد، وكل رصيدي من المال موقوف عليه! وسترين! وفي هذه الليلة نشأت فكرة اختيار الممالك ليكونوا جند الدولة ثم أمراء البلاد وملوكها فيما بعد.

مضت عشر سنوات كان هم نجم الدين أن يشتري الممالك، وأن يجعل منهم درع المستقبل لمجده في مصر، ومصر كانت موضع أمانيه وأحلامه، وقد ترك حصن حيفا لابنه توران شاه، حيث لا يرضى أطماعه أن يكون ملكا على مكان محدود تتنازع فيه الأكراد والفرس والعرب، وقد يهاجمه الصليبيون فيضيع بين يوم وليلة، وقد تحقق ما ظنه من ثورة الجنود على العادل، ففسد الأمر في مصر، ولم يجعل الفرصة تضيق دون انتهائها، فخف إلى القاهرة بجيش كبير من ممالكه، وكان القوم قد سئموا النزاع وتطلعت

البلاد لحاكم قوى يجمع الأمر في يده، لاسيما وقد جاء نجم الدين قويا بجيشه المملوكي، وقد سحرت القاهرة عيون الممالك إذ وجدوا بها من وسائل الحياة مالم يجدوا في غزة، فعاثوا في الأسواق فسادا، وضج الناس من شرهم، ونجم الدين لا يرضى بغير استتباب الأمن، فعاقب المعتدين في حزم، وأرهب كل من تحدته نفسه بالسطو والفساد، ثم رأى أن يبعدهم عن القاهرة فبنى لهم موطنا كبيرا بجزيرة الروضة على شاطئ النيل، وأحاطه بما يلزم من وسائل الحياة، وكانت منازل هؤلاء من السعة والرفاهية بحيث أرضت أطماعهم، وفي وسطها ميادين واسعة للتمارين الحربية، والقيام بتدريبات الكر والفر ليستعدوا ليوم قريب مع الفرنجة الذين يتطلعون لحكم البلاد، ويرسلون جيوشهم بين الحين والحين فتُمنى بالخذلان، ثم زحف لويس التاسع بجيش كثيف على دمياط، وقد تكتم أنباء فلم يعلن عن مقصده، حتى داهم الثغر فجأة، بعد انكسار سلفه أيام الملك الكامل، وفوجئ نجم الدين بالجيش الزاحف، وكان يعاني مرضا شديدا في جسمه يحول دون قيامه ولكنه أمر بمحفة خاصة به، ليحمل عليها متجها إلى المنصورة. حيث يقود المعركة. وكانت شجرة الدر هي مستشاره الأول حربيا وسياسيا، فأخذت منه موقف رئيس الوزراء من الملك، تجتمع بالقواد، وترسم معهم الخطط، وتعمل على إعداد المؤن والذخائر، بعزم لا يفتر، وقد أتاح لها ذلك خبرة تامة برؤساء الممالك، ومقدرة كل فارس على الصبر والاحتمال، وهم في الجهة الثانية قد أعجبوا بفكرها المتقدم، وتديرها المحكم، حتى كانوا يتساءلون في دهشة، امرأة هذه أم رجل؟ ولكنها كانت تقول إنها ترجع إلى زوجها المريض في كل ما تشير به! وتوهمهم أنه يتمثل للشفاء مع أن المرض قد أخذ منه كل مأخذ، ثم كانت الكارثة أن توفي نجم الدين والحرب على أشدها، وقد احتل الفرنسيون دمياط. وتقدموا

نحو المنصورة، وبلغت جيوشهم بحر أشمون، ونزح أهل القرى من ديارهم حين هاجمها الأعداء ساليين ناهبين، فلو أذيع خبر نجم الدين في هذا الموقف العصيب، لفت ذلك في عضد المقاتلين والشعب معا، وربما ترتب على هذا انحدار معنوى يجلب الهزيمة العاجلة، فرأت شجرة الدر من الحكمة أن تكتم الأمر فلم تذعه حتى إلى أخص أخصائها من القواد، وكان العز بن عبدالسلام وأبو الحسن الشاذلى وكبار العلماء يتقدمون الصفوف، ويحمسون المقاتلين ويدعون إلى الثبات، ويبشرون بنصر الله، وفعلا تم النصر وقتل من الأعداء أكثر من ثلاثين ألف جندي، وأسر لويس وسبق مدحورا إلى المنصورة حيث ظل سجيناً في منزل القاضي ابن لقمان! وحين تم ذلك أعلنت شجرة الدر وفاة الملك الصالح، وأخذت البيعة لابنه الملك المعظم توران شاه، وأرسلت من تستدعيه لقيادة الأمة بعد أبيه بموافقة رؤساء المماليك، حيث لم يكونوا حينئذ يطعمون في ملك البلاد، وحسبهم أن يكونوا رجال الجيش والإدارة ولو كان توران شاه عاقلا لقدر لشجرة الدر هذا الموقف، وحضر إلى مصر شاكرا كفاحها وكفاح الأبطال من المجاهدين، ولكنه خضع إلى قرناء السوء من حاشيته الذين أوهموه أن شجرة الدر تكنز مال أبيه الكثير وتخفيه عنه، وكان المماليك يسيطرون على مصر ولن يكون له سلطان حازم إلا باندحارهم، وقد جاء معه كتائب من الأكراد كانوا جنده في حصن حيفا فصمم على أن يكونوا وحدهم أتباعه المخلصين، وحين تقابلت شجرة الدر مع توران شاه، مقدمة عزاءها ومعلنة ولاءها الصادق، وجدت منه نفورا واشمئزازا وأمرها أن تترك المنصورة إلى القاهرة حتى تنتهي المعركة وهناك تسلمه كل ما لديها دون مكر أو خديعة! ولاشك أن هذا اللقاء العاصف دفعها إلى أن تفكر في الانتقام، وتحزن كثيرا لتسرعها في استدعائه، ومافعله توران شاه بشجرة الدر فعله برعوس

المماليك، وكانوا ينتظرون منه أن يشكرهم على ما بذلوه من النضال الحاسم الذي انتهى بالنصر، ولكنه أخذ يوبخهم ويقول إن المعركة قد طالت أيامها لتخاذلهم، ولو كان جنوده الأكراد هم الذين تولوا زمامها ما أبطأ النصر هذا الإبطاء، وفي المماليك حمية وأنفة واستعلاء، فراعهم أن يكون هذا شعور توران نحو من قدموه ومهدوا له الطريق، وأرسلت شجرة الدر من استدعاهم إليها في مجلس سرى بالمنصورة قبل أن تعجل بالرحيل إلى القاهرة، فلمست من بوادر غضبهم الحاد ما شجعها على الجهر بمعاداته، والعمل على استئصال شأفته وزاد الطين بلة أن توران قد تحدث في مجلسه الخاص وأمام فريق من العلية أن المماليك الذين يفخرون بالنصر سيعودون إلى سكناتهم بجزيرة الروضة، ولن يكون لهم دور حربي أو سياسى فمن صحبهم من الأكراد أشجع وأوفى وأخلص، فكان ذلك مما جعلهم يصممون على اغتياله السريع قبل أن يتمكن من حكم البلاد، ثم حملوا سيوفهم، واتجهوا إلى محل إقامته في برج خشبي على النيل، ولم يدر بخلفه أن هؤلاء سيسارعون بالانتقام منه، فلم يأخذ من الحرس من يذودون عنه في ساعة العسرة، ووجد المماليك الأمر مهيئا فأشعلوا النار في البرج الخشبي حين طالبوه بالنزول السريع إلى لقائهم في ساعة متأخرة من الليل، ولما أيقن بالشر ورأى الحريق يشتعل في البرج من جميع نواحيه، لم يجد بدا من أن يلقي بنفسه في مياه النيل، ولم يعثر له على أثر بعد، وهذا يدل على أن أحد المماليك تتبعه وقضى عليه، وتركه طعاما للحيتان والأسماك، وقد تفرق الأكراد مذعورين والتمسوا وجه الفرار، بعد أن علموا أنهم معرضون للاغتيال دون رحمة أو إشفاق.

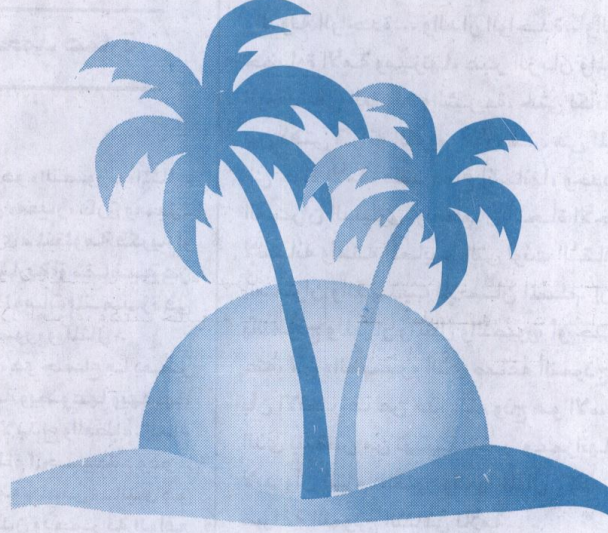
وقد اجتمع رؤساء المماليك، يتشاورون فيما بينهم عما ينتهى إليه أمر البلاد بعد مصرع توران شاه، وكان كل منهم يحذر زميله، ويخشى أن يكون مقربا لشجرة الدر فيتولى الملك بإشارتها التي

لاترد حينئذ لأنها صاحب النفوذ الشعبى فى البلاد، وقد فهم ذلك عز الدين أيبك، فأشار بأن تتولى شجرة الدر نفسها أمر البلاد فتصبح ملكة على مصر، ورأى هؤلاء أن ذلك حل يبعد بهم عن التشاحن، فأقروه، وذهب عز الدين ليعلمه إلى شجرة الدر، فأظهرت الاندهاش، وأشارت بعدم التعجل، ولكن عز الدين أخبرها أن ذلك محل ارتياح الجميع، فقبلت شاكرة، وفى نفسها شجون.

اجتمعت شجرة الدر بريحانة، ولم تكن بعيدة عن موقع الأحداث، بل عرفت كل شىء قبل أن تستدعيها شجرة الدر وبادرت بتهنئتها الخالصة، ولكنها قالت لها فى مكر إن الأمر يحتاج إلى رجل يقف جوارها، ولن يكون غير عز الدين! وكانت الإشاعات المغرضة جعلت من المسألة مهزلة! إذ كيف تحكم البلاد امرأة، وكتب خليفة بغداد معترضا، واحتج أمراء الشام، فجمعت شجرة الدر زعماء المماليك، وقالت إنها تريد زوجها يقف جوارها، فقالوا ذلك أمرك وحدك، فاخترت عز الدين وإذا كانت بغداد وأمراء الشام وفريق من الشعب يعترضون على ولايتها، فهى تتنازل لعز الدين على أن تكون مستشارته الأولى كأيامها مع الملك نجم الدين أيوب! وكان الأمر مفاجئا للمجتمعين، ولكنهم أقروه، وكأنهم رحبوا بأن يكون المماليك من الآن أصحاب الملك فينتهى دور الأيوبيين إلى الأبد! وسمى عز الدين بالملك المعز، وكان فى اعتقاد شجرة الدر أنه سيصبح أداة تنفيذية فى يدها، وأنه سيرجع إليها فى كل أمر جل أوهان، ولكن الرجل المحنك أراد أن يثبت للملأ من رفقاؤه أنه صاحب الأمر الفعلى، فجعل يفاجئ شجرة الدر بأمر كثيرة لم تستشر فيها، وتكرر ذلك فزاد غضبها، وأخذت تمن عليه بأنها هى التى اختارته، وكان من السهل عليها أن تختار سواه! كما أخذت المشادات تزداد يوما بعد يوم حتى قرر عز الدين أن يبارح القلعة، ويتركها إلى مكان آخر يكون به حرا خارجا عن متابعتها، وزاد

فقرر أن يخطب ابنة صاحب الموصل ليستعين بتحالف معه يقوى مركزه السياسى.. وأدركت شجرة الدر أنها أصبحت فى الصف الثانى قطعاً، وأن الأنظار تتجه إلى زوجها فى كل شأن، ولم يعد أحد يسعى إلى وساطتها كما كان الأمر من قبل، وهنا طاش صوابها، بل جن جنونها إذ صممت على اغتياله دون أن تفكر فى العاقبة الهائلة! وما كان لها فى ذكائها الحصيف، وتدبيرها الصائب أن تتهور هذا التهور، ولكنه حب الانتقام، ولعلها كانت ترى أن زملاءه من رؤوس المماليك سيراتحون لمصرعه، حيث يقوم أحدهم مقامه، فينسى الناس سلفه الصريع، وترتاح شيئاً من شجونها الشائرات! وقد بدأت تنفيذ المؤامرة، فأرسلت إلى الملك المعز تستدعيه لزيارتها آسفة على قطيعته، وزاعمة أنها ستكون بعد الآن كالخاتم فى إصبعه، وكان الرجل مسالماً هادئ النفس، فصدق ما كتبه شجرة الدر، وسعى إلى زيارتها فى وقت حدده، ولم يدر بذهنه أنها ستجرؤ على اغتياله وليس لها معين سواه! وما كاد المسكين يقضى أمره من تناول العشاء والاستراحة قليلاً فى مضجع النوم، حتى ذهب إلى الحمام، ليجد بعد لحظات من يقتحمون عليه مأمنه ليكلوه ثم ينهالوا عليه بالطعان حتى يلقي مصرعه! وشاع الأمر فهاج الناس جميعاً، وخرجت شجرة الدر من القلعة ذليلة إلى مكان آخر، وظنت أن العاصفة ستهدأ، ولكن زوج الملك المعز ضررتها التى انتزعت شجرة الدر هناءها حين اقترن بها، وتركها دون مؤنس، صممت على الانتقام، فأعدت بعد أيام فريقاً تصحبه ليلاً إلى مقر السجينة المذبذبة، فاقتحمت الحجرة دون مقاومة، وقام الفريق باغتيال شجرة الدر ضرباً بالنعال والقباقيب ثم طرحوا فى انتقام حاقده، جثتها فى العراء، يراها الناس فيشمتون ويسخرون حتى رؤيت بعد ثلاثة أيام على أسوأ حال وهذه هى الدنيا.

الحضارة والعلوم



- النموذج الإسلامي للثقافة العربية
 - ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾
 - التواصل الإسلامي المسيحي
- مظاهره وآثاره

النموذج الإسلامي للثقافة العربية (٢)

● ولأن الإسلام - كمنظومة عقدية، تكون من حولها نسق فكري - قد مثل «الرحم» الذي ولدت منه الأمة الواحدة.. والدولة الواحدة... والدار الواحدة.. والصيغة التي صبغت حضارة الأمة وميزتها، عبر الزمان والمكان.. وذلك فضلا عن الوحدة في العقيدة والشرعية، حتى لكأنما قد خرجت أمته من بين دفتي قرآنه الكريم.. لأن هذه هي المكانة المحورية للإسلام في حياة الأمة، فلقد صاغ إنسانها، وحدد له معالم الطريق لبناء العمران الدنيوي، ولضمان النجاة الأخروية.. صاغ الإسلام لإنسانه وأمته المعايير التي لونت الثقافة التي نهضت بمهام العمران وتهذيب للإنسان المسلم، إن في لحظات التزامه بالنموذج والمعيار والمثال والتصور، أو حتى في لحظات انحرافه عنه، لأن «الضمير» الذي صاغه النموذج الإسلامي يظل واعيا بأن الانحراف عن هذا النموذج هو الاستثناء الشاذ، والحرام الذي ينتقص من تهذيب النفس وعمرانها، أي من ثقافتها، التي لا بد وأن تلتزم التصور وتنفيها المثال.. تلك هي مكانة الإسلام في صياغة النموذج الثقافي للأمة.

ولعل الإسلام قد بلغ على هذا الدرب - صياغة النموذج الثقافي.. وصبغه بصبغته - أكثر من المنظومات العقدية والفكرية الأخرى، دينية كانت أو وضعية، لأن الديني من تلك المنظومات قد وقف في الغالب عند مهام «خلاص الروح.. ومملكة السماء»، بينما توجه الوضعي من هذه المنظومات الفكرية إلى «شئون الدنيا» دون سواها.. أما الإسلام الذي مثل منهاجا شاملا وجامعا للروح والجسد، للفكر والمادة، للدين والدولة، لعالم الغيب وعالم الشهادة، للدنيا والآخرة، للذات والآخر، للفرد والطبقة والأمة، للتكاليف الفردية والكفائية (الاجتماعية)، حتى لقد جعل الاستمتاع الحلال بزينة الدنيا وطيبات الحياة عبادة لله، وصنف إمالة الأذى عن الطريق في شعب الإيمان!..

إن الإسلام، الذي مثل بمنهاجه الشامل هذا: الروح السارية في الحياة الإنسانية، وفي محيطها الطبيعي، وفيما وراء الحياة

أ.د. محمد عمارة

● «النموذج» هو «التصور» و«المثال» الذي يتحول إلى «معيار» فارق ومميز - في النسق الفكري - لمنظومة فكرية أو عقدية أو حضارية أو ثقافية عن غيرها من المنظومات المتميزة في «النموذج»، و«التصور»، و«المثال».

● و«الثقافي» هو جماع ما يعمر النفس الإنسانية ويصوغها ويهذبها، من سائر ألوان الإبداع والعطاء. إبداع الإنسان وعطاء المحيط.. وهو - «الثقافي» - مع «المدني» - الذي هو جماع ما يتمدن ويعمر به الواقع المادي، ويرتقى ويتهذب - يمثلان جماع «الحضارة.. والعمران».. فالثقافة عمران النفس الإنسانية، والتمدن عمران الواقع المادي.. ولذلك كان «الاشتراك الإنساني» في «التمدن» - عمران الواقع المادي - أكثر مما هو في «الثقافة»، التي هي عمران النفس الإنسانية، إذ فيها تتجلى الخصوصيات بين الأمم والحضارات، لاستعصاء النفس، ومن ثم مقومات تهذيبها وعمرانها على النمطية والقبولية والتكرار الوارد في عمران الواقع المادي..

والطبيعية، قد بلغ في صلب الثقافة الإسلامية بصفتها المتميزة الدرجات التي لم تبلغها المنظومات العقيدية الأخرى - لقد صاغ النموذج والمثال والتصور والمعيار، الذي كان التزامه من قبل الإنسان المسلم السبيل لأسلمة الثقافة، التي صاغت النفس المسلمة.

وحتى الأعراف - التي لم يصنعها الإسلام - رأيناها يضبطها، ثم يجعلها مصدرا من مصادر التشريع.. وحتى «الحكمة»، التي هي الصواب البشري، الذي يصل إليه العقل الإنساني، رأينا الإسلام يجعلها مناطا للتكليف الشرعي، ويحدثنا عن أنها - كالكتاب - كلاهما تنزيل إلهي «كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون» البقرة: آية ١٥١.

لقد كانت الصناعة الثقيلة للإسلام هي تغيير النفس الإنسانية وصياغتها صياغة إسلامية، وذلك لتصوغ واقعها صياغة إسلامية كذلك، أي ليقوم العمران الإسلامي، في النفس والواقع، فتتحقق المقاصد الإلهية من وراء خلق الإنسان واستخلافه في الأرض لاستعمارها «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة» البقرة: آية ٢٠، «هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها» هود: آية ٦١. تلك هي مكانة الإسلام في صياغة النموذج الثقافي للأمة الإسلامية..

وإذا كانت هذه هي خصوصية الإسلام، التي عظم من دوره في صياغة النموذج الثقافي لأمتة وحضارته.. فإن في بناء هذا النموذج العديد والعديد من «البنات».. والتي تقف هذه الصفحات - مراعاة للحيز والمقام - عند تقديم نماذج منها، تعين على تصور دور الإسلام - مقارنا بالتصور الغربي خاصة - في صياغة النموذج الثقافي المتميز للأمة العربية والإسلامية.. فهي «بنات» قد مثلت

«خصوصيات» ميزت هذا النموذج الإسلامي في الثقافة عن غيره من النماذج الثقافية الأخرى.

● التوحيد:

لقد بلغ الإسلام، على درب عقيدة التوحيد، الذروة في تنزيه الذات الإلهية عن أي تعددية أو تركيب أو مماثلة أو شبه لأي من المخلوقات والمحدثات، وصاغ للخالق تصورا تجريديا بلغ في التجريد أقصى ما يطيقه عقل الإنسان «قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفوا أحد» الإخلاص: الآيات ١ - ٤.

وهو سبحانه وتعالى، «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» الشورى: آية ١١، حتى لقد اجتهد علماء أصول الاعتقاد الإسلامي، كي يعبروا - باللغة البشرية - عن هذا التصور التنزيهي التجريدي الذي جاء به الإسلام للذات الإلهية، فلم يجدوا إلا طريق الوصف بالسلب.. فقالوا عبارتهم الشهيرة: «كل ما خطر على بالك، فالله ليس كذلك»..!

فهو، سبحانه، مفارق، ليس فقط للمخلوقات، وإنما أيضا، لكل التصورات الإنسانية عن هذه المخلوقات.

قدم الإسلام هذا النموذج للتوحيد، في مقابل اليهودية التي تحولت بالتحريف، إلى وثنية صورت الإله مصارعا.. وجعلته إلها لبني إسرائيل وحدهم، وللشعوب الأخرى آلهتها الأخرى.. في مقابل نصرانية اغتالت الغنوصية توحيدها، فسقطت في الحلول والتجسد وتعددية التثليث..!

ولم يقف الإسلام بهذا التصور التنزيهي والتجريدي للتوحيد عند نطاق الاعتقاد الديني في ذات المعبود، وإنما أشاعه روحا سارية في ثقافة الإنسان المسلم، وذلك عندما جعل من عقيدة التوحيد ثورة لتحرير الإنسان الموحد من العبودية لسائر الطواغيت.. ففي العبودية للمعبود الواحد قمة التحرر من أسر واستعباد كل ماعدا الله.. ومن هنا تحول التوحيد، ويتحول إلى حياة يحيها

«قيصر» أى الدولة والمجتمع والعمران من قانون الله وشريعة السماء، جاعلا تدبير العمران إلى المرجعية الإنسانية وحدها.

● ولذلك كان التصور العلماني الغربي - الوضعي.. والمادى - طبيعيا فى ذلك الإطار، فهو عندما رأى العالم مكتفيا بذاته، والطبيعة تدبرها الأسباب المادية المركبة فى ظواهرها وقواها، والدولة والاجتماع البشرى يديرهما ويسوسهما الإنسان بالعقل والتجربة.. إنما كان إحياء حديثا للتصور الأرسطى لنطاق عمل الذات الإلهية - الخلق دون الرعاية والتدبير.. كما كان تصحيحا رد الكنييسة - التى تجاوزت رسالة النصرانية، عندما جمعت السلطة الزمنية إلى السلطة الروحية - «ردها إلى نطاق التصور اللاهوتى لرسالة نصرانيتها ولنطاق عمل إلهها» - «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله»..

● أما التصور الإسلامى فقد جاء متميزا عن جميع تلك التصورات.. فالتوحيد فيه يفرد الذات الإلهية، لا كمجرد خالق وفقط، وإنما هو الخالق والراعى والمدير لجميع المخلوقات.. فالأمر والتدبير له، سبحانه وليس الخلق فحسب.. «إلا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين» الأعراف: آية ٥٤. «قال فمن ريكما يا موسى* قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى* طه: الآيتان ٤٩، ٥٠، «قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين* لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

وبهذا التصور الإسلامى للتوحيد.. ولنطاق عمل الإله الواحد، تميز النموذج الإسلامى، وسرى هذا التميز فى الثقافة الإسلامية عندما صاغ هذا التصور المتميز النفس التى تصورت الذات الإلهية على هذا النحو من التنزيه والتجريد، والتى رأتها المدير لكل المخلوقات، والحاكم فى مختلف ميادين العمران.

الإنسان دائما وأبدا، وليس فقط إلى تصور عند الشعائر والعبادات «قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين* لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

وهذا التصور الإسلامى الذى يخلص العبودية لله الواحد فى كل الميادين - الدينية. والدنيوية.. والأخروية - «صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين* لا شريك له» - هو الذى ميز النموذج الثقافى الإسلامى بتصور متميز لنطاق عمل الذات الإلهية، انفردت به الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات..

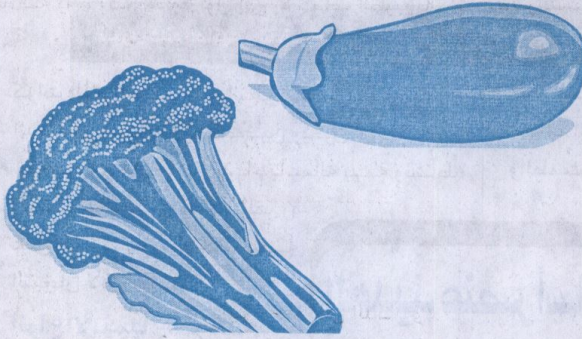
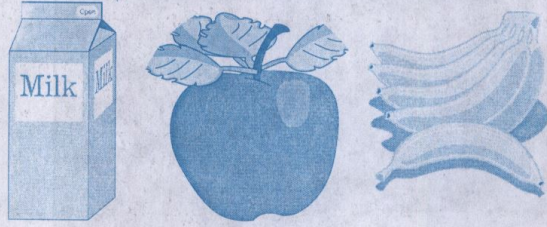
● وفى الأرسطية اليونانية كان التصور للذات الإلهية باعتباره مجرد خالق للعالم.. خلقه وانتهت علاقته به.. وتدبيره موكول إلى الأسباب الطبيعية والمادية المودعة فى ظواهره وقواه.

● وفى الوثنية الجاهلية كان التصور لنطاق عمل الذات الإلهية قريبا من هذا التصور الأرسطى.. فالوثنيون فى الجاهلية لم يكونوا ينكرون الله خالقا للمخلوقات «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله» العنكبوت: آية ٦٣، لكنهم كانوا يشركون معه الطواغيت والأوثان فى تدبير العمران الدنيوى، فيلجأون إلى هذه الأوثان إذا أرادوا الحرب أو السلم، السفر أو الحل، الإقدام أو الإحجام.. إلخ.. إلخ.. فجعلوا الله خالقا.. ووقفوا بنطاق عمله عند الخلق.. وجعلوا تدبير العمران للشركاء والطواغيت «فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا» الأنعام: آية ١٣٦.

● وقريبا من هذا التصور - الذى يعزل الذات الإلهية عن تدبير العمران الإنسانى ويحرر سياسة هذا العمران من شريعة السماء... قريبا من هذا التصور جاء التصور اللاهوتى النصرانى، عندما قال: «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، فحرر

﴿أنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾

أ.د. عبدالمعبود عمارة



والحديد يوجد ضمن عناصر التربة الزراعية فتتغذى عليه النباتات والخضروات ويدخل في تركيبها حيث تحتوى الخضروات والفواكه على نسبة كبيرة من الحديد مثل: الباذنجان، والسبانخ والتفاح والموز والألبان ومشتقاتها. والحديد عنصر أساسى فى الجسم لأن الهيموجلوبين يحمل الأوكسجين إلى جميع أنسجة وأجهزة الجسم وإذا نقص عنصر الهيموجلوبين أصيب الإنسان بفقر الدم وهو مرض خطير ويعرف بالأنيميا.

مرض الأنيميا

هو مرض يتميز بنقص مادة الهيموجلوبين أو نقص عدد

قال تعالى: ﴿أنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ الحديد: آية ٢٥.

وجاء فى تفسير هذه الآية الكريمة: «فيه بأس شديد» أى من آلات الحرب كالسلاح والدروع وغير ذلك، «ومنافع للناس» وهو ما يشاهد من نفعه فى أنواع الصناعات والحرف والأواني وآلات الحرث؛ حتى إنه قل أن يوجد شيء إلا وهو يحتاج إلى الحديد، ومن المنافع المعروفة علمياً والمتفق عليها أن الحديد يدخل فى تكوين كرات الدم الحمراء بصفة أساسية؛ وكل كرة دم تحتوى على مادة الهيموجلوبين، ومادة الهيموجلوبين تتكون من عنصرين:

العنصر الأول: «الهيم» وهو مادة الحديد.

والعنصر الثانى: «الجلوبين» وهو نوع من البروتين له القدرة على الاتحاد بالحديد ليكونا كرات الدم الحمراء؛ ويتم ذلك داخل المصنع الإلهى وهو نخاع العظام وتعيش كرات الدم الحمراء عمراً يقدر بـ ١٢٠ يوماً وبعدها تتحلل إلى الهيم والجلوبين مرة أخرى.



تحتوي هذه الفاكهة والخضروات على نسبة كبيرة من الحديد والكوبلت وفيتامين ب المركب لعلاج الأنيميا

عند الحوادث وهذه تعالج فوراً بنقل الدم.
أما النزف المزمن فمن أسبابه البواسير النازفة،
والطمث الزائد عن حده والحمل المتكرر وقرحة
المعدة والاثنى عشر ودوالي
المرئ.

وعلى أصحاب القرحة
المعدية والاثنى عشر تجنب
تعاطى الأسبرين وأدوية
الروماتيزم لأنها تزيد من
مضاعفات المرض وتسبب
النزيف الهضمي.

ومما يسبب النزف المزمن
الإصابة بالديدان المعوية
كالإنكليستوما وديدان
البهارسيا.

النوع الثالث: الأنيميا الناتجة عن تكسر كرات
الدم الحمراء داخل الأوعية الدموية مثل الأنيميا
التحليلية وسببها يرجع إلى عيوب في كرات الدم

كرات الدم الحمراء؛ وبالتالي يتميز بقلة مقدرة
الدم على حمل الأوكسجين ويكون لون المريض
شاحبا غير قادر على القيام بأعماله بهمة ونشاط
ويصاب بالخمول وعدم القدرة
على التركيز ويلاحظ عليه
النهجان لأقل مجهود.

أنواع الأنيميا «فقر الدم»

النوع الأول: الأنيميا الناتجة
عن خلل في تكوين كرات الدم،
وترجع إلى نقص في تناول أو
امتصاص العناصر اللازمة
لتكوين الكرات الحمراء مثل
عنصر الحديد والكوبلت ومادة
البروتينات «الجلوبين» مما
يساعد على تكوين الهيموجلوبين

مجموعة من فيتامينات ب المركب وفيتامين ج».

النوع الثاني: الأنيميا الناتجة عن تكرار النزف
المزمن أو الحاد؛ ومن أمثلة النزف الحاد ما يحدث

**الحديد عنصر أساسي
في الجسم يحمل
الأوكسجين إلى جميع
أنسجته وأجهزته**

الحمراء نفسها أو وجود عوامل تساعد على تكسيرها مثل طفيل الملاريا ونقص الحديد وهو أكثر أسباب الأنيميا شيوعاً، وهو يحدث نتيجة لعدم تناوله في المواد الغذائية أو لنقص امتصاصه من الأمعاء أو فقدانه من الجسم بسبب مرض من الأمراض، وعادة فإن حوالي عشرة في المائة فقط من الأغذية التي يتناولها الإنسان هي التي يتم امتصاصها.

ويلاحظ أن نقص فيتامين ج قد يؤدي إلى نقص في امتصاص الحديد من الأمعاء «فيتامين ج متوافر في الفواكه والخضروات».

أسباب فقدان الحديد من الجسم
قد يتعرض الإنسان إلى فقد كمية من الدم لأحد الأسباب التالية:

● أمراض في الجهاز الهضمي مثل دوالي المرئ وقرحة المعدة وقرحة الاثني عشر وأمراض الشرج ومنها البواسير النازفة والشرج وأورام الجهاز الهضمي ومرض الإنكليستوما الذي ينتشر بين الفلاحين ويؤدي إلى الإصابة بالأنيميا فهو يؤدي إلى فقدان حوالي ١/٤ لتر دم يومياً.

ومن الأمراض التي تسبب الأنيميا بلهارسيا المستقيم وبلهارسيا المجارى البولية.

وفي المناطق الحارة قد يصاب المريض بطفيل الملاريا التي تؤدي إلى تكسير كرات الدم الحمراء. كما أن بعض المرضى الذين يصابون بتضخم الكبد والطحال عادة ما يصابون بالأنيميا بسبب تمرد الطحال وقيامه بتكسير كرات الدم تكسيرا مرضياً، أو لتكرار النزف بسبب دوالي المرئ. «تفقد الإناث بين ١٥ و ٢٠ مجم من الحديد في كل

دورة شهرية وتفقد الأم في كل حمل وولادة ٥٠٠ مجم من الحديد وتفقد المرضع يومياً جراماً واحداً من الحديد».

علاج الأنيميا

١ - العلاج بالغذاء وذلك بتناول المواد التي تحتوى على عنصر الحديد والكوبلت وفيتامين ب المركب وفيتامين ج وهي: الحبوب، واللبن، والبقوليات، والسيانخ والفاصوليا والفلو والطماطم والبرتقال والتين والمشمش والبرقوق والخوخ والجزر وعصير الليمون؛ ويمكن تناول بعض من لحم الضأن أو البقر والكبد والكلاوى والبيض.

٢ - علاج الأسباب التي تؤدي إلى الأنيميا: ففي حالات النزيف من الجهاز الهضمي يجب عمل منظار للجهاز الهضمي العلوي للمرضى الذين يعانون من تضخم الكبد والطحال وعلاج الدوالي إن وجدت؛ كما يجب علاج البواسير النازفة واستئصال الأورام إن وجدت، كما يجب عمل تحليل براز وبول لتحديد نوع الطفيل المسبب للأنيميا وعلاجه؛ كذلك يجب القضاء على طفيل الملاريا في أماكن وجوده وعلاج الأمراض المسببة لتحلل الدم.

ويجب بذل عناية خاصة بالسيدات الحوامل والمرضعات وخاصة في الطبقة الفقيرة ورعايتهن والحفاظ عليهن من أنيميا نقص الحديد وذلك بمراكز رعاية الطفولة والأمومة.

المراجع:

- ١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي. مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- ٢ - الصحة العامة وطب المجتمع، للأستاذ الدكتور جبر متولى سيد أحمد، أستاذ الصحة العامة وطب المجتمع

العوامل والمرضعات في المجتمعات الفقيرة يحتاجن إلى رعاية خاصة تجنباً للإصابة بفقر الدم

في إطار برنامج « حوار الحضارات »

«التواصل الإسلامي-المسيحي مظاهره وآثاره»

مكانة عيسى وأمه في القرآن الكريم

● إن تكريم القرآن لعيسى وأمه ليس بعده تكريم وحرى بنا أن نذكر قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: آية ٤٢، ﴿وَجَعَلْنِي مَبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ مريم: آية ٣١.

● وإن لعيسى

الحوار بين الإسلام
والغرب ينبغى أن
يكون بلغة
علمية لضبط
الحوار

خصوصية نبه عليها القرآن، وليس أدل على مدى التعاون بين المسلمين والمسيحيين كما نجد في هاتين الحادثتين المشهورتين: أولاهما: هجرة المسلمين إلى الحبشة وقد قال لهم الرسول الكريم ﷺ إن عنهم ملكا لا يظلم أحد عنده.

وثانيهما قصة

وقد نصارى نجران الذين

صلوا عند رسول الله صلاتهم واحتفى بهم أيما احتفاء وذكر المحاضر أيضا رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء ومنهم المسيحيون الذين ردوا عليه ردا طيبا. واستدل المحاور بكل ذلك على عمق الصلات بين الديانتين المسيحية والإسلام. وذكر الرجل أيضا ما ورد في سورة الروم وسعادة المسلمين بنصر الله للروم على أعدائهم من الفرس في قوله تعالى: ﴿الْم * غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَقْلَبُونَ﴾ الروم: الآيات ١ - ٣.

البعد عن التعصب دون تفريط

وقد علق الدكتور محمد الدسوقي - الأستاذ بجامعة الأزهر

أحمد فاروق الهلباوى

في إطار نشاط برنامج حوار الحضارات المنعقد بصفة دورية، عقد مركز الدراسات السياسية محاضرتين كانت إحداهما بعنوان: التواصل الإسلامي المسيحي مظاهره وآثاره، أما الأخرى فقد كانت عن المجتمع الياباني بين الدولة والدين بعد عام ١٩٤٥م. والناظر للوهلة الأولى يرى أن مركز الدراسات السياسية يحاول دائما تعريف متابعيه على تنوع الحضارات ألا أن كل ذي عينين يجد أن هذه الحضارات تتلاقى ولا تتباعد ويكمل بعضها بعضا، ولو أن النظرة الانسانية بعامة كانت هي الهدف الأسمى من هذه الحضارات لالتقت وتعاونت في أوجه الخير المختلفة.

وفي اللقاء الأول الذي كان عنوانه: «التواصل الإسلامي المسيحي - مظاهره وآثاره»، كان المتحدث الأساسي فيه هو الدكتور محمد أحمد الشريف وكان يعرض لتجربة ليبية حول هذا النوع من الحوارات، وقد كان محور كلامه يدور حول أمور عديدة منها:

- على محاضرة الدكتور الشريف بقوله: «إن الحوار بين المسلمين والغرب ينبغي أن يكون بلغة علمية لضبط الحوار وأن نبتعد عن التعصب دون تفريط أو إفراط» **«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»** النحل: آية ١٢٥. والتقط مطران

البحيرة وشمال أفريقيا خيط الحوار من الدكتور محمد الدسوقي قائلا: إن المسيحيين المشاركة أيام

استيلاء الصليبيين على بيت

المقدس منعوا من زيارة الأماكن

المقدسة، بينما فتح صلاح

الدين الأيوبي لهم الأراضي

المقدسة ومازال هناك دير

يسمى بدير السلطان إلى وقتنا

هذا.

الرسوم المسيئة للرسول ﷺ

وتطرق الحوار بعد ذلك عن

الرسوم المسيئة لسيد الخلق

محمد ﷺ وقد أكد الدكتور

أحمد عمر هاشم - رئيس

جامعة الأزهر السابق - على أنه

يجب أن يكون هناك قانون دولي لمنع الإهانة لكل

الرسول. وذكر قوله تعالى: **«لتجدن أشد الناس**

عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن

أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى»

المائدة: آية ٨٢.

وقد فتح باب الحوار حول مسألة الرسوم

المسيئة للنبي ﷺ وقد علقت الدكتورة أمال ثابت -

الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - بقولها:

إنها عاشت لفترة في الدنمارك وترى أن بعض

المسلمين يسيئون للإسلام ولكنها تعيب على بعض

المسلمين هناك الذين أخذوا من منهج بن لادن

وغيره ولم يروا في الإسلام إلا جلبابا قصيرا.

وأخذ السفير نبيل بدر يعلق على ما قاله

الآخرون بقوله: «إن الحوار يكون مثمرا حين يعترف كل فريق بالآخر، حينما تقترب الأصول وتمتد، وإن فكرة التواصل لمنظومة القيم لا يقوم بها علماء الدين فقط بل تحتاج لرعاية سياسية.

وفي النهاية علق الدكتور الشريف المتحدث

الرئيسي في الندوة بقوله: إن العصبية أحيانا

تشوه الحوار بل وتفضي إلى

نتيجة عكسية.

أما الحلقة الثانية من حلقات

النقاش في حوار الحضارات

الذي يقيمه مركز الدراسات

السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم

السياسية فكانت بعنوان:

«المجتمع الياباني بين الدولة

والدين بعد عام ١٩٤٥م».

وقد ألقى المحاضرة

البروفيسور سوسومو شيمازونو»

وقد دارت محاضراته حول

نقطتين أساسيتين:

• المجتمع الياباني له خصوصية في تنوع

الديانات بين «شنتو» والمسيحية وأدرجت بعد ذلك

ديانات أخرى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية

سنة ١٩٤٥م.

• توصل اليابانيون إلى أن العلمانية هي الوسيلة

الوحيدة لفك الاشتباك بين الديانات المختلفة في

المجتمع الياباني، والشنتو عندهم مفهوم مساو

لمفهوم الدين.

ويعد.. فإن برنامج حوار الحضارات يكتسب

كل يوم أرضا جديدة ويعرفنا على حضارات

مختلفة ومتنوعة علها توصلنا إلى معرفة حقه

بالآخرين.

منع الصليبيون مسيحي المشرق من زيارة بيت المقدس وأتاحها لهم صلاح الدين الأيوبي

من أعلام المصلحين

الشيخ محمد رشيد رضا، المصلح العلامة!



الشيخ محمد رشيد رضا

نعرض على هذه الصفحات مسيرة شيخ جليل من علمائنا الأجلاء، تزامن الحديث عنه ذكرى غالية، هي ذكرى مولد إمام المصلحين وقدوتهم أجمعين ﷺ، والتي صادفت - للأسف - تداعيات مفرضة استهدفت شخص الرسول الأعز الأكرم ﷺ.. ذلك أن عاصفة عاتية هوجاء هبت برسومها المسيئة، ثم ما لبثت أن تشتت ريحها وتباعدت أصداؤها وولت من حيث أتت، إلا أنها خلفت وراءها جرحا غائرا في نفس كل مسلم تحول إلى نزيغ من المشاعر لم يتوقف بعد! ومن اللافت للنظر أن محاولات الإساءة هذه ليست وليدة ولا جديدة، بل هي سلسلة طويلة من الاعتداءات على أصحاب الرسالات والصحابة ومن تبعهم من الأولياء الصالحين المصلحين.. سلسلة ممتدة في عمق التاريخ، تعاقبت حلقاتها الصدئة وتنوعت ردائها..!

كمال عبد الوهاب

قَبْلَهُمْ وَمُهَانَةُ

المهم، يجب ألا تتحول عاطفة الغضب لدينا إلى حريق، وحركة الفعل - كالعادة - إلى رماد! علينا - تحديداً -:

- ألا تدفعنا هذه الإساءة إلى العزلة أو التباعد، بل يجب العمل - في صبر - على فهم هذا الآخر. وأن نُحسن تقديم أنفسنا إليه.. دينا قيماً وعقيدة صحيحة.
- أن نتمسك بمنهج القرآن الكريم، وبسنة النبي ﷺ.
- اتباع سير الأعلام المصلحين الذين نهجوا نهج الرسول

ومن اللافت للنظر - أيضاً - أن محاولات الإساءة هذه جاءت في وقت لا يكف فيه «الآخر» ولا يمل عن الحديث عن قيم «الحرية» و«حقوق الإنسان»!

- وكأن هذه الحرية لا سقف لها ولا حدود.. تستبيح الغير وتعتدى عليه.. رموزه كانت أو مقدساته!

- وكأن حقوق الإنسان باتت مهددة من قبلنا، وليست منتهكة من

الكريم - عليه الصلاة والسلام - وكانوا لنا قبسا من نوره ﷺ. قبسا يضيء لنا الطريق، فنصوب السير، ونهتدى إلى سواء السبيل ولو كره الكافرون.

كلما أشرق فيهم أجفلوا

وتولوا عن ضياه معرضين

كلما أفحمهم قرآنه

عاندوه في لجاج لا يبين

يا لجهد.. قد آتاه وحده

ومضى فيه بعزم المرسلين

كان يدرى أى شر رابض

لذى يبنى سياج الأمنين

كم تمادى - يا حبيبي - ظلمهم

وأذاهم لكريم لا يهون^(١)

معنا الآن.. مصلى كبير.. محب لرسول الله ﷺ.. اتخذ منه - عليه الصلاة والسلام - أسوة حسنة فسار على هديه وخطا خطوه.. رغب منذ حدثه في الجد، وأعرض عن اللهو.. طلب العلم طلبا حثيثا، وفاق أشياخه فيه، وبلغ في مدارجه شأوا عظيما!

• ترى من هو الشيخ.. المصلح العلامة؟^(٢)

إنه محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس ابن محمد بهاء الدين بن منلا على خليفة. يتحدث هو عن نفسه، فيقول: «ولدت سنة ١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م، ونشأت في قرية تسمى «القلمون» على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان، تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال، وكان جميع أهل هذه القرية من السادة الأشراف

المتواترى النسب.

«وأهل بيتنا ممتازون فيهم بأنهم أهل العلم والإرشاد والرياسة، ويلقبون بالمشايخ للتميز، وجدى الثالث هو الذى بنى لهم مسجدا أحيا بينائه الدين وإقامة الشعائر فيه من إمامة وخطابة وتدريس، وكان عالما صالحا مشهورا بالكرامات..

«وكانت والدتي من أسلم النساء فطرة وأكرمهن أخلاقا وأوفاهن لزوج، وأحناهن على ولد. وكان والدى من أعز الرجال نفسا وأجرأهم جنانا وأسخاهم يدا. وكنت أنا وإخوتي نهاب والدنا أشد المهابة..

«وكان بيتنا ومازال بفضل الله تعالى بيت كرم وضيافة. وعهدى بأكبر علماء طرابلس وحكامها ووجهائها يغشون دارنا في أيام الصيف، ويقيمون أياما للتمتع بهوائها اللطيف ومياه ينابيعها النقية، وكنت من أول سن التمييز أميل إلى العلماء منهم دون الحكام ووجهاء الدنيا..

«وكان والدى من بعد جدى الذى مات وأنا طفل هو سيد الأسرة والبلد المضيف، وكان عمه «السيد الشيخ أحمد» كبير الأسرة سنا منقطعا للعبادة، لا يقابل من ضيوفنا إلا العلماء والأصدقاء، وكان مجلسه مجلس أدب ووقار لا لغو فيه ولا دعاية. وأذكر أنه كان في طرابلس رئيس لعسكرية الدولة جبار متكبر جاء قرية «القلمون» صباحا ليزور الشيخ، ولم يكن يُعهد منه تكريم العلماء في طرابلس، فاستؤذن عليه فلم يأذن. فسأل كيف يتسنى له أن يراه؟ فقليل له: إنه ينزل إلى المسجد للصلاة فيمكنك أن تراه عند نزوله أو عودته.. فانتظره ساعة أو أكثر، حتى نزل للصلاة الضحى فسلم عليه واقفا، وأنشده الشيخ أبياتا في بيان حاله، وأن إعراضه عنه ليس لذاته، وقال

لن معه: ترجمها له وانصرف.. أذكر منها هذا البيت:

ولست بسائل ما عشت يوماً

أسار الجند أم ركب الأمير

«فكانت هذه الحادثة من أكبر ما عظم شأن بيتنا في نفسى، فوقر فيها أن شرف النسب إذا زانته التقوى والاستقامة يكون صاحبه أكرم الناس عند الله وعند الناس».

وفى القرية حفظ القرآن الكريم، ووجهته أسرته إلى العلم الدينى، فدرس بالمدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس، ثم فى بيروت، وبعد دراسة علوم القرآن والحديث والفقه واللغة - على النمط الشبيه بالأزهر - نال شهادة (العالمية) من طرابلس الشام.

● جهاده (٣)

غلب عليه فى المرحلة الأولى من تكوينه الفكرى منهاج «المنقول والمأثورات»، وتأثر كثيراً بكتاب: «إحياء علوم الدين» للغزالي، فمال إلى الزهد والتصوف، وانخرط - مريداً - فى الطريقة «النقشبندية»، ومارس الوعظ والإرشاد فى قريته والقرى المحيطة بها، وعينه «متصرف» طرابلس - الذى أعجب بخطابته - عضواً فى شعبة المعارف.

لكن يظل الإنجاز الأعظم لرشيد رضا على الجبهة الفكرية إصداره وتحريره مجلة المنار، وإذاعته لفكر محمد عبده وجمال الدين الأفغانى، ومواصلته جهود محمد عبده فى تفسير القرآن (تفسير المنار) وتأريخه لحياة محمد عبده ومدرسته، والكتب الكثيرة والفتاوى العديدة التى واصل فيها وبها حركة التيار التجديدى، والتى خاض بها الكثير من المعارك الكبرى التى شهدها العالم الإسلامى فى مرحلة الزحف الاستعمارى والفكر التغريبى فى عالم الإسلام.

وفى عام ١٣١٠هـ - ١٨٩٢م حدث له تحول فى توجهه الفكرى، إذ بينما هو يقلب فى أوراق والده، عثر على بعض أعداد مجلة «العروة الوثقى» التى أصدرها من باريس جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى سنة ١٨٨٤م. فأحدث فكرها فى عقله انقلاباً عميقاً وشاملاً. وبدأ بهذا الفكر مرحلة من حياته أصبح فيها - وعلى امتداد أكثر من أربعين سنة - ترجمان فكر هذا التيار الإصلاحى فى اللحظة الإسلامية الحديثة. وقد تحدث هو نفسه عن هذا التحول الذى أحدثته فى فكره أعداد مجلة العروة الوثقى، فقال:

«.. لقد كان كل عدد منها كسلك من الكهرياء، اتصل بى فأحدث فى نفسى من الهزة والانفعال والحرارة والاشتعال ما قذف بى من طور إلى طور، ومن حال إلى حال.. وتعلمت منها: أن الإسلام ليس روحانياً أخروياً فقط، بل هو دين روحانى جسمانى أخروى دنيوى، من مقاصده هداية الإنسان إلى السيادة فى الأرض بالحق، ليكون خليفة الله فى تقرير المحبة والعدل، فتعلقت نفسى بوجوب إرشاد المسلمين عامة إلى المدنية، والمحافظة على ملكهم، ومباراة الأمم العزيزة فى العلوم والفنون والصناعات. وجميع مقومات الحياة، فطفقت أستعد لذلك استعداداً» (٤).

ومنذ ذلك التاريخ سعى رشيد رضا لصحبة الأفغانى، فلما لم يتيسر له ذلك هاجر إلى مصر سنة ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م فلقى الإمام محمد عبده، واتفق معه على أن يكون تلميذه، وترجمان فكره، وأصدر مجلة المنار التى ظلت منبر هذا التيار التجديدى لأكثر من أربعين عاماً.

وجدير بالذكر أن الشيخ رشيد رضا هو الذى أطلق على محمد عبده لقب «الأستاذ الإمام» إيماناً منه بأستاذيته، واعترافاً بريادته وفضله.

وبعد وفاة الإمام محمد عبده ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م، واستقلال رشيد رضا بالقيادة الفكرية لهذا التيار، زاد اقترابه من العمل السياسي، فاهتم بمعالجة علاقات العرب بالأتراك، والمسألة الشرقية، والتدخل الاستعماري الغربي في الشرق الإسلامي، وشئون الخلافة الإسلامية، والخطر الصهيوني على فلسطين، وكان أحد أقطاب حزب اللامركزية الذي أراد إصلاح الإدارة العثمانية، على نحو يحفظ وحدة الدولة، ويستجيب للطموحات العربية المشروعة في إطارها، وهو الحزب الذي تكوّن سنة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م. كما كانت له علاقات بالمشايخ السياسية للشريف حسين بن علي، والملك عبدالعزيز آل سعود^(٥).

• مؤلفاته (٦)

تعددت مؤلفات العالم الفقيه وتنوعت.. منها على سبيل المثال:

- تفسير القرآن الكريم والشهير بتفسير المنار، فسر به ١٢ جزءا في ١٢ مجلدا.
- التفسير المختصر المفيد (وفيه ملخص ما قاله - رحمه الله - من التفسير في الدرس).
- مجلة المنار.
- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (٣ أجزاء).
- الوحي المحمدي (تمت ترجمته إلى أكثر من لغة).
- المنار والأزهر (وفيه ترجمة السيد نفسه بقلمه).
- ترجمة القرآن وما فيها من مفاصد.
- الوحدة الإسلامية - الخلافة أو الإمامة العظمى - الوهابيون والحجاز - السنة والشيعة.
- مناسك الحج (أحكامه وحكمه) - المسلمون والتبطل.
- وهناك مؤلفات لم تطبع، أو طبع بعضها ولم تنشر، منها على سبيل المثال أيضا:
- حقيقة الربا - مساواة المرأة والرجل - رسالة

في حجة الإسلام الغزالي - رسالة في التوحيد - (على طريقة السؤال والجواب) - الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية.

• رحيمة الله (٧)

فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها بعد ظهر الخميس ٢٢ أغسطس ١٩٣٥م وذلك أثناء عودته من السويس إلى القاهرة، حيث كان يودع ولي العهد السعودي سعود بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله رحمة واسعة).

وبعد: فقد كنا مع شيخ فقيه وعالم عظيم، من فرع دوحة شرف وأصاله.. سليل بيت أسس على «التقوى والعلم» فكان «الرشيد» اسما وفعلًا.

أدرك بصدق فراسته وبعد نظره أن العصر الذي يستقبله إنما هو عصر إصلاح ودور إيقاظ، فاتسم بالصالح ترويضاً لنفسه وتهيئة لها لريادة مكانة بالغة الأهمية، كما تحلى بحلى الفضيلة، وتعلق بمعالى الأمور.. وكأنه توسم في نفسه الرئاسة الدينية وتطلع أن يكون صدرا في الشريعة الإسلامية، فتأهب أن يكون إماما وقوده.. وكان - بحق - نعم الإمام، وأصبح - بصدق - نعم القدوة!

الهوامش:

- ١ - الشاعر الإسلامي محمد التهامي.
- ٢ - الأمير شكيب أرسلان، قرأه وعلق عليه د. مدحت السبع، دار الفضيلة، ٢٠٠٦م. (بتصرف).
- ٣ - د. محمد عمارة، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مطابع الأهرام التجارية بقلبيوب، ٢٠٠٤م.
- ٤ - رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، طبعة القاهرة، ١٩٣١م.
- ٥ - د. محمد عمارة، مسلمون ثوار، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ٦، ٧ - المصدر رقم ٢.

تحذير لمستخدمي الكمبيوتر لمدة طويلة:

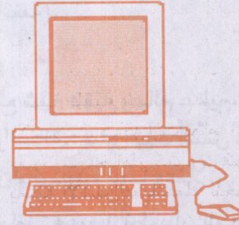
تجنبوا الإصابة بأمراض المخ والأعصاب

هناك من يستخدم جهاز الحاسب الآلى لفترات متواصلة، تزيد عن خمس ساعات، وتصل في بعض الأحيان إلى أضعاف ذلك الوقت. وهؤلاء معرضون للإصابة بعدة أمراض من بينها أمراض المخ والأعصاب. ويقول الخبراء والمختصون أن العصب الأوسط في الذراع معرض للإصابة أكثر من غيره، لأنه يمر عبر الذراع في نفق عظمي أضيق، يسمى نفق «كاربال» وتبدأ أعراض هذه الإصابة بالألم في اليد، تمتد إلى المرفق والكتف، مع تدمير وفقدان تدريجي للإحساس بالأصابع، وخاصة الإبهام والسبابة والوسطى، مما يؤدي إلى عدم القدرة على الإمساك بالأشياء بقوة.



ومتقطعة للراحة. وعند الإحساس بظهور أعراض حالة نفق «كاربال» التي أشرنا إليها يجب التوقف فورا عن العمل أمام الكمبيوتر، واللجوء إلى الطبيب، لاستشارته وعرض الحالة عليه. وكما يقول د. ميشيل حنا في مجلة «أون لاين» أن هناك حالات أخرى تتعلق بالأمراض الباطنية والنفسية. أما الأمراض الباطنية، فتحدث نتيجة لزيادة الوزن، الذي يعاني منها معظم مستخدمي الكمبيوتر، بسبب جلوسهم لمدة طويلة أمام الأجهزة. ومن المعروف أن السمنة أو زيادة الوزن، تأتي كمقدمة للإصابة بارتفاع ضغط الدم وزيادة نسبة الكوليسترول، وكذلك

نافذة على المعلومات



إعداد: منى القاضي

ومثلما يحدث في جميع الأمراض، فإن المبادرة بالوقاية المبكرة، أفضل كثيرا من الانتظار حتى تحدث مضاعفات يصبح الشفاء منها صعبا.

وتتلخص الوقاية في أن تكون اليد في وضع طبيعي خلال القيام بكل الأنشطة اليومية، أي في وضع مستقيم أو منثنى قليلا جدا عن الرسخ، بينما يكون الإبهام على نفس الخط مع الذراع.

ويجب أن نعرف أن ثنى اليد على لوحة المفاتيح والفأرة حيث يصبح الإبهام خارج الخط مع الذراع، لفترة طويلة يؤدي إلى زيادة الضغط على العصب.

لذا يجب أن تجعل يديك في وضع مستقيم قدر الإمكان، مع أخذ فترات

الناس أسرار.. والأجهزة كذلك!

حافظ على كلمة السر

الأمر في يدك.

هذه النصيحة يقدمها لك خبراء تأمين المعلومات، حيث وجدوا أن هناك حوالى مليون كلمة سر، قد تمت سرقتها من على شبكة الإنترنت، لأن القرصنة يستخدمون تقنيات متنوعة للوصول إلى أهدافهم، فلو تمكن شخص من معرفة كلمة السر الخاصة بك، فيمكنه أن يتعامل مع البرامج أو مواقع الإنترنت، كأنه أنت تماما، مما يعرضك لمخاطر كثيرة، فمثلا يمكنه الاشتراك باسمك للحصول على بعض الخدمات، والتي سيكون عليك دفعها فيما بعد.

والخطورة لا تقتصر على المستوى الفردى فقط، ولكنها تهدد كذلك جميع الحاسبات المتصلة بالشبكة، وهو ما يعرض جهة العمل بالكامل للخطر. فالقرصنة يعدون الكثير من البرامج لتجربة كلمة السر المتوافرة في القواميس لديهم، على أمل أن يصلوا إلى فريستهم. كما يستخدمون برامج تسمى smiffers وهي تستطيع التقاط كل حرف تكتبه على لوحة المفاتيح دون أن تشعر! فعند كتابة كلمة السر يتصحك الخبراء بتجنب ما يلي:

- أسماء الشهور مثل October, January.
- الأسماء المتكررة مثل: Toti, Kitty.
- أرقام التليفونات مكتوبة Three, Zero, one.
- الأحرف الأبجدية المتتالية أو أحرف لوحة المفاتيح المتتالية مثل asdfy.

أسماء الشهور والأسماء المتكررة وأرقام التليفونات، هي كلمات سر، من السهل سرقتها، لا تهمل عزيزى المستخدم فى المحافظة على كلمة السر الخاصة بحاسبك الشخصى، حتى لا تنهار دفاعاتك الأمنية مهما كانت قوية على الحاسب، وأنت تظن أن

أمراض القلب وتصلب الشرايين. وهنا ينصح المختصون بالخروج إلى الهواء الطلق، وممارسة التمرينات الرياضية، لاستعادة اللياقة البدنية والحفاظ عليها، تجنباً للإصابة بالأمراض الخطيرة المترتبة عليها.

وقال د. ميشيل أن أمراض السلوك الاجتماعى مثل الانطواء هو أكثر الأعراض المرضية التى تصيب مستخدمى الكمبيوتر.

٤ طرق لتخفيف الأحمال الزائدة على الحاسب الآلى

اتفق خبراء الكمبيوتر على عدة طرق، لتخفيف الأحمال الزائدة على أجهزة الحاسب الآلى.. وتتخلص فى أربع طرق:

الطريقة الأولى: هى التخلص من ورق الحائط Wallpaper الذى يغطى خلفية شاشة سطح المكتب، حيث أن استخدام هذه الخاصية يستهلك حجما كبيرا من الذاكرة الالكترونية للحاسب، وخاصة عند ضبط درجة كفاءة الشاشة بدرجة عالية.

الطريقة الثانية: هى تقليل عدد العلامات المختصرة من على شاشة سطح المكتب حيث أن كل علامة من هذه العلامات المختصرة تستهلك طاقة من المعالج، كلما يتم عرض محتويات شاشة سطح المكتب، ولذلك فعليك أن

تحتفظ فقط بأيقونات البرامج التى تستخدمها، وباقى العلامات قم بإلقائها فى سلة المهملات.

الطريقة الثالثة: وهى تقليل عدد الأشكال والحروف jants التى تستخدمها على الحاسب، فكل هذه الأشكال يتم تحميلها واختبارها كلما قمت بتشغيل الحاسب.

الطريقة الرابعة: تخفيف أظنان من برامج النوافذ التى توجد على حاسبك الشخصى حيث أن معظمنا لن يستخدم عددا كبيرا من هذه البرامج خلال فترة عمله على الجهاز وبالتالي فعليا أن نحدد البرامج التى لا نحتاجها. وبذلك نزيد من المساحة الخالية فى وحدات التخزين، وبالتالي نزيد من سرعة التحميل فى نظام النوافذ عند التشغيل.

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Address: WWW.islamic. Council. org

E-mail Addresses : Coun 11@ hotmail. com

Postal Address: 9, El-Nabatat St. Garden City- Cairo A.R.E.

Tel. Nos.: (202) 7951438- 7951494

Fax No.: (202) 7954005

الصادق الأمين

شعر / حسن أبو الغيط

يحيا بها قبل الجنان أنامُ
فهي اختيار للمقيم يقام
لكنها غا غي له إبرام
دور وكم دارت بنا أحلام
مثل الغواية بل لها أعلام
كامرأة عجوز ما لها أكمام
وهي العجوز وعمرها أيام
عجبا ويسعى للعجوز غرام

* * *

عيني على صبح حواه ظلامُ
والدين عند الله ذا الإسـلام

* * *

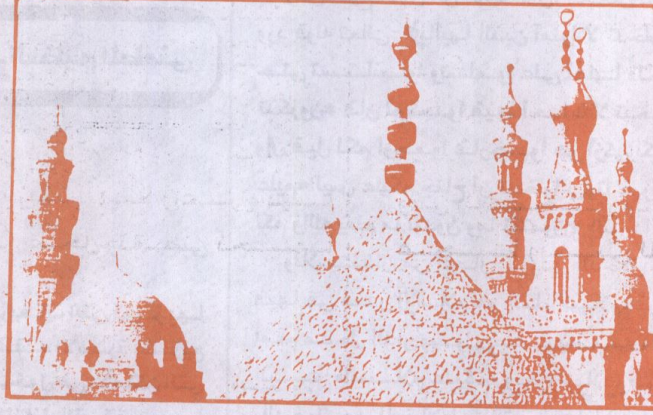
تؤتى سعى بك للسما إلهام
تفعل كما فعل الصغار وهاموا
بك لا يليق ولو بنومك قاموا
في العالمين وللجميع مهام
عند الخلاف فحكموك وصاموا
حلا فما لسواك فيه كلام
لولاه أودى بالجميع صدام
ما خنتها حتى وأنت مضام
هاجـرت يا من راعك الإـظلام
يومـا وكان لمثلـك الأغـنام
فالرعى تدريب لمن سيـرام
أمـما.. كذلك للسـما أحـكام

لو تهتدى الدنيا ستصبح جنة
لكنها ستظل دوما فتنة
كم ردها من قادها عن غيها
هو دورها ولكل من فيها هنا
دنيا وكم دنيا بدنيا لنا لها
وتمثلت في ليلة الإسـراء..
ظهرت بزینتها وإغراءاتها
تمضى على عجل وتقضى نحبها

دنيا الهوى بحر حوى طلابها
لكن دين الله بر سـلامـة

يا ساعيا لله حتى قبلما
ألهمت خيرا لم تكن للشر لم
وتنام عـينك عند كل تطلع
كم كنت محفـوظا لخير مهمة
كنت الحكيم وكنت أول قـادم
صمتوا ولم يتكلموا حتى ترى
ورأيت حلاكم أراح نفوسهم
كنت الأمين وحملوك أمانة
راعيت حق الله حتى يوم أن
ورعيت أغناما ولم تك ظالما
ما من نبى كان إلا قد رعى
الرعى تدريب لمن سيـقودها

الدعوة والدعاة



● محاسن الإسلام ومزاياه في تشريعات المرأة:

«الاستئذان»

● قيمة العمل في الإسلام

● الدين والسلوك الإنساني

● الاستعانة بالله مفهوما وغاية

محاسن الإسلام ومزاياه في تشريعات المرأة (٢٢)

الاستئذان

النوع الأول

وفي النوع الأول من الاستئذان، الخاص بالداخلين من الخارج ورد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم* ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون* التور: الآيات ٢٧ - ٢٩.

وللإستئذان من الخارج لمريدى الدخول وسائل كان الشائع فيها في صدر الإسلام هو إلقاء السلام، فيقف طالب الدخول أمام مدخل الدار ويقول بصوت يسمعه من الداخل من أهل البيت: «السلام عليكم» ويكرره ثلاث مرات إن لم يؤذن له بالدخول بعد المرة الأولى والثانية. فإذا لم يؤذن له بالدخول بعد المرة الثالثة وجب عليه أن ينصرف.

وقد وردت في هذه قصة طريفة لا نبخل بها على القراء الكرام، وهى أن النبي ﷺ أراد زيارة أحد أصحابه في منزله واستعجل إلقاء السلام في الاستئذان فسلم مرة فلم يسمع الرد عليه من أهل المنزل، ثم سلم للمرة الثانية قائلا: السلام عليكم. ولم يسمع ردا. ثم سلم للمرة الثالثة ولم يسمع ردا. فما كان منه ﷺ إلا أن هم بالانصراف، وكان صاحب المنزل سامعا لرسول الله ﷺ في كل مرة ولكن كان يرد عليه بصوت خفيض لم يسمعه الرسول ﷺ. فلما هم الرسول ﷺ بالانصراف انطلق الرجل وراءه ودعاه للدخول. وقال له يارسول الله كنت أسمعك من أول مرة وكنت أرد عليك بصوت خفيض لتكرر أنت من قول «السلام عليكم» لأنه دعاء منك بالسلام فأردت أن تكثر لى من هذا الدعاء؛ لأنه دعاء منك وأنت رسول الله مستجاب الدعوة.

فانظر إلى هذا الأدب الرفيع من صاحب الرسالة ﷺ وانظر إلى هذا الحب الإيماني من صاحبه واعتذاره للرسول ﷺ بأنه

أ. د. عبد العظيم المطعنى

من التشريعات التي تميز بها الإسلام في فقه الأسرة تشريع الاستئذان للدخول في الأماكن التي بها نساء كالمنازل التي تقيم بها العاملات، وهذا الاستئذان نوعان أولهما للداخلين من الخارج. وثانيهما استئذان داخلي لأفراد الأسرة الذين يقيمون في دار واحدة.

وهذان النوعان كلاهما يهدفان لتحسين العرض، وستر النساء حتى لو كن أمهات أمام من يدخل عليهن من أبنائهن.

كان يجب أن يكثر من إلقاء السلام عليه استلذاذا لسماع هذا الدعاء بصوت رسول الله الكريم ﷺ. ومن وسائل الاستئذان التي كانت متبعة الطرق على الباب، والمناداة بصوت عال على صاحب المنزل. وأفضل هذه الوسائل هي إلقاء السلام وكفى به فضلا أنه كان من عمل الرسول ﷺ، ويشير القرآن إشارة زكية إلى أفضليته في قول الله - عز وجل - **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾** فمعنى «وتسلموا» هو إلقاء السلام عليهم هكذا: «السلام عليكم» أما معنى «تستأذنوا» فهو حتى تطمئنوا إلى أن أهل البيت لا مانع عندهم من الدخول عليهم، ومعنى هذا أنه لا يجوز اقتحام المنزل بمجرد فتح الباب، بل على المستأذن أن يتثبت من استعدادهم لاستقبال الضيوف، ففتح الباب وحده لا يكفي في الاستئذان فقد يفتحه طفل لا يدري حقيقة ظروف البيت فكان من الإعجاز التشريعي التريث في الدخول حتى يطمئن تماما إلى حصول الإذن له. وقد وردت عبارة مأثورة يقولها طالب الإذن بعد فتح الباب له «أدخل؟» فإن قيل ادخل دخل وهو مطمئن. وبعد الدخول فإن للجلوس آدابا تؤخذ عن التطبيق العملي في صدر الإسلام وهو أن يجلس الزائر في مكان لا يسمح له برؤية مافي البيت من أسرار أو الأماكن التي تكشف حركة التنقل في البيت وأن يغض بصره عن ساحة المنزل ولا يتصنص للأصوات المنبعثة من داخله وغالبا ما تكون أصوات نساء. ويضاف إلى هذا أن الزائر ينبغي وهو يستأذن في الدخول ألا يقف أمام الباب بحيث إذا فتح له كشف نظره ما بداخل البيت. بل عليه أن ينحرف يمينا أو يسارا حتى يتم له الإذن بالدخول. ويتابع القرآن تشريعاته الحكيمة في الاستئذان فيقول: **﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾** فقبح كل القبح أن يقتحم الزائر

البيت إذا وجد ذلك ممكنا، وكان هذا من المستطاع لأن البيوت قديما كان يكتفى بسد أبوابها دون إغلاقها بما يجعل فتحها عسيرا على غير أهل المنزل من الداخل كما هو الشأن في هذه الأزمنة. وبذلك جعل الإسلام الجانب الأخلاقي هو المعبر في الدخول وليس الجانب المادي. وكذلك على الزائر بعد حصول الإذن وانصرافه ألا يفشى ما وقعت عليه عيناه أو سمعته أذناه من أسرار أهل البيت.

ثم يستطرد القرآن فيقول: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾**. وهذه عبارة جامعة لمعان كثيرة، وليست محصورة في القول: «ارجعوا» وإنما تشمل كل ما يدل على رغبة أهل البيت ألا يدخل عليهم أحد في وقت معين، ولذلك فهم رسول الله ﷺ في قصته مع الصحابي الذي سلم عليه النبي ﷺ ثلاث مرات ولم يسمع ردا أن البيت ليس به أحد، أو أن أهله ليس عندهم استعداد لدخول الضيف، فالعذر يعرفونه هم ولا يعرفه الضيف. ثم أشار القرآن الكريم إلى حكمة هذا التشريع فقال: **﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾**.

يعنى أظهر، لأن الاستئذان شرع من أجل البصر، والبصر كما ورد في الحديث: سهم من سهام إبليس إذا رماه لا يخطئ، والمؤمنون مأمورون بغض أبصارهم عن محاسن النساء، وهن في بيوتهن يكن في أوضاع مختلفة يتخفن من ثيابهن ويرتدين ثياب المهنة المنزلية أو ثياب الراحة. فلا يجوز أن يكدر صفوفهن أحد أو يزعجهن وهن في هذه الحالات الخاصة.

وقوله تعالى في فاصلة الآية: **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** فيه تحريك لإحياء الوازع الديني في نفوس المخاطبين يدعو إلى الترغيب في اتباع هذه التوجيهات التي ترشد المؤمنين إلى ما فيه صلاحهم وأن كل مخالفة الله مطلع عليها وسائل عنها مرتكبها يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وبذلك اكتملت دائرة التشريع في الحصول على الإذن، بعد أن بينت أصول فضائل الأعمال والباقيات الصالحات التي يدخرها الله عنده لأصحابها ليجزيهم عليها خير الجزاء **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾**، **﴿ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾**.

وصدق الله القائل: **﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾**. إن كل ما تقدم من تشريعات في شئون الأسرة المسلمة فيه حماية للمرأة وحفاظ على عفتها وشرفها بإغلاق جميع المنافذ التي تعرضها للخطر، فقد أحكم الإسلام سدها ووضع لها من التشريعات ما يمنع من اختراقها، وليس لهذه التشريعات الحكمة مثل في غير الإسلام من نظم وأيديولوجيات وضعية، بل ترى ذلك في غير الإسلام نادرا أو مسكوتا عنه ولذلك كثرت في البيئات غير الإسلامية الجرائم الخلقية والفسق النسائي والأمراض والأوبئة الناجمة عنه.

استثناء حكيم

وقد استثنى الإسلام من الحظر المتقدم في الدخول بغير إذن وما يصاحبه من آداب وفضائل حالة واحدة مشروطة بشرط شديد، ترى ذلك في قوله تعالى: **﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾**، والبيوت غير المسكونة هي مالم تتخذ الأسر لسكنائها. هذه لا حرج في دخولها بشرط أن يكون للداخل فيها منفعة غير عنها القرآن بقوله: **﴿فيها متاع لكم﴾** وكلمة متاع لها معان كثيرة تشمل المتاجر والمصانع والمؤسسات العامة كالمستشفيات ودور العلم ومعاهده إذا كان للداخل فيها مصلحة، فليس في دخول هذا النوع أي حرج بدون إذن، لأن السبب في منع الدخول بدونه هو منع الاطلاع على محاسن وعورات النساء. وهذا السبب لا وجود له في الأماكن

المتخذة مأوى لسكنى العائلات. لذلك لم يشترط الإسلام حصول الإذن في دخولها لأن فيه مشقة على الناس غير محتملة.

ثم يعود القرآن مرة أخرى لتحريك الجانب الأخلاقي عند المخاطبين فيقول **﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾**، ليكون هذا الواع هو الباعث على امتثال الأوامر، واجتتاب النواهي، فالإنسان مع تحريك هذا الواع لا يخضع لسيطرة مادية تفرض عليه من خارجه، وإنما ينبعث الامتثال للأوامر، والاجتتاب للنواهي من إحساسه الداخلي بأن الله سبحانه مطلع على ما يظهره الإنسان وعلى كل ما يكتمه، وليس للإفلات من هذا الاطلاع وهذه المراقبة الإلهية من سبيل فالسر الذي يكتمه الإنسان مثل الجهر الذي يعلنه في أن كلا منهما معلوم لله، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، فأين إذا المفر؟

ويظهر أثر الالتزام بهذه التشريعات في المجتمعات المحافظة عليها وفي البيئات التي لا تقيم لها وزنا فمرض الإيدز الناجم عن التفسخ الخلق في فوضى العلاقات بين النساء والرجال بلغ حسب إحصائية أذاعتها هيئة الأمم المتحدة منذ أكثر من عام بلغت الإصابة به أربعين مليوناً في دول أوروبا غير الحالات التي لم يتم التبليغ عنها كما جاء في الإحصائية المشار إليها. أما في الشرق الإسلامي فكانت حالات الإصابة بمرض الإيدز خمسة وثلاثين ألفاً، وهي نسبة ضئيلة إذا قورنت بحالات الإصابة في الغرب. ومن أخطر وسائل الإصابة بمرض الإيدز الزنا الذي سماه القرآن فاحشة، وتشريعات الإسلام التي تقدمت في فقه الأسرة ومنها غرض البصر ومشروعية الاستئذان، كلها موانع للعلاقات غير المشروعة بين الذكور والإناث، وحصون منيعة تحفظ للنساء شرفهن وعفتهم وتصونهن من الابتذال والمهانة، فالحمد لله على نعمة الإسلام الواقية لنا من كل شر والجالب لنا كل خير.

قيمة العمل في الإسلام

إن الكدح لله يتجاوز المسجد ليتناول الحقل، والمصنع، والمرصد، والدكان، والديوان، والبر، والبحر، وما يكتب وما يسمع.

وعندما ننظر إلى العبادات السماوية نجد أدائها في اليوم والليلة لا يستغرق نصف ساعة، ليتبقى الزمان بعد ذلك واسعاً والمجال رحباً لفهم الحياة واكتشاف طاقاتها وتسخيرها لخدمة الدين.

على الأمة الإسلامية أن تجمع قواها وتوحد صفها وتلتمس العلم لخدمة رسالتها

وكل جهد يبذل في سبيل الخير في عرف الشرع يسمى عملاً صالحاً وجهاداً مبروراً، قال تعالى: ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون﴾ سورة الأنبياء: آية ٩٤.

ومن المستحيل إقامة مجتمع ناجح الرسالة إذا كان أصحابه جهالاً بالدنيا عجزة في الحياة، والصالحات المطلوبة تصنعها فأس الفلاح، وإبرة الخياط، وقلم الكاتب، ومشط الطبيب، وقارورة الصيدلي، والفواص في بحره، والطيار في جوه، والباحث في معمله، والمحاسب في دفتره، ويصنعها المسلم صاحب الرسالة وهو يباشر كل شيء ويجعل منه أداة لنصرة ربه وإعلاء كلمته.

ولقد رسم القرآن الكريم صورة جمالية لحركة الحياة الدنيا واهتزاز أنفاسها باليقظة البكرة: ﴿والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس﴾ سورة التكويز: الآيتان ١٧، ١٨.

إن الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور يطلب

فضيلة الشيخ / شوقي عبد اللطيف أيوب

الإسلام دين يقدر العمل ويدعو إليه، لأن العمل هو عصب الحياة وسبيل التقدم وطريق العزة والفلاح. ولهذا فقد أمر الله عباده بالعمل وحثهم عليه فقال سبحانه: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ سورة التوبة: آية ١٠٥.

ولأهمية العمل في الإسلام فقد تناوله القرآن وأكد عليه وذكره فيما يقرب من ٣٥٩ مرة.

والإسلام رسالة توجب على معتنقيها أن يجعلوا مجتمعهم أفضل المجتمعات وأجدر بالحياة، وأقدر على النجاح، وكل ما يعين على ذلك فهو واجب، وكما يقول علماء الأصول: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

إن العمل في الإسلام لا ينحصر في العبادات الروحية فقط بل يشمل كل سعى مفيد وعمل مثمر يعود على البشرية بالفائدة الدنيوية والأخروية.

ولقد حض الإسلام أبناءه على العمل والسعى والكد في سبيل تحصيل معاشهم وحذرهم من السلبية والانزواء عن معترك الحياة فقال تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ الملك: آية ١٥، فالمسلم منذ صلاة الفجر إلى أن يدركه النوم يتحرك في ضروب الحياة ليعلى كلمة الحق والعدل.

منا أن نستكشف صفاته في أرجاء ملكوته، وأن تبني سلوكنا بعد ذلك على إيمان صادق ويقين راسخ، وإن نسترشد بوحيه ونحن نكدح على الثرى حتى نستقيم على جادة الطريق.

إن من العيب أن يعيش جمهور المسلمين من بضعة قرون لا يعرفون عن الكون شيئاً يذكر، وأن تكون علومه ثانوية في ثقافتهم الخاصة والعامة، وأن يكون التعرف على أسرارهِ ضرباً من اللغو والعبث عند البعض الآخر، مع أن الله يأمرهم بمعرفة أسرارهِ والاستفادة منها قال تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾.

إن الدين لم يقاسم المرء ساعات عمره ولم يجعل للعبادات المحضة إلا أوقاتاً محدودة، والمرء بمقدوره أن يجعل طعامه وشرابه ومناحه عبادة بحسن القصد وإرادة الله وابتغاء ما عنده، وبمقدوره أيضاً أن يجعل أى عمل له في البر أو البحر أو الجو طاعة لله بهذه النية الشريفة، وعندما فرض الله الصلوات الخمس المكتوبة جعل لها أوقاتاً موسعة وأوقاتاً ضرورية، ويمكن التنسيق الجميل بين شعائر الله وسائر الأعمال الأخرى لتكتمل سعادة الدارين.

إن الأساس الذي يجب أن ينطلق منه المسلمون أن يعرفوا أنفسهم ويعلموا جيداً أنهم أصحاب رسالة سماوية لا تتجح إلا إذا ملكت خيرات الأرض وبركاتها وطوعتها لخدمة هذه الرسالة. إن الإسلام هو وحده العلاقة الفذة بين الله والناس من بدء الخلق إلى قيام الساعة، ولدى المسلمين وحدهم معالم الوحي وكلماته الأخيرة، فإذا فشلنا في تقدير تراثنا وحشد قوى الكون لإحقاق الحق وإبطال الباطل فلا نلومن إلا أنفسنا وهذه كلمات من ذهب لابن الجوزي يدعو المسلم فيها أن يكون له قدم السبق في كل ميادين وضروب الحياة يقول: فيها «ينبغي للعاقل أن

ينتهى إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للأدنى صعود السموات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض.

وابن الجوزي من علماء القرن السادس الهجري، ولو رأى ما عليه المسلمون الآن في عصر الفضاء وهم ينظرون إلى غزاة الجو ببلاهة لحمل السوط وجلد ظهورهم به.

ولقد أخطأ المسلمون خطأ فادحاً حين ظنوا أن العبادة تتحصر في المسجد والمسبحة، ووصل الأمر ببعضهم أن يقصر العبادة في قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ الذاريات: آية ٥٦. على الصلاة والزكاة والحج والصوم .. إلخ.

وهذا الفهم السقيم والمغلوط هو الذي وصل بالمسلمين إلى هذا السبات العميق الذي أفقدها الهيبة والقوة في عصر أصبحت القوة المادية يعمل لها ألف حساب قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ سورة الأنفال: الآية ٦٠.

وهل يليق بالمسلم أن يحجب نفسه عن جمال الكون وأسرارهِ الطبيعية باسم الدين، إننا حين نقرأ القرآن ونستشعر معانيهِ بصفاء نفس نجد أن الله يلفت أنظارنا في كثير من الآيات إلى إبداعه في الأنفس والآفاق، ويريد إشعارنا بما في كونه من دقة ورقة ولطافة واقتدار، يريد منا أن نطالع آيات عظمته في هذا الكون الدال على وحدانيته وقدرته، وهذا ما نطالعه في كثير من آيات القرآن الكريم: ﴿فلا أقسم بالشفق* والليل وما وسق* والقمر إذا اتسق* لتركبن طبقاً عن طبق﴾ سورة الانشقاق: الآيات ١٦ - ١٩.

وهذا القسم من الله في هذه الآيات له مدلوله ومغزاه كى نتعامل مع هذه الإبداعات لنستفيد من مجالها ونستثمر مكنوناتها.

وفي قصة مريم نجد نموذجاً عملياً للسعى في

طلب الرزق حيث إن الله تعالى أمرها بتحريك الجذع رغم ما كانت تعانيه من متاعب وأحزان ووهن، وكان من الممكن أن يهيئ لها ما تريد دون جهد، لكنه وهو الذى ربط الأسباب بالمسببات قال لها: **«وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً»** سورة مريم: آية ٢٥.

يقول فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - فى كتابه «التفسير الوسيط للقرآن الكريم» فى معنى هذه الآية: «وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة أن مباشرة الأسباب فى طلب الرزق أمر واجب وأن ذلك لا ينافى التوكل على الله، لأن المؤمن يتعاطى الأسباب امتثالاً لأمر ربه مع علمه ويقينه أنه لا يقع فى ملكه سبحانه إلا ما يشاء ويريده، وهنا قد أمر الله تعالى مريم على لسان مولودها بأن تهز النخلة ليتساقط لها الرطب.

ورحم الله القائل:

ألم تر أن الله قال لمريم

وهزى إليك الجذع يساقط الرطب .

ولو شاء أن تجنيه من غير هزه

جنته ولكن كل شئ له سبب

كما أخذوا منها أن خير ما تأكله المرأة بعد ولادتها الرطب، قالوا: لأنه لو كان شئ أحسن للنساء من الرطب لأطعمه الله تعالى مريم.

وقال النبی ﷺ ترغيباً فى العمل وحثاً عليه:

«ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من

عمل يده» رواه البخارى فى صحيحه.

وحكم العمل فى الإسلام يختلف باختلاف الموجب له.

- **فرض:** وهو الكسب بقصد الكفاية لنفسه

وعياله وقضاء ديونه .

- **ومستحب:** وهو الزيادة على ذلك ليواسى

فقيراً أو يجازى به قريباً .

- **ومباح:** وهو الزيادة للتجمل والتعم.

- **ومكروه:** وهو الجمع للتفاخر والتكاثر والبطر والأشر وإن كان من حل.

لقد بلغت عناية الإسلام بالعمل حداً جعل منه عمر الإنسان كله وقفاً على العمل مادام فيه دفق الحياة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»** رواه أحمد والبخارى.

والعمل فى الإسلام قرين العبادات، وقد أمر الله تعالى عباده إلى تحصيل المال بطريق العمل وسمى طلبه ابتغاء من فضل الله، وبلغت عناية الإسلام بالأموال أن طلب السعى فى تحصيله بمجرد الفراغ من أداء العبادات المفروضة فقال عز من قائل: **«فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله»** الجمعة: آية ١٠.

فالسعى إلى رزقه بعد أداء الصلاة امتثالاً لأمر الله تشمله البركات، يقول ابن كثير: «وروى عن بعض السلف أنه قال: من باع واشترى فى يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقوله تعالى: **«فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله»** ثم إنه جعل العمل سبباً للعبادة ليستعينوا به على طاعة الله تعالى، قال تعالى: **«وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً»**.

ولما كان أداء الفرائض الدينية لا يتم إلا بالقدرة البدنية ولا قدرة بدنية بدون قوت، والأصل أن مالا يتأتى إقامة الفرض إلا به يكون فرضاً فى نفسه أصبح طلب الرزق على القادر عليه فريضة، بل إننا نجد بعض الفقهاء يفتون فى تقديم طلب الرزق على الصلاة فى جماعة فى ظروف استثنائية خاصة اقتضتها ضرورة تحصيل القوت الضرورى.

ولأهمية الكسب الحلال فى استقامة الإنسان أكد الرسول ﷺ على أنه السبيل إلى تكفير الذنوب التى ربما لا تكفرها العبادات نفسها ليدل

على مكانة العمل المميز في الإسلام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الذنوب ذنباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة قالوا فما يكفرها يا رسول الله قال: الهموم في طلب المعيشة» رواه الطبراني في الأوسط.

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم درجة الكسب على درجة الجهاد فيقول: «لأن أموت بين شعبتى رحلى أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله أحب إلى من أن أقتل مجاهداً في سبيل الله، لأن الله تعالى قدم الذين يضربون في الأرض يبتغون من فضله على المجاهدين» بقوله تعالى: «وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله» المزمّل: آية ٢٠.

من كل هذا تتضح حقيقة المنهج الإسلامي المرسوم لأتباعه حين وجهتهم إلى توزيع قواهم بين العمل للدنيا بحيث لا يتركوا فراغاً في دنياهم، والعمل للآخرة بحيث لا يهملون مبادئ دينهم، وبذلك يكونون قد استجابوا لقوله تعالى: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين» القصص: آية ٧٧.

لقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم عن أنبيائه وأصفياه ورسله بأنهم كانوا يحترفون ويأخذون بالأسباب مع عظم شأنهم وعلو مكانتهم وانشغالهم بالدعوة إلى الله، كل ذلك لم يمنعه من السعي في طلب الرزق امتثالاً لأمر الله قال تعالى: «وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق» الفرقان: آية ٢٠.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «أى يبتغون المعاش في الدنيا وهذه الآية أصل في تناول الأسباب وطلب المعاش بالتجارة والصناعة وغير ذلك».

وأول من احترف العمل أبونا آدم عليه السلام وقال

تعالى: «فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى» طه: آية ١١٧. قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «أى إياك أن تسعى في إخراجك منها فتتعب وتعانى وتشقى في طلب رزقك» تفسير الإمام ابن كثير.

وكذلك بقية المرسلين من بعده، قال صاحب كتاب الكسب: «وكذا نوح عليه السلام وكان نجاراً، وإدريس عليه السلام وكان خياطاً، وإبراهيم عليه السلام وكان بزازاً، وسليمان عليه السلام كان يصنع المكاتل من الخوص، وكان داود عليه السلام يصنع الدروع الحربية».

قال تعالى: «ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد* أن عمل سابقات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير» سبأ: الآيتان ١٠، ١١.

«ملخصاً من كتاب الكسب للإمام محمد بن الحسن الشيباني».

عن المقدم رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» رواه البخاري.

ورسولنا ﷺ قد عمل منذ الصبا وأجهد نفسه ليكسب القوت الذي يسد الرمق ويعصمه من أن يكون كلاً على غيره أو عالة، فقد عمل ﷺ في أول عهده بالحياة أجيراً يرعى غنم أهله بين جبال مكة وأوديتها عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم.. كنت أراعيها على قراريط لأهل مكة» رواه البخاري، واحترف التجارة عندما عرضت عليه السيدة خديجة أن يتجر لها في مالها حتى يسر الله له أسباب الخير وفتح أمامه أبواب الرزق، وهكذا كان دأب الصحابة رضوان الله عليهم في اقتفاء أثره ﷺ فقد أورد المعلق على كتاب الكسب قوله: «وذكر ابن القيم في كتاب المعارف كان أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف بزازين وسعد بن أبي

وقاص كان نبألاً والزبير بن العوام وعمرو بن العاص جزارين، والعاص بن هشام حداداً .. إلخ» مما يدل على أنهم كانوا يحترفون حرفاً شتى دون حرج ولا نظر إلى نوعية العمل وبساطته مادام حلالاً يضمن لهم قوت يومهم الذي يعينهم على أداء واجبهم نحو خالقهم ونحو مجتمعهم على أكمل وجه.

ولقد أصيبت الأمة الإسلامية في مقتل يوم ودعت العمل وركنت إلى الدعة والراحة، وحجب المسلمون أنفسهم عن نعم الله التي أحاطت بهم من كل جانب وأهملوها ولم يستثمروها.

• قال تعالى: ﴿الْم تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ سورة لقمان: آية ٢٠.

إنه لمن المحزن حقاً أن يتفاخر المسلمون بماضيهم التليد وتاريخهم القديم دون أن يحافظوا على مجد أجدادهم أو يضيفوا إليه جديداً، وهم الذين سادوا العالم كله أعاصير ودخلوا في عراق فناء أو بقاء مع أعتى أمم الأرض وخرجوا من ميادين الوغى منتصرين بعد جلاء وحشى.

إن الاضمحلال والانحطاط الذي تعاني منه الأمة الإسلامية والذي تدفع ثمنه باهظاً أوشك أن يذهب بريح الأمة بالرغم من أنها تملك من الموارد الطبيعية والبشرية والاقتصادية ما يجعلها تسود العالم في شتى المجالات، وفوق هذا كله امتن الله عليها بكتاب ينتمى إلى السماء فيه تنشيط للعقل وإطلاق للمواهب.

ماذا يريد المسلمون بعد هذا كله وبعد أن سخر الله لهم الكون كله كي ينتفعوا من خيرات الأرض وبركات السماء قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة الجاثية: آية ١٣. إن من العيب أن يكون بين يدي المرء تلك الكنوز الغالية ثم يغمض عينه عنها ولا يمد يده إليها،

وهذه الكنوز تتمثل في منهج الإسلام السوى الذي منح البشرية كلها مفاتيح السعادة، وفي ظل هذا المنهج الرفيع استطاع النبي ﷺ إعداد جيش من المسلمين والمجاهدين من رهبان الليل وفرسان النهار من أصحابه البررة المتطهرين الذين ساحوا في البلاد واجتاحوا جذور الفساد، وكانوا خير أمة أخرجت للناس.

ولقد أصبحت المدينة المنورة عاصمة الإسلام يومئذ أحق بلد في الأرض لقيادة العالم لأنها تملك منهجاً عادلاً يعلى من قيمة المرء ويعطى كل ذي حق حقه بغض النظر عن جنس أو عقيدة، وكان لهذا المنهج الفضل في إنقاذ البشرية من أوهام الشرك إلى عظمة التوحيد ومن كهف الخرافات إلى حقيقة العلم، ومن عهد الذل والانكسار إلى عهد العزة والكرامة والقوة.

إن المسلمين في حاجة إلى بعث جديد سواء من الناحية الروحية أم المادية، فالقيم والأخلاق الإسلامية الرفيعة هي أسباب الاستقرار النفسي وقاعدة الانطلاق لتحقيق السعادة الحقيقية.

والمسلمون وهم يمثلون خمس سكان العالم تقريباً يعيشون اليوم فترة حرجة من تاريخهم في ظروف غامضة فأطرافهم تتناقص يوماً بعد يوم وصميمهم مهدد بالضياغ.

إن أمة «اقرأ» أمة العلم والمعرفة، أمة الوحدة والتكامل، لهذا يتحتم عليها أن تجمع قواها وتوحد صفها وتلتمس العلم وتسخره في استثمار كنوزها وخيرات أوطانها إنها مطالبة اليوم قبل الغد بتطويع الحياة لخدمة الدين وتوجيه النشاط الفردي والجماعي لخدمة رسالة الإسلام.

- إن كل مسلم مطالب في موقعه بأن يتقى الله فيه ويعمل بعزيمة وإصرار ليساهم في بناء وطنه وأمتة كي يستعيد المسلمون مجدهم وعزتهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بَنَصَرَ اللَّهُ يَنْصُرُ مِنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الروم: الآيتان ٤، ٥.

الدين والسلوك الإنساني

أ.د/ عبد الرشيد سالم

وقد جاء الإسلام إلى الدنيا وأهلها يعيشون على هذه الصورة الأخيرة من ذل واستعباد وقهر وجبروت، فساوى بين الناس، الغنى والفقير، والمرأة والرجل، الصغير والكبير، الحاكم والمحكوم، جميعهم فى الإسلام متساوون، لا عصبية ولا حسب ولا جاه، ولا سلطان، الكل أبناء آدم وحواء وإن اختلفوا فى الموطن والبيئة والشكل،

**بعض الأمم تفهمت
الأوامر الإلهية
فنالت حياة فاضلة
والبعض الآخر انحرف
عنها فضل وتاه فى
دروب الظلم**

فلا تفاخر بالأنساب ولا تباهى بالألقاب، إنما الجميع أمام الله سواسية لا يتفاضلون إلا بالتقوى وفعل الخيرات، قال تعالى فى سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا

منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ آية ١١. وتحديد الإسلام للمساواة بين الناس يحقق أقصى درجات العدالة الاجتماعية، فهو يرى أن الجميع متساوون فى الحقوق والواجبات، وأن دماءهم وأعراضهم وأموالهم مصانة بدرجة واحدة بصرف النظر عن مكانتهم الاجتماعية وحسبهم ونسبهم - ساوى بينهم فى عملية القصاص - ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ البقرة: آية ١٧٨، على العكس مما كان سائدا قبل الإسلام من التغالى فى الدماء والجور فى الأحكام، يقول تعالى فى سورة المائدة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ

حاولت المجتمعات الإنسانية منذ ميلادها أن تضع لها أسلوبا للمعاملة يكفل لها الأمن والتضامن والمحبة. وحرص أهل الراى والفكر فيها أن يبينوا الحدود التى يقف عندها الفرد ليكون مقبولا من الآخرين ووضعوا الموازين والقيم التى يجب أن تسود فى المجتمع ليتعاطف معه الفرد ويشعر بالولاء له والتفانى فى خدمته. ولهذا تنوعت القيم الأخلاقية والسلوكية بتنوع الأمم وتعددتها، حتى جاءت الأديان السماوية فخرجت هذه القيم من صناعة الإنسان ورغباته إلى أوامر الإله وتشريعاته.

وكانت بعض الأمم متفهمة للأوامر الإلهية متبعة لها فحصلت على حياة فاضلة ومجتمعات سعيدة راقية. والبعض الآخر غير ويدل فيما جاءت به الأنبياء والرسل فضلت مجتمعاتهم وتاهت فى دروب من الظلم والقسوة والاستعباد.

والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون» آية ٤٥.

والمتبع لتاريخ الأمم القديمة كالإغريق والرومان والفرس واليهود، يجد أنها جميعا كانت تعترف بالعبودية وتؤمن بتفاضل الدماء. فلما جاء الإسلام

وألغى العبودية وحرص على الحرية وذم العصبية القبلية وجعلها من علامات الجاهلية المنفرة. يقول ﷺ: «من دعا إلى عصبية فليس منا»، واتبع المسلمون ذلك المنهج في حياتهم الخاصة ومع الأمم التي عاشت معهم. ومن العجيب أننا بعد هذا التاريخ الطويل نرى بعض الأمم مازالت تعتبر أفرادها من جنس مفضل على الأجناس الأخرى،

وأن أصلها يرتقى على أصول الآخرين، وقصة التفرقة العنصرية التي كانت إلى وقت قريب تسود في بلاد كثيرة من العالم من أمثال زنج أمريكا وجنوب أفريقيا وروديسيا وغيرها تمثل الردة الجاهلية التي قضى عليها الإسلام وعمل على القضاء عليها منذ أربعة عشر قرنا.

وقد حرص الإسلام على توجيه الناس دائما إلى فعل الخير، فدعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل ذلك واجبا على كل مسلم ومسلمة ليغرس بذلك المحبة بين الناس ويزيل أسباب العداوة والبغضاء من قلوبهم، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوم في المجتمع مقام الوقاية من الأمراض في جسم الإنسان، وقد تحقق ذلك في صدر الإسلام، فعلى الرغم مما كان عليه المجتمع العربي قبل الإسلام، من انحلال أخلاقي، وتفكك اجتماعي، نراه بعد الإسلام تحول تحولا جذريا، فبعد أن كان قبائل متافرة، وجماعات متصارعة،

أصبح أمة متوحدة في العبادة والعمل والفكر، وتحررت عقولها من الأوهام، ونفوسها من الشهوات واستطاعت أن تفرض وجودها على العالم، ولهذا وصفت بأنها خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» آل عمران: آية ١١٠.

ولم يكتف الإسلام بدعوة الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل شرح لهم أساليب المعاملة التي تحقق هذه الغاية فقال تعالى في سورة المائدة: «ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون» آية ٨، وفي سورة النساء: «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط

شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين» آية ١٢٥، وتحقيقا لأقصى درجات المحبة في المجتمع الإسلامي نادى القرآن الكريم باتباع أساليب معينة في التعرف على الحقائق واجتناب الظلم وقول الزور والتجسس والسعي بالقيبة والتميمة بين الناس يقول تعالى في سورة الحجرات: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» آية ٦، «يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا» الحجرات: آية ١٢.

وكما اهتم الإسلام بالسلوك الأخلاقي والنفسي بين الأفراد، اهتم بالسلوك المادي أيضا حتى لا يقع الناس في بؤر سيطرة المال والاحتكار والتنازع على أعراض الدنيا. قال تعالى: «فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم»، الأعراف:

تقرير الإسلام للمساواة بين الناس يحقق أقصى درجات العدالة الاجتماعية

آية ٥. «وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم» الإسراء: آية ٢٥. «وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان» الرحمن: آية ٩.

والتعاون في الإسلام هو من أرقى الأساليب التي عرفها البشر، وتحاول البشرية الآن - على مختلف عقائدها واتجاهاتها - تحقيق جزء منه، وتقيم لذلك المنشآت والجمعيات والمؤسسات الضخمة،

وتحرص على أن تضع لها الأسس

والمبادئ التي تكفل لها النجاح

في تآلف المجتمع والمحافظة

عليه من الغش والخداع

والمضاربة، ودعوة الإسلام تعتبر

أقدم دعوة تعاونية في تاريخ

البشر، لأن المجتمعات الأوروبية

لم تعرف النظام التعاوني إلا في

نهاية النصف الأول من القرن

التاسع عشر. أي بعد مضي

ثلاثة عشر قرناً على دعوة

الإسلام للتعاون. قال تعالى:

«وتعاونوا على البر والتقوى ولا

تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا

الله إن الله شديد العقاب» المائدة: آية ٢، وفي

وصية سيدنا رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه

أعظم مثال على المحبة والتعاون والطاعة يقول

رسول الله ﷺ: «أوصيك بتقوى الله وصدق

الحديث، ووفاء العهد وأداء الأمانة، وترك الخيانة،

وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل

السلام، وخفض الجناح»، ويقول: «ولا تحقرن من

المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»، «إن

الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء

إلا شانه»، «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في

الدنيا»، ويحث على العفو والتواضع، وعدم ظلم

الناس واحتقارهم فيقول ﷺ: «ما نقصت صدقة

من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما

تواضع أحد لله إلا رفعه الله» «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

ودعوة الإسلام إلى الحب والإخاء في المجتمع

بلغت حد تحريم الهجر بين المتشاحنين فوق ثلاث

ليال يقول ﷺ: «لا يحل لمسلم أن

يهجر أخاه فوق ثلاث ليال،

يلتقيان فيعرض هذا ويعرض

هذا، وخيرهما الذي يبدأ

بالسلام»، وحرّم إيذاء الجار

ودعا إلى التعاون معه حتى لكأن

الجار شريك جاره في رزقه

وماله يقول ﷺ: «لا يدخل الجنة

من لا يأمن جاره بوائقه». «من

كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فليقل خيراً أو ليصمت، ومن

كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فليكرم جاره، ومن كان يؤمن

بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»..

تلك نبذة عن أساليب المعاملة في الإسلام، وهي

الأساليب التي غيرت كل شيء في شبه جزيرة

العرب وفي البلاد الإسلامية التي دخلها نور

الإيمان ومستها يد الهدى الإلهي، وبها تطهرت

النفوس من العداوات والأحقاد، ومن الشرك

الظاهر والخفي، ومن النقائص المنتشرة في كل

ربوع الدنيا، وبها صار المسلمون أمة واحدة

متراحمة، بعد أن كانوا قبائل وشعوب متعادية،

وأصبح التراحم صفة غالبية في أقوالهم وأفعالهم

فرفع الله ذكرهم وأعلا شأنهم، وعلت كلمتهم

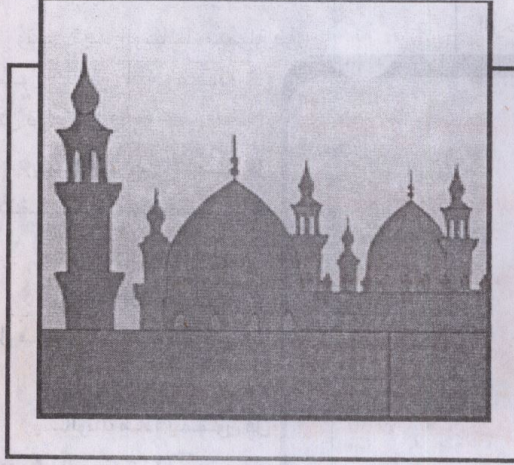
ومكانتهم بين الأمم، ولن يعودوا إلى مجدهم

وعزهم مرة أخرى إلا إذا عادوا إلى هذه القيم

وتحلوا بهذه الأخلاق.

دعوة الإسلام للتعاون والتكافل تعد أقدم دعوة تعاونية في تاريخ البشر

الاستعانة بالله مفهومًا وغاية



فضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم

يواجه الإنسان من تكاليف الطاعة لله وحاجات ذاته، وأسرته وعشيرته وموجبات العمل الذي يحسنه، ويفرغ فيه وسعه، ويؤدي به واجبه في دفع مسيرة الحياة إلى كمالها الممكن يواجه في كل ذلك ما لا بد منه من تعاون مع إخوانه وذويه، ويعرض له من الأمور ما يحتاج فيه لامحالة إلى عون الله وتيسيره، فالمؤمن الحق يفرغ إلى الله من حوله وطوله ويستعين به سبحانه على العسير والتيسير من الأمور، فلا بلاغ لخير - أخذاً وتركاً - إلا بالله. وكم خدعت أقواماً أنفسهم، فحسبوا أنهم يبلغون المنى ويدركون الآمال الجسم بأنفسهم، ثم لم يلبثوا غير قليل، حتى تبينوا أنهم قد جنى عليهم غرورهم، وطمئنانهم إلى قواهم، وما يقع في ملك الله إلا ما أراد، فما شاء كان شئنا أم أبينا.

وجلت حكمة الله ورحمته، فقد علم المؤمنين أن يستعينوا به، ويسألوا مولاهم، فالخير كله بيديه والشر ليس إليه حاشاء، والاستعانة بالله تعالى هي قمة الإيمان، فإنه القادر، الغنى، الحفى، الكريم الذى دل عباده عليه، ووجههم إليه، فى طلب ما لا يمنحه البشر، ولا يملكونه، فخرأته سحاً تقيض ولا تغيض أبداً.

وهو سبحانه أقرب إلينا من حبل الوريد، وأرحم بعباده من الوالدة بوليدها الوحيد وهو يقول لمصطفاه ﷺ: «وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون» (البقرة: ١٨٦).

ولقد كان أسلافنا - رضوان الله عليهم - يسألون الله ملء قلوبهم وشراكم نعالهم، ولا يسألون أحداً شيئاً وإن كان سوطاً سقط من يد أحدهم ثقة منهم بالله، ويقينا فى رحمته وأنه يُعِدُّ سؤالنا عبادةً له، بل هى من العبادة فى القمة، بل هى

«هى غاية الشكر فيما يجب لألوهيته»، ذلك لأن الله رب العباد، وواهبهم كل ما تكمل به تربيتهم^(١) والمؤمن يجد ذلك فى البسملة وهو يقرأ **«بسم الله الرحمن الرحيم»** ثم وهو يقرأ فى سورة الفاتحة: **«الحمد لله رب العالمين* الرحمن الرحيم»** فتجد رحمة الله وضمان أنه ربنا من التربية وربنا فقوانا بأنعمه الموصولة.

قال الشيخ: الاستعانة بهذا المعنى ترادف التوكل على الله، وتحل محله، وهو كمال التوحيد والعبادة الخالصة، ولهذا جمع القرآن الكريم بينهما فى مثل قول الله تعالى: **«ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ريك بغافل عما تعملون»** (هود: ١٢٣).

وكان مما دعا موسى عليه السلام إليه قومه **«استعينوا بالله واصبروا»** (الأعراف: ١٢٨).

ومن لطائف الإمام الرازى فى تفسيره لقول الله تعالى: **«إياك نعبد»** يقتضى حصول رتبة عظيمة للنفس بعبادة الله تعالى، وذلك يورث العجب، فأردف بقوله **«وإياك نستعين»** ليدل ذلك على أن تلك الرتبة الحاصلة بتلك العبادة ما حصلت من قوة التعبد، وإنما حصلت بإعانة الله وذلك كاف فى دفع العجب، وإجلاء تلك النخوة والكبر^(٢).

وتلك لمحة ذكية يضع الله بها المرء فى مكانه حتى لا يحبط إعجاب المرء بنفسه عمله.

العبادة جميعاً، والنبي ﷺ يقول: **«الدعاء مخ العبادة»** **«والدعاء هو العبادة»**^(٣).

وما أكرم ربنا وهو يسقط الفوارق بينه وبين عباده فى الدعاء فيقول: **«ادعوني استجب لكم»** (غافر: ٦٠) وختام الآية يجلو الدعاء والعبادة.

ونحن نجد الوسائط متمثلة فى رسول الله بين الله وعباده فى مثل قوله تعالى:

«يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول»

(الأنفال: ١)

«يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير»

(البقرة: ١١٩)

«يسألونك ماذا ينفقون قل العفو» (البقرة: ٢١٥)

أجل ما أكرم ربنا، والنبي ﷺ يقول: **«من لا يسأل الله يغضب عليه»**.

ومضى الشاعر الواثق يقول:

لا تسألن بنى آدم حاجة

وسل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله

وينى آدم حين يسأل يغضب

إن الاستعانة بالله تعالى عز، وهى تجبر من الإنسان ضعفه، وقصور طاقته.

وإذا كانت عبادة الله هى غاية الشكر فيما يجب لربوبيته، فإنها كما يقول الشيخ محمد رشيد رضا عن الشيخ الإمام محمد عبده رحمهما الله:

كان أسلافنا الصالحون يسألون الله كل شىء ولا يسألون أحدا شىئا ثقة منهم بالله ويقىنا فى رحمته

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، فقال: «يا معاذ بن جبل علم الله إني أحبك فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (أخرجه النسائي بسنده في السهو، وأبو داود وأحمد).

إن في الاستعانة بالله إرهاف حس، وصدق علم، وعلو نفس، حين لا نستعين في جلائل الأعمال إلا بالله وهو المستعان على كل حال، وأنت تلحظ إرهاف الحس وصدق العلم في استعانتك بالمعين حقاً، القادر الذي لا يعجزه شيء، ولا تتكأه معضلة وقد علمت أن خزائنه سحاً الليل والنهار، وأنه لا يرد يد داع صفراً حتى يضع فيها خيراً، بعد أن جعل الاستعانة طاعة له وذكر، وأوجبها على ذلك الوجه من الحصر والأمر لجلالها ومكانها

في دين الله فتأمل مرة أخرى «وإياك نستعين» ولعلك على ذكر من أن واهب القوى والقدر يدعوه المؤمن ويستعينه على عظام الأمور، وهو يذكر على كل حال ربه ويشغل به قلبه، ويلزم جوارحه جميعاً مرضى الله وهو يمثل أمره «فأذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين» (البقرة: ١٥٢ - ١٥٣).

وأكرم بما لحظه أحد الأئمة وقد قرأ قوله تعالى: «وإياك نستعين» فقال أرشدتنا هذه الجملة الربانية إلى أمرين عظيمين هما سراج السعادة في الدنيا والآخرة:

إن الاستعانة بالله وهي من العبادة كما مر بك في أحاديث رسول الله ﷺ، بمكان مخها ومحركها وهي شأن الله بعباده الموقنين، كما أن العبادة هي عمل العبد لله كما أمر سبحانه وهو في حاجة إلى معونة الله له بكل حال إذا ذكره، وإذا صلى، وإذا صام، وإذا زكى أو حج أو جاهد نفسه وهواه، وجاهد أعداء الله، فلولاً الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا، «ولا قوة إلا بالله».

إن المؤمن يستعين بالله على الطاعات أخذا وتركاً، وهو سبحانه يعين على الخير والبر وضروب الصالحات ويوم يصر إنسان على باطل تأخذه آيات الله من شتى جهاته، لينصرف عما ليس لله فيه رضى، ولا أيسر صلاحاً لعاجله وآجله، فإن نفعته هذه الآيات كان بذلك أبواباً رجّاعاً إلى ربه، وإلاً وكله

الله إلى نفسه وهواه، وقد أورد الإمام ابن قيم الجوزية في كثير من كتبه ما ذكره الأولون من الكتب الإلهية «وعزتي أن من اعتصم بي فإن كادته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن فإننى أجعل له من كل ذلك مخرجاً، ومن لم يعتصم بي فإننى أقطع يديه من أسباب السماء، وأخسف من تحت قدميه الأرض فأدعه معلقاً في الهواء، كمى لعبدى ملأى إن كان عبدي في طاعتي، أعطيته قبل أن يسألنى، وأجبتة قبل أن يدعونى، وأنا أعلم بحاجته التى ترفق به من نفسه».

ومن أصدق من الله قيلاً: «وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون» (التوبة: ١١٥).

المؤمن الحق يفرع إلى الله ويستعين به على العسير واليسير من الأمور فلا بلاغ لخير - أخذا وتركاً - إلا بالله

وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً» (الفرقان: ٤٣-٤٤).

والمؤمن يستعين بالله لأنه الرحمن الرحيم، ويستعين به لأنه مالك الملك والأمر كله في الدنيا ويوم الدين، ويستعين به سبحانه استجابة لأمره ويستعين بالله ثقة في قيوميته وربوبيته وشهوده بكل زمان ومكان، وهو يذكر ما قاله النبي ﷺ عن ربه: «من الذي دعاني فلم أجبه، وسألني فلم أعطه، واستغفرني فلم أغفر له» (الحديث رواه أبو هريرة وغيره بألفاظ متقاربة في البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وأحمد رضى الله عنهم في التهجد والدعوات والصلاة).

فاسألوا الله مظن فضله، فإن أقل ما تجنون من ذلك ثقة أنه رب كل شيء ومليكه. ويرحم الله الذي قال: «كفى بى عزاً أن تكون لى رياً، وكفى بى شرفاً أن أكون لك عبداً» أسألك وأستعين بك وأثق في فضلك وإحسانك وعونك لمن أيقنوا أنك البر الرحيم والرب الكريم تجيب من دعاك وتحقق أمل الآملين الذين استجابوا لربهم في كل ما علم وألهم فلا يظلم مثقال ذرة «وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً» (النساء: ٤٠). والله المسئول أن يعيننا مع الأمل فيه موصول.

الهوامش:

(١) الترمذي وأبو داود بسندهما عن النعمان بن بشير مرفوعاً. قال الترمذي وهو حسن صحيح.

(٢) (٣) تفسير المنار ج ١ ص ٦٠ الطبعة الثانية ١٣٦٦ هـ.

(٤) تفسير الرازي ج ١ سورة الفاتحة.

(٥) من كلام الإمام محمد عبده في ص ٥٩ - ٦٠ ج ١ تفسير المنار.

أحدهما أن نعمل الأعمال النافعة ونجتهد في إتقانها ما استطعنا، لأن طلب المعونة لا يكون إلا في عمل أنفذ فيه المرء طاقته فلم يوفقه حقه، أو يخشى ألا ينجح فيه، فيطلب المعونة على إتمامه وكماله واذكر أمرين: سقوط قلم من يدك على مكتبك، ومحاولة نهوضك بعبء ثقیل، فأنت في الأول لا تستعين بأحد على الإمساك بالقلم، ولكنك في الثاني في حاجة إلى من يعين ويساعد بعد إفراغ الوسع وبذل الجهد، والحرص على العمل النافع وتجويده، والإتيان به على خير وجه، هو مراقبة السعادة الدنيوية، وهو ركن من أركان السعادة الأخروية.

والأمر الثاني: ما أفاده الحصر في «وإياك نستعين» من وجوب تخصيص الاستعانة بالله وحده فيما وراء ذلك وهو روح الدين وكمال التوحيد الخالص الذي يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الأغيار الذين ليس لهم من الأمر شيء، فله الأمر وحده، وهم لا يعطون ما منع الله ولا يمنعون ما أعطى سبحانه^(١).

«قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير» (آل عمران: ٢٦).

وإذا كان ذكر الله على لسان كل مسلم، فإن في ذلك من مقومات الاستعانة به ما لا يخفى وفيه من سكينه النفس، واطمئنان القلب ما لا تكون الحياة بدونه شيئاً. قال تعالى: «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب، الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب» (الرعد: ٢٨ - ٢٩). ويقول تعالى: «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه

الحسن البصري

من المكتبة
الإسلامية

تأليف الإمام العلامة أبي الفرج بن عبد الله المعروف «بأبي الجوزي» عرض وتقديم: سعيد صالحة

ويكشف المؤلف في الفصل الأول بعد التعريف به بعضاً من أحواله وأفعاله قيل له يوماً كيف أصبحت يا أبا سعيد؟ فقال والله ما من انكسرت به سفينة في لجج البحر بأعظم منى مصيبة قيل: ولم ذلك؟ قال: لأنني من ذنوبي على يقين ومن طاعتي وقبول عملي على وجل. لا أدري أقبلت منى أم ضرب بها وجهي؟ فقيل له: أو أنت تقول ذلك يا أبا سعيد؟ فقال: ولم لا أقول ذلك ما الذي يؤمنني من أن يكون الله سبحانه وتعالى نظر إلى وأنا على بعض هنأتى نظرة مقتنى بها فأغلق عني باب التوبة وحال بيني وبين المغفرة فأنا أعمل في غير معتمل.

قيل لعبد الواحد صاحب الحسن بأى شيء بلغ الحسن فيكم إلى ما بلغ وكان فيكم علماء وفقهاء؟ فقال إن شئت عرفتك بواحدة أو باثنتين فقلت عرفنى بالاثنتين فقال كان إذا أمر بشيء كان هو أعمل الناس له وإذا نهى عن شيء كان أترك الناس له قلت فما الثانية؟ قال: لم أر أحداً قط سريرته أشبه بعلايته منه.

أما فيما أورده المؤلف من الآداب ومكارم الأخلاق فقد روى عن الحسن - رحمه الله - أنه كان يقول قضاء حاجة أخ مسلم أحب إلى من اعتكاف شهر وسأله رجل عن حسن الخلق ماهو؟ فقال البذل والعفو والاحتمال وكان يقول مروءة الرجل صدق لسانه واحتمال مؤونة إخوانه وبذل المعروف لأهل زمانه وكف الأذى عن جيرانه.

ويترجم الحسن البصري المعنى الحقيقي للإيثار فيقول والله لقد كان أحد من رأيت وصحبت يشق إزاره فيؤثر أخاه بنصفه ويبقى له ما يفي، ولقد كان الرجل قبلكم يصوم فإذا كان عند فطره مر على بعض إخوانه فيقول: إني صمت هذا اليوم لله وأردت إن تقبله الله منى أن يكون لك حظ فلهم شيئاً من عشائك فيأتيه الآخر بما تيسر من ماء وتمر فيفطر عنده يبتغى أن يكسبه أجراً وإن كان غنياً عن الذي عنده ويربأ بالناس عن مستنقع العيوب الذي يتروى فيه البعض فيقول - رحمه الله -: «يا ابن آدم إنك لا تستحق حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك فأصلح عيب نفسك قبل نظرك في عيوب الناس فإنك لن تصلح من نفسك عيباً إلا وجدت عيباً آخر أولى بإصلاحه يا ابن آدم إن تكن عدلاً فأجعل لك عن عيوب الناس شغلاً فإن أحب العباد إلى الله من كان كذلك، وقيل أنشد رجل يوماً..

هو علم من أعلام الزهد والورع وإمام من أهل العلم والحكمة في عصره سيد التابعين وشيخ الزاهدين، إنه الحسن بن أبي الحسن البصري الذي ولد سنة ٢١هـ - ٦٤١م ونشأ في بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ وأرضعته - رضى الله عنها - وكان لهذه النشأة أثرها الواضح في تكوينه وكان فصيحاً ينطق بالحكمة لم يخش في الله بطش الحجاج وسطوته، كره الدنيا وزهد فيها أخذ عنه كثير من أهل زمانه وكان أمير المؤمنين عمر بن العزيز يطلب منه الموعدة فيرسلها إليه وهكذا كان الحسن البصري مشغلاً مضيئاً أضاء البصرة وما حولها بعلمه وحكمته وتواضعه وزهده وخشيته الله سبحانه وتعالى، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا لأبي الجوزي يصور حياة هذا الإمام الجليل، وقد ضمنه فصولاً ثمانية. الفصل الأول: في ذكر منشئه وصفة أحواله وأفعاله.

الفصل الثاني: فيما روى عنه من الآداب ومكارم الأخلاق.

الفصل الثالث: فيما أورده من الحكم والمواعظ مختصراً على جهة البلاغة والإيجاز.

الفصل الرابع: فيما روى عنه من ذم الدنيا ونهيها عن التعلق بها.

الفصل الخامس: فيما روى عنه عند تلاوة القرآن من الحكم والمواعظ.

الفصل السادس: فيما أورده على جهة الاستغفار والدعاء والنهي عن التصنع والرياء.

الفصل السابع: في مكاتباته ومقامته مع الأمراء.

الفصل الثامن: فيما روى عنه من المواعظ والحكم في سائر الأشياء.

وأجرأ من رأيت - بظهر غيب

على عيب الرجال - ذوى العيوب

فقال لله در هذا القائل: إنه لكما قال وكان يقول ابن آدم ما أوهنك وأكثر غفلتك تعيب الناس بالذنوب وتساها من نفسك وتبصر القذى فى عين أخيك وتعمى عن الجذع معترضا فى عينك ما أقل انصافك وأكثر حيفك.

ويكشف المؤلف اللثام عما أورده الحسن رحمته من الحكم والمواعظ على سبيل البلاغة والإيجاز.

فكان يقول: يا عجبا لابن آدم! حافظاه على رأسه لسانه قلمهما وريقه مدادهما وهو بين ذلك يتكلم بما لا يعنيه وكان يقول: ابن آدم تحب أن تنكر حسناتك وتكره سيئاتك ولا تؤاخذ غيرك بالظن وأنت مقيم على اليقين مع علمك أنه قد وكل بك ملكان يحفظان عليك قولك وعملك.

وكان يوجه عتابا لادعا للمتكالبين على الدنيا الراغبين فيها الناسين أو المتناسين أن الرزق لا يزيده التحايل كما أنه مكتوب لا يأخذه الغير فيقول «ابن آدم إنك لست بمسابق أجلك ولا بمغلوب على رزقك ولا بمرزوق ما ليس لك فعلام تقتل نفسك؟».

رؤية الله فى الآخرة

وحول سؤال وجه إليه يأبأ سعيد هل يرى الله - عز وجل - فى الدنيا فقال لا! قيل: فهل تراه فى الدار الآخرة؟ فقال: نعم قيل: وما الفرق بين ذلك؟ فقال: لأن الدنيا فانية وفان كل ما فيها ولأن الآخرة باقية وباق كل ما فيها ومحال أن يرى الباقي بالفانى والقديم الأذلى بالمحدث وإذا كان يوم القيامة خلق الله لعباده أبصارا باقية يرون بها ربهم تفضلا عليهم وإكراما لهم.

تضرع الحسن رحمته

أما فيما ورد على جهة الاستغفار والدعاء فقد سمع الحسن ليلا وهو يقول: إلهى من أولى بالذل والتقصير منى وأولى بالمغفرة والعفو منك عنى وقد خلقتنى ضعيفا لا أملك ضرا ولا نفعا إلى أن قال ثبت خوفك فى قلبى حتى لا أرجو سواك ولا أخاف غيرك اللهم يا أرحم الراحمين صل على محمد خاتم النبيين واغفر لى ولكافة المؤمنين وحسبى الله ونعم الوكيل.

الضراعة حين السفر

وروى أنه كان إذا أراد سفرا قال: يا من إذا استودع شيئا حفظه وأدام. استودعك من غاب عنى ومن حضر من أهلى وولدى وكل ما ملكته يدى فأحفظهم يا من لا تضيع ودائعهم، أما ما ورد من الحكم والمواعظ عند تلاوة القرآن أن الحسن يتمثل قول عمر بن الخطاب وهو يهيب بالناس أن يقرأوا القرآن يبتغون ما عند الله.

القرءا ثلاثة

ومن ثم يقسم القرءا إلى ثلاثة أصناف:

قوم اتخذوه بضاعة يطلبون به ما عند الله، وقوم أجادوا حروفه وضيعوا حدوده استدروا به أموال الولاة واستطالوا به على الناس وقد كثر هذا الجنس من حملة القرآن فلا أكثر الله جمعهم ولا أبعد غيرهم وقوم قرءوا القرآن فتدبروا آياته وتداووا به.

وكان الحسن رحمته إذا قرأ قوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون* ثم كلا سوف تعلمون﴾ التكاثر: ٢، ٤. قال: أيها الناس لو تواعدكم مخلوق بموت لما استقر بكم القرار فكيف بوعد ملك الملوك والحق الذى لا يموت.

وكان يقول ابن آدم لا تخافن من ذى ملك فإنه عبد لسيدك ولا تطمعن فى ذى مال فإنه يأكل رزق مولاك ولا تحسدن ذا خير فإنه عامل لربك ولا تحقرن فقيرا فإنه أخ شقيق لك.

ويعد، فقد كان الحسن البصرى يتوق إلى الجنة ويهفو قلبه إلى نعيمها العظيم وخيرها السابغ وفضلها العميم وكانت عيناه تدمعان حينما يتلو القرآن الكريم ويتذكر قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ التوبة: ١١١، غير أن الحسن كان يرى أن الجنة لا يمكن أن تهدى للناس اهداء أو تسدى إليهم إهداء إنما لا بد من سعى فى سبيلها ولا بد من جهاد من أجلها ولا بد من سلوك طريق يؤدى إليها وهذا الطريق قوامه العمل الصالح، وفى هذا يصرح الحسن البصرى لابن آدم قائلا: «يا ابن آدم **عملك.. عملك فإنما هو لحملك ودمك فإنظر إلى أية حال تلقى عملك لأن لأهل التقوى علامات يعرفون بها**». صدق الحديث والوفاء بالعهد وصلة الرحم وحسن الخلق وسعة الخلق مما يقربك إلى الله - عز وجل -.

أثر المنفى فى شعر «أبى فراس الحمدانى»

وذكر «ابن خالويه» عن أسره فقال: إن «أبا فراس» كان عاتداً من الصيد فى نحر من أصحابه ففاجأه كمين رومى، كان قد نصبه «تيودور» على أبواب «منبج»، ففر أصحابه وقاتل وحده فى نحر من أصحابه، فأصابه سهم فى فخذه بقى فيها نصله، فأخذ أسيراً وحمل إلى «خرشنة»، ثم إلى «القسطنطينية» فبقى فى الأسر سبع سنوات إلى أن افتداه سيف الدولة بعد قوله:

متى تخلف الأيام مثلى لكم فتى

طويل نجاد السيف رجب المقلد

فإن تفتدونى، تفتدوا لعلاكم

فتى غير مردود السلاح ولا اليد

يدافع عن أعراضكم بلسانه

ويضرب عنكم بالحسام المهند

فما كل من شاء المعالى ينالها

ولا كل سيار إلى المجد يهتدى

وشعر أبى فراس صورة يومية لحياته، فهو مرآة لعمره، تكاد تحصي فيه دقائق عيشه، فهو قوى الحس، حاد المزاج، سريع الغضب، سريع الرضا إذا عرضت له حادثة، أو حل به أمر سارع إلى الشعر، أو سارع إليه الشعر، فانطلق لسانه فى أبيات هى قطعة من نفسه يصور بها إحساسه فى صدق تجربة، وقوة انفعال، لأن الشعر هو هدفه الأساسى فى تسجيل الأحاسيس والانفعالات، وقد أجاد فى تصوير نفسه تصويراً دقيقاً بديعاً وقد فجر «المنفى» عاطفة الشاعر فجادت بما لم تجد به قريحة الشاعر من قبل، فتراه يشكو مما يحس من آلام وأحزان وبعد وغربة عن الأهل والوطن، وبعد عن أمه العجوز، التى أحس بها وأحست به، وهو غريب عنها، وفى شعر «المنفى» تغزل وافتخر ورثى واشتكى وتألّم.

كان فخر أبى فراس فى منفاه، يقوم على ذكر مجده،

أ.د/ محمد مصطفى سلام

كان للمنفى أثر كبير فى شعر أبى فراس فقد جمل ألفاظه وعمق معانيه وأبو فراس هو الجارث بن سعيد بن حمدون الحمدانى (٣٢٠هـ - ٣٥٧هـ - ٩٣٢ - ٩٦٧م) يعود بعمومته إلى تغلب، ويخوّلته إلى تميم، كما يقول فى شعره، قيل إنه ولد فى الموصل فسماه والده الجارث، وكناه أباً فراس، أى الأسد، ولم يخب ظن والده فقد كان فارساً من الفرسان المعدودين. ولما استولى «سيف الدولة» على ملك حلب، حمل معه أباً فراس، فتخرج هنالك فى العلم والأدب، وتفرس على الفروسية فخرج شاعراً فارساً، وكان سيف الدولة يحبه لشجاعته وكرم أخلاقه، فقلده إمارة «منبج»، وكان يصحبه فى غاراته على القبائل التى كانت تتور عليه.

وفروسيته وعراقته وقد يبدأ قصائده في الفخر بالغزل مثل قصيدة «أراك عصي الدمع» وقد قالها عندما بلغه أن الروم قالت ما أسرنا أحدا لم تسلب ثيابه وسلاحه غير أبي فراس فقال مفتخرا بشجاعته وفروسيته وبيّن سبب أسره:

واني لجرار لكل كتيبة

معودة ألا يخل بها النصر

واني لنزال بكل مخوفة

كثير إلى نزالها النظر الشز

فأظلم حتى ترتوى البيض والقنا

وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر

أسرت وما صحبى بعزل لدى الوغى

ولا فرسى مهر ولا ربه غمر

ولكن إذا حم القضاء على امرئ

فليس له بر يقيه ولا بحر

وقال أصحابي: الفرار أو الردى

فقلت: هما أمران أحلاهما مر

لكنني أمضى لما لا يعينني

وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

يقولون لي: بعث السلامة بالردى

فقلت أما والله ما نالني خسر

وهل يتجافى عني الموت ساعة

إذا ما تجف عني الأسر والضر؟

هو الموت فاختر؛ ما علا لك ذكره

فلم يمت الإنسان ما حيى الذكر

ويختتم أبو فراس هذه القصيدة الطويلة الرائعة،

فيحشد كل ما جاش بنفسه من أطراف الفخر

ويجمع ما تصوره في نفسه وقومه من معاني العزة

والمنعة بحيث لا ينبغي لواحد منهم أن يعيش إلا

سيدا، فأما أن تكون لهم الصدارة وإلا فالتبوير

أولى بهم، وأكرم لهم، فيقول:

ونحن أناس لا توسط بيننا

لنا الصدر دون العالمين أو القبر

تهون علينا في المعاني نفوسنا

ومن خطب الحسنة لم يفلها المهر

أعز بنى الدنيا وأعلا ذوى العلا

وأكرم من فوق التراب ولا فخر

وفي فخر أبي فراس صدق وإحساس وانفعال،

فإذا افتخر بالقوة فهو صادق، وإذا افتخر بعلو

النسب فهو صادق، وإذا ما افتخر بالكرم والسيادة

فهو صادق، ولكنه بالغ في فخره بقومه مبالغة غير

مقبولة، إذ جعلهم أعز بنى الدنيا وأعلا ذوى العلا

وأكرم من فوق التراب ولا فخر، وهناك من هم

أعلى شأنًا منهم مثل الخلفاء العباسيين الذين

كانوا يشرفون على دولة بنى حمدان.

وأخيرا فإنني أقول عن شعر أبي فراس في

المنفى إنه صورة صادقة لحياته ومن شعر المنفى

قصيدته الرائعة التي قالها عندما ثقلت عليه

جراحه وهو أسير وأرسل هذه الأبيات إلى أمه

يطلب منها الصبر، وهي أنات حزينة أخرجها من

صدره، بدأها بالألم والحزن والحسرة، ولكنه يلجأ

إلى الله يطلب منه العون فيقول:

مصابي جليل والعزاء جميل

وظنى بأن الله سوف يديل

جراح تحامها الأساءة مخوفة

وسقمان باد منهما ودخيل

وأسر أقاسيه، وليل نجومه

أرى كل شيء، غيرهن يزول

تطول بي الساعات وهي قصيرة

وفي كل دهر لا يسرك طول

تناساني الأصحاب، إلا عصبية

ستلحق بالأخرى، غدا وتحول

ومن ذا الذي يبقى على المهدي؟

إنهم وإن كثرت دعواهم، لقليل

أقلب طرفي لا أرى غير صاحب

يميل مع النعماء حيث تميل

إن تجربة الشاعر حزينة باكية، أحاطت بنفسه وسيطرت على وجدانه جعلته ينظر إلى ما يلزم به في العالم الخارجى نظرة خاصة، مرتبطة ارتباطاً حميماً بواقعه ونفسيته، فهذه الجراح المؤلمة، والسقم البادى والدخيل والأسر الذى يقاسيه، والليل الذى يطول، والأصحاب الذين تناسوه، والرفقاء الذين يميلون مع النعماء - وقد تفجرت التجربة الشعرية فى بيان حالته التى هو عليها وإن أسره ما هو إلا شعر يمثل واقعه، كما أن القيد والأسر يضاعفان من شعوره بالألم والحسرة.

رأى النقاد فى شعر أبى فراس:

وانى أؤيد رأى النقاد فيما قالوه عن شعر أبى فراس فهو شعر بديع ورائع تكسوه العاطفة ويغمره الألم.

وقد نظر الأدباء والنقاد إلى شعر أبى فراس، لأنه تميز بميزات خاصة، وهذا الشعر يعتبر عصارة روح حزينة باكية متألمة.

يقول التتوخي: «ولأبى فراس كل شيء حسن من الشعر فى معنى أسره، ويروى عن أبى الفرج الببغاء قوله:

وله فى صفة أسره وعلل لحقته هناك، ومرآة لنفسه فى الأسر وتعطفه لسيف الدولة، وضعة الأسر، وما لحقه فيه، شعر كثير حسن، أكثره

بمعان مختصرة لم يسبق إليها».

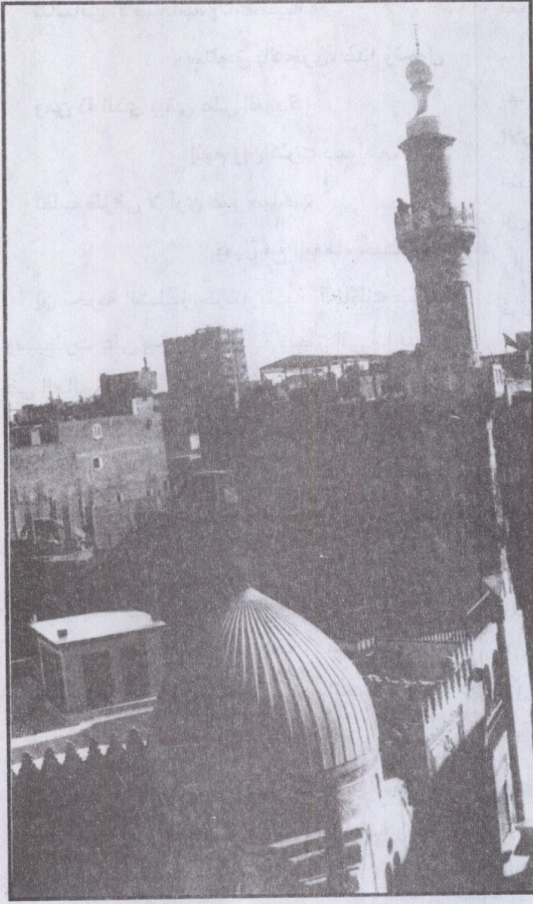
ويرى الثعالبي: أن هذه القصائد غرر جادت بها قريحة الشاعر الأسير بعد أن أدركته حرفة الأدب، وأصابته عين الكمال، وقد كانت تصدر أشعاره هذه فى الأسر والمرض، واستزاده سيف الدولة، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه، والتبرم بحاله ومكانه، عن صدر جرح وقلب شج، تزداد رقة وطبعاً تبكى سامعها، وتعلق بالحفظ بسلاستها، وقد تحدث عنها كثير من النقاد - فقال العاملى:

«إنها قصائد خالقة تبكى المنشد، وتشجع السامع، وأنها غرة فى جبين الشعر العربى، وقلادة فى جيد الدهر، وهى من غرر شعر الشاعر نفسه، ولا غرو فقد اجتمع عليه من الأسر والجراح، طول المدة وتأخير سيف الدولة، عن مفاداته، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه، فلا جرم أن تصدر عن قلب ونفس رقيقة متألمة».

ولقد كان الشعر الوجدانى يمد آفاق الذات ويوسعها ويعمق أبعادها، حتى تدرك آفاق الألم كله - وإن الخواطر التى ألم بها «أبو فراس» فى هذه القصيدة تبين أنه يريد الحرية التى ألح فى طلبها من سيف الدولة، وبذل فى سبيلها الكثير من النداء والحوار مع سيف الدولة ولكنه لم يجبه إلى طلبه.

المراجع:

- ١ - ديوان أبى فراس، دار صادق، بيروت، بدون تاريخ.
- ٢ - يتيمة الدهر للثعالبي.
- ٣ - شرح ديوان أبى فراس - لابن خالويه.
- ٤ - شعر الحرب فى أدب العرب، د. زكى المحاسنى.
- ٥ - شاعر بنى حمدان. د. أحمد بدوى.



مسجد حسن باشا طاهر

مساجد لها تاريخ

بتكلفة ثلاثة ملايين جنيه ونصف

مسجد حسن باشا طاهر.. يستعيد شبابه

محمد كامل شاهين

تصوير: سيد الزفزاف

موقعه

يقع هذا المسجد بشارع بركة القيل بحى السيدة زينب، وكانت بركة عظيمة الاتساع، واختلفت الآراء حول تسميتها بهذا الاسم، فيذكر أن خمارويه بن أحمد بن طولون كان مغرما باقتناء الحيوانات من السباع والتمور والأفيال، وأنشأ لكل نوع منها بيتا خاصا بها، وكان بيت الأفيال يقع

تعتبر الحضارة الإسلامية مصدرا هاما للإلهام الكثيرين من الفنانين المسلمين الذين استلهموا فنهم منها على مر العصور، وطوروا فيه فأضحى فنا يشار إليه بالبنان، وقد ظهر جليا فى بناء المساجد وزخرفة قبابها من الداخل والخارج سواء كان ذلك فى العصر المملوكى أو العثمانى.

فى العصر العثمانى استطاع البناء أن يمزج بين العصرين ويضيف عليه فخر هذا المزيج أية فى الروعة والجمال وتمثل ذلك فى مسجد حسن باشا طاهر الذى يعد بحق تحفة فنية جمعت بين أكثر من عصر.

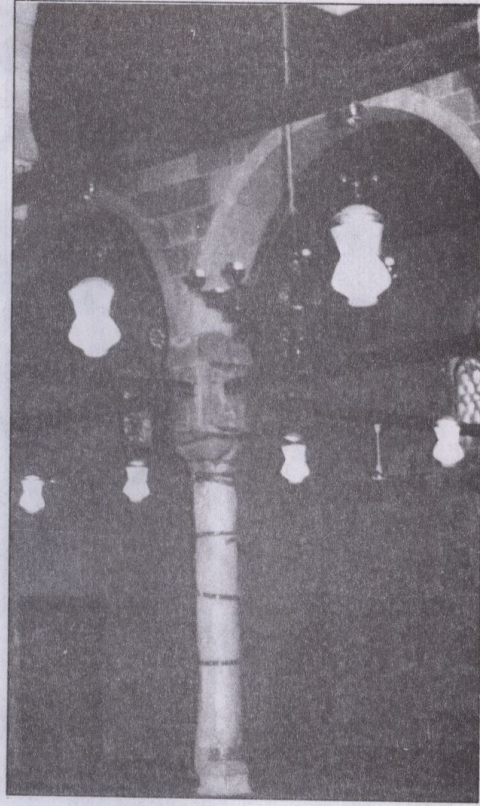
وقد حرصت مجلة منبر الإسلام أن تلقى الضوء عليه لأنه يعد من المساجد النادرة فى مصر، ولا سيما منذنته التى لا مثيل لها من حيث روعة البناء ودقة التصميم.

باشا طاهر مؤسس هذه الأسرة في مصر، وكان قائدا للجنود الألبان أثناء ولاية خسرو باشا ثم ترقى إلى وظيفة قائم مقام، واستطاع الوصول إلى ولاية مصر سنة ١٨٠٢م، وبناء على مشورة محمد علي باشا بتأليب الجنود الألبان على خسرو باشا مما اضطره إلى الهرب هو وعائلته وبقية جنوده إلى دمياط، وتولى طاهر باشا ولاية مصر من بعده إلا أنه لم يدم الأمر له طويلا حيث انقضت دولته بعد سنة وعشرين يوما بعد توليه الحكم حيث قتل على يد الجنود الانكشارية الذين طالبوه برواتبهم إلا أنه رفض فثاروا عليه وأجهزوا عليه سنة ١٨٠٣م، وقام أحد أتباعه بدفنه بالقبة التي أقامها حسن باشا طاهر، وعابدين بك ببركة الفيل وهي المعروفة بضريح الأربعين داخل مجموعة حسن باشا طاهر، ويذكر الجبرتي أن طاهر كان قليل الكلام، وكان به ميل للدراويش والمجاذيب.

وقد اهتم حسن باشا طاهر بالقبة التي دفن فيها أبوه، وأنشأ بجوارها المسجد والسبيل والكتاب، وتم الانتهاء من بناء هذه المجموعة سنة ١٨٠٩م، وذلك كما هو مدون على كل من الباب الرئيسي للمجموعة، وباب المسجد، وفوق شباك الضريح من الخارج.

وتعد هذه المجموعة من المجموعات المعمارية الرائعة التي تعبر عن عصر انشائها فتجد الواجهة الرئيسية تشتمل على مجموعة من الزخارف والتشكيلات الحجرية النادرة خاصة لو نظرنا إلى تلك الأعمدة المعقوفة في صدر المدخل الرئيسي للمجموعة وما يعلوه من عقد مدائني مخصص، ويطلق على هذا المكان مجموعة لأنه يتكون من أكثر من منشأة معمارية.

يقول د. أنور مهران القائم بأعمال التنفيذ بمشروع الترميم لمسجد حسن باشا طاهر: تحققت في تلك المجموعة العناصر الأساسية فهي تشتمل على صحن الصلاة والسبيل والكتاب



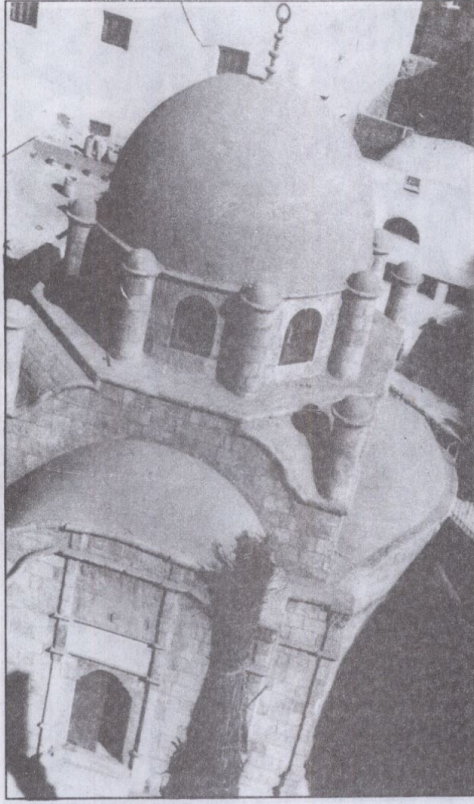
صحن المسجد

على حافة البركة من الجهة الجنوبية الشرقية، وكانت مقصدا للزائرين للنزهة ومشاهدة الأفيال.

وهناك رأى آخر يقول: إن بركة الفيل ليست بركة بالمعنى المفهوم الآن وإنما أطلقت على أرض زراعية غمرها ماء النيل وقت الفيضان، وكانت تروى من الخليج المصرى، وبعد انحسار المياه زرعت بأنواع مختلفة من المحاصيل، ثم تحولت أراضيها تدريجيا من الزراعة إلى السكن منذ سنة ١٢٢٠هـ - ١٢٢٣م.

منشؤه

ينسب هذا المسجد إلى طاهر باشا والد حسن



الضريح الخارجى للمسجد

العناصر الأساسية الأخرى للمجموعة.

السبيل:

يأتى على يمين الداخل ويتكون من غرفتين الأولى أمامية وبها خرزة التسبيل وهو عبارة عن حوض رخامى مصحن «على شكل صحن» يتم ملؤه بالماء لشرب المارة من خلال شباك به مصبوعات نحاسية يمكن من خلاله الوصول للماء الذى يوجد داخل حوض السبيل والغرفة الثانية وهى الخلفية والتي تحتوى على البئر مصدر ماء السبيل وكذلك حوض التجميع الذى يمتلئ بالماء تمهيدا لصرفه إلى حوض التسبيل السابق ذكره.

والضريح والمثدنة وتتميز المجموعة بوجود مدفنين، المدفن الأصلي وهو الذى نجده على يسار الواجهة الرئيسية المدفون به حسن باشا طاهر، بالإضافة إلى المدفن الخارجى والمدفون به بقية أفراد الأسرة، والذى أضيف إلى حرم المجموعة الأثرية بعد أن تم فكّه ونقله من ميدان السيدة زينب، ويعد هذا الضريح من التحف المعمارية خاصة ما يتميز به من أشكال هندسية غاية فى الروعة والجمال، ويتمثل ذلك فى البدن المشمن ثم الرقبة الدائرية، وقد استطاع البناء المسلم استخدام أدواته الأساسية من المثلثات المقلوبة والقباب الكروية للوصول إلى مبتغاه من حيث إظهار كافة العناصر الهندسية بطريقة واضحة ودقيقة تظهر بأن الضريح الذى تم نقله من ميدان السيدة زينب يشبه نفس نسيج المكان الموجود به المدفن الأصلي وليس منقولاً من مكان آخر.

والجدير بالذكر أنه قد تم نقل الضريح سنة ١٩٦١م ليكون بالقرب من المدفن الأصلي لعائلة حسن باشا طاهر.

وأهم ما يلفت النظر فى مجموعة حسن باشا طاهر المعمارية أنها تداخلت وتكاملت بها العديد من الطرز المعمارية السابقة لعصر الانشاء، فنلاحظ أن المدفن الأصلي أقيم على نسق المدافن فى العصر المملوكى لاحتوائه على ذلك البدن المربع، والانتقال من خلال المقرنصات والقبة الكروية التى تعلوها، كما أن المثدنة والتى تعد من أبرز العناصر فى المجموعة لتمييزها بأن كل دورة من دوراتها بنيت على نسق معمارى من عصور مختلفة.

فتجد الدورة الأولى مثمنة على الطراز المملوكى تعلوها دورة دائرية تشبه الدورات العثمانية تعلوها دورة دائرية أصغر تشبه نهائيات المآذن التى بنيت خلال عهد الأسرة العلوية بالإضافة إلى وجود

الكتاب:

ويعلو السبيل لتدريس علوم القرآن.

صحن المسجد:

أما صحن الصلاة فتجده على الطراز العثماني ببوائكه المتوازية وأهم ما يميزه تلك الأعمدة الرخامية التي تحمل العقود الدائرية والتي بدورها تحمل السقف الخشبي، وأهم ما يميز هذا السقف شخصيخة رئيسية في

وسط الصحن، بالإضافة إلى وجود منبر خشبي بحشواته المختلفة والعقود بطريقة جذابة، وعلى يسار المنبر حنية المحراب الحجري، وتتميز المجموعة المعمارية بوجود محراب حجري آخر تعلوه سقيفة خارجية محمولة على عمود رخامي ضخمة، وتعد تلك السقيفة من المسطحات الخاصة ولعل أتى بها البناء استغلالاً للمساحة المتاحة له ولكي تكون تمهيدا لدخول صحن الصلاة الأساسي.

ويقول السيد: عبد الخالق

مختار - مدير عام مناطق آثار

جنوب القاهرة - إن حسن باشا طاهر أوقف عمارة للصرف على المسجد لاتزال بعض أدوارها باقية، وإن كان مدخلها قد تهدم وت خلف منه لوحة تاريخية نصها «كان الفراغ من العمارة الكائنة بخطط بركة الفيل تجديد أفندينا المرحوم الحاج حسن باشا طاهر - وكان ذلك في يوم الجمعة من شهر رجب ١٢٣٨م».

أعمال الترميم

وعن أعمال الترميم التي تمت بالمسجد يضيف السيد عبد الخالق مختار قائلاً:

د. أنور مهران:

**مسجد حسن باشا
ظاهر أول مسجد
يتم فك مؤذنته
وتعاد بالكامل
طبقاً للقواعد
الأثرية والمعمارية**

١ - تخفيض منسوب المياه الجوفية أسفل المجموعة .

٢ - فك وإعادة تركيب المؤذنة، حيث أنها تعرضت عقب زلزال سنة ١٩٩٢م إلى ميل شديد من الجهة الجنوبية الشرقية هدد بانهيائها مما استدعى الأمر فكها وتشوينها داخل المسجد .

٣ - عمل ترميم إنشائي للأساسات والتربة الحاملة للمؤذنة وبعد انتهاء هذه

العمليات تم إعادة التركيب مرة أخرى وبنفس المواد وبنفس طريقة البناء القديمة لتكون من أبرز الأمثلة على نجاح عمليات الفك وإعادة التركيب للمنشآت الأثرية وخاصة المؤذنة .

٤ - بالإضافة إلى ذلك كانت هناك العديد من الأعمال الترميمية الأخرى مثل الكشف عن دورة التسبيل وتدعيم الحوائط وعمليات التنظيف للواجهات، واستخلاص ما بها من أملاح، كما تم تجديد دورات المياه .

٥ - تم عمل عزل وتنظيف

لدكة المبلغ «الزخارف الأثرية».

هذا هو مسجد حسن باشا طاهر الذي يعد تحفة معمارية من العصر العثماني به العديد من الزخارف التي تعبر بحق عن جماليات الفن الإسلامي النادرة والذي يقف أمامه الإنسان مشدوها من روعة وجمال البناء وبراعة البناء المسلم .

وصدق الحق إذ يقول: ﴿إنما يعمر مساجد

الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ التوبة: آية ١٨ .

من أعمال الفاروق

قطوف

البصرة:

نزل المسلمون البصرة في السنة الرابعة عشرة بقيادة عتبة بن غزوان، وظل فيها المسلمون حتى تم تخطيطها وتشيد المباني بالبن سنة ١٧هـ، والذي تولى تمصيرها عاصم بن دلف هفي وإن نزلها المسلمون سنة ١٤هـ إلا أن تخطيطها وإقامة المباني بها لم تتم إلا في السنة السابعة عشرة من الهجرة (١).

والبصرة في كلام العرب تعني: الأرض الغليظة التي فيها تَقْلَع وتقطع حوافر الدواب وهي مدينة في العراق بناها المسلمون قرب ثغر الأبله.

الكوفة:

في سنة ١٧هـ اختطت الكوفة وكان سبب تخطيطها أن المسلمين اتخذوا المدائن قاعدة حربية لهم بعد موقعة القادسية، واستمرت كذلك حتى شاهد عمر بن الخطاب تغيراً في وجوه من نزلوها وضعفاً في أجسامهم فسألهم عن سبب ذلك فقالوا له غيرتنا وخومة البلاد.

وقد حلت الكوفة محل الحيرة والبصرة محل الأبله بعد تمصيرها، وارتفع شأنها وعظمت مكانتها وقد سميت بالكوفة لاجتماع الناس بها من التكوّف وقد كان العرب يسمون الأرض التي فيها طين وحصاء ورمل كوفة، يقول عنها العلامة الكوثري: «الكوفة بعد أن ابتناها الفاروق عمر بن الخطاب وأسكن حولها الفُصْح من قبائل العرب، بعث إليها ابن مسعود رضي الله عنه ليفقه أهلها قائلاً لهم: «إني أثرتكم على نفسي بعيد الله...».

فعنى ابن مسعود بتفقيه أهل الكوفة من عهد عمر إلى أواخر عهد عثمان - رضي الله عنهم - حتى امتلأت الكوفة بالفقهاء، ولما انتقل على بن أبي طالب إلى الكوفة سرّ من كثرة فقهاءها وقال: «رحم الله ابن أم عبد قد ملأ هذه القرية علماً» (٢)، وأصبحت مدينة الكوفة لا مثيل لها في أمصار المسلمين في كثرة فقهاءها ومحدثيها والقائمين بعلوم القرآن وعلوم اللغة العربية فيها بعد أن اتخذها على بن أبي طالب عاصمة الخلافة، وبعد

محمد سيد أحمد على الدين

ولد عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بمكة بعد مولد الرسول الكريم بثلاث عشرة سنة فهو قرشي من بني عدى يلتقى نسبه مع رسول الله ﷺ في الجد السابع كعب، وأمه حنتمة بنت هاشم ابن المغيرة المخزومية. كناه الرسول ﷺ أبا حفص لشدة وجرأته ولقبه الفاروق لأن الله فرق به بين الحق والباطل، وبين عهد الأسرار بالدعوة وعهد الجهر بها، واختاره الصديق خليفة للمسلمين بعده. ومن أهم أعمال الفاروق عمر تمصير الأمصار وإقامة مدن جديدة صالحة لسكنى المسلمين، وقد أسست في عهده عدة مدن من أهمها:

أن انتقل إليها علماء الصحابة وفقهاؤهم، وقد ذكر العجلي أنه توطن الكوفة من الصحابة ألف وخمسمائة صحابي.

الفسطاط:

بعد أن تم لعمر بن العاص فتح الإسكندرية وإجلاء الروم عنها وطردهم من مصر، أراد أن يجعلها مقرا لولايته لما فيها من عمران وأبنية، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأل الخليفة رسول عمرو: هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل: فكتب إلى عمرو بن العاص: إنني لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف، فلا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى أردت أن أركب إليكم راحلتي حتى أقدم عليك قدمت.

وبذلك تم اختيار موقع الفسطاط ليسهل الاتصال ببلاد العرب ومعنى الفسطاط نسبة إلى فسطاط عمر ابن الخطاب وهي خيمته^(٣).

استقلال القضاء

بعد أن انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية كان الولاة الذين بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم هم الذين يقضون بين الناس، وسار الخليفة الأول أبوبكر الصديق على هذا النهج فكان يقضي بنفسه بين المسلمين في المدينة المنورة، وكان ولاته في الأقاليم هم القضاة فيها، ومن هنا كان القضاء جزءا من الولاية.

وبعد اتساع الدولة الإسلامية في عهد عمر الفاروق صار من المتعذر أن يجمع الخليفة أو والي بين النظر في الشئون العامة للمسلمين والفصل في التخاصم بين الناس، فرأى عمر أن يفصل بين القضاء وغيره من الشئون وعهد بالقضاء إلى شخص آخر غير والي، وأصبح تعيين القضاة بيد الخليفة نفسه حرصا على العدالة، وقد ولي عمر بن الخطاب أبا الدرداء القضاء في المدينة المنورة، وولى شريح بن الحارث الكندي قضاء البصرة، وولى أبا موسى الأشعري قضاء الكوفة، وولى قيس بن العاص السهمي القضاء على مصر^(٤).

التأريخ الهجري:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من جعل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بداية التأريخ الإسلامي وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة للهجرة^(٥).

وكان العرب يؤرخون بالأحداث الكبرى مثل عام الفيل، وحلف الفضول وغيرها من الأحداث العظيمة.

شعر عمر بن الخطاب بأن المسلمين في حاجة إلى توقيت ثابت يرتبط بحدث جليل من أحداث الإسلام، فجمع الصحابة واستشارهم، واستقر رأيهم على أن تكون هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة هي بداية التأريخ الإسلامي، باعتبارها أعظم أحداث الإسلام التي تحققت بعدها عز الإسلام وإنشاء دولة إسلامية مستقرة.

الهوامش:

- ١ - انظر ما كتبه عنها ياقوت الحموي في معجم البلدان ج ١ ص ٤٣٠ - ٤٤٠، وانظر كذلك للمزيد الطبري تاريخ الرسل ج ٤ ص ٤٣ - ٤٧.
- ٢ - حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي لمحمد زاهد الكوثري ص ٥٩: ٦٣، دار الأنوار بمصر ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م.
- ٣ - سميت المدينة بذلك «نسبة إلى فسطاط عمر «خيمته» وقيل الفسطاط مجتمع أهل الكورة حوالى مسجد جماعتهم أو المدينة التي تجتمع فيها الناس وكل مدينة فسطاط: انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٤ ص ٢٦٣ - ٢٦٤. وقد ذكر أن معنى الكلمة المدينة الحصينة انظر حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام ج ١ ص ٥٢٠.
- ٤ - انظر الطبقات لابن سعد ج ٣ ق ١ ص ٢٠٢، الطبري: تاريخ الرسل ج ٤ ص ٣٨، ٣٩.
- ٥ - أبو يوسف: الخراج ص ١٢٥ دار المعرفة - بيروت.

للذكريات مواسم

بمناسبة المولد
النبوي الشريف

شعر / محمد فايد عثمان

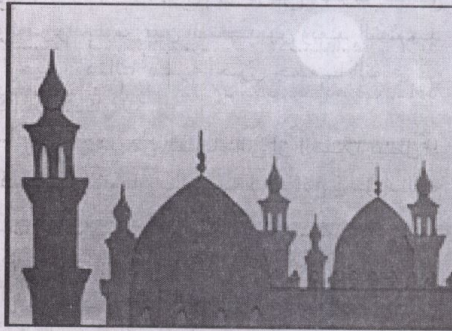
والدهريش سدو والزمان يردد
والفكر استهديه لا يتمرد
حتى يشنفهم كلام عسجد
بالواردين وطاب فيك المورد
فنرى عكاظ الأمس يبعثها الغد
حلل الخلال يصوغها ويعدد
ورق كشش سدو الورق لما تنشد
زهر وأنسام وطير غرد
من نور أحمد دائم متجدد
الحائرون بنور بعثتك اهتدوا
تستشرف الهادي وأنت المرشد
وخبئة التاريخ ترجى تقصد
تهفو لها كل النفوس وترصد
يلهو بها شيطانها ويعريد
قطعا من الليل الطويل تلبد
والموج جرح نازف يتنهد
ترحاله والكون عان مسهد
سلط إلى جيد الزمان مسدد
ما يصنعون من الحجارة يعبد
والشمس معبود ونار توقد
يجثو لأقدام الطغاة ويسجد
تعنو الحياة لوجهه وتمجد
إلا تواري في الخفا يتعبد

ذكرى تهل وموعد يتجدد
وسوانح الأشعار يهمل غيثها
والسامعي شعري حرام نومهم
حييت يا نادى القصيد ومرحبا
للذكريات مواسم تهفو لها
يمضى اليراع على الصحيفة راسما
ويظل يرشف من رحيق زلالها
هذا الربيع وهذا الألاؤه
يكسو الوجود بهاؤه وسناؤه
يا أيها الداعي إلى سنن الهدى
أقبلت والدينا ظلام كلها
أخذت تنقب في ضمائر إرثها
والبدرفى حلك الظلام رغيبه
والكائنات وقد تنافرودها
والأفق جلله القتام وقد بدا
والبحر مضطرب تسارع مده
والدهر مثل البحر لا يهدا به
والشرك مجتمعا كأن سنانه
والناس حيرى لا يؤلف بينهم
شجر وأحجار وأنجم أو دمي
كل له معبوده يدعوه أو
عجبا ومعدرة إلى الله الذي
لم يبق في دين الحنيفة واحد

أنت تسأل والفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

زيادة ركعات الصلاة المفروضة



دفن الميت وصلاة الفريضة

السؤال من قارئ، يقول:

إذا اجتمع دفن ميت مع صلاة الفريضة فأيهما يقدم؟
فهل يترك الميت في محمله إلى ما بعد الصلاة أم تترك
الصلاة ويتم الدفن؟

الجواب: صلاة الفريضة لها وقت محدد بدخوله
وخروجه، ولو لم يصلها في وقتها كان حراماً عليه، إلا
لعذر كالجمع بين الصلواتين للمسافر ونحوه، أما دفن
الميت فليس له وقت معين وإن كان الأفضل التعجيل به،
ومن هنا يكون تقديم صلاة الفريضة على دفن الميت أولى
إذا خيف خروج وقتها إن قدم دفن الميت، فإذا تحقق
الخروج كان تقديمها واجباً.

السؤال من القارئ/ ع. هـ. أ. من محافظة
القاهرة، يقول:

لماذا لا تزيد عدد ركعات الصلاة المفروضة طالما
القصد منها التقرب إلى الله؟
الجواب: ثبت أن الرسول ﷺ قال: «صلوا كما
رايتُموني أصلي»، وقال في موسم الحج: «خذوا عني
منااسككم».

ولم يثبت أن النبي ﷺ زاد عدد الركعات
المفروضة، حتى لو كان القصد منها التقرب إلى الله،
والواجب علينا أن نتبع ما ورد عنه ﷺ.
ومن أراد الاستزادة من الصلاة فلتكن في
التواقل، ومما أكثرها، فمنها الرواتب المتصلة
بالفرائض ومنها المطلقة التي لا داعي إليها إلا مجرد
التقرب إلى الله، ومنها ما نص عليه من مثل الضجى
والوتر وقيام الليل، والاستسقاء والخسوف والكسوف
وغيرها.
هذا، والإجماع منعقد - إلى جانب ما أثر عن
اللتبي ﷺ قولاً وعملاً - على أن الصلوات المفروضة
لا تجوز الزيادة في ركعاتها، ومرة على ذلك مسائل
السنين ولم يشذ أحد عن هذا الإجماع.

الدعاء في الصلاة



**السؤال من القارئ/ عصام زهران محمد خليل،
من طنبدى - المنيا، يقول:**

**هل يجوز للمسلم أن يدعو لنفسه بأمر من أمور
الدنيا في الصلاة المكتوبة؟**

الجواب: من المعلوم أن الصلاة من أولها إلى آخرها محل للدعاء، وأولى بالدعاء المواطن التي بينها الرسول ﷺ كالسجود الذي جاء في رواية مسلم «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاكثروا من الدعاء»، وصح أنه ﷺ دعا دعاء الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام، كما دعا في الركوع والسجود والاعتدال من الركوع وقنوت الصبح والوتر والجلوس بين السجدين وبعد التشهد الأخير، وهناك أدعية أخرى جمعها النووي في كتابه «الأذكار».

وقد نبه بعض العلماء إلى أن الصلاة تبطل لو دعا فيها الإنسان بما يشبه كلام الناس مثل: اللهم زوجني فلانة، فالأولى أن يكون بغير ذلك، سواء أكان مأثورا عن النبي ﷺ أم غير مأثور، مع مراعاة الخشوع في الصلاة كلها، فهو أرجى بقبولها وقبول ما فيها من دعاء. ولتوضيح ما قالوه ما يأتي:

**جاء في كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة»
نشر وزارة الأوقاف - أن الحنفية قالوا:** تبطل الصلاة بالدعاء بما يشبه كلام الناس، وضابطه ألا يكون واردا في الكتاب الكريم ولا في السنة، ولا يستحيل طلبه من العباد، فله أن يدعو بما شاء مما ورد في الكتاب والسنة، أما ما ليس فيهما فإن كان يستحيل طلبه من العباد كطلب الرزق والبركة في المال والبنين ونحو ذلك مما يطلب من الله وحده فإن الصلاة لا تبطل به، وإن كان لا يستحيل طلبه من العباد نحو: اللهم أطعمني تفاحا، أو زوجني فلانة فإنه يبطل الصلاة.

والمالكية قالوا: لا تبطل الصلاة بالدعاء بخير الدنيا والآخرة مطلقا، فله أن يدعو بما لا يستحيل طلبه من العباد، كأن يقول: اللهم أطعمني تفاحا ونحوه.

والشافعية قالوا: الدعاء الذي يبطل الصلاة هو الذي يكون بشيء محرم أو مستحيل أو معلق، وله أن يدعو بعد ذلك بما شاء من خير الدنيا والآخرة، بشرط ألا يخاطب بذلك غير الله ورسوله ﷺ، فإن خاطب غيرهما بطلت صلاته، سواء كان المخاطب عاقلا كأن يقول للعاطس: يرحمك الله، أو غير عاقل، كأن يخاطب الأرض فيقول لها: ربّي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك.

والحنابلة قالوا: الدعاء الذي يبطل الصلاة هو الدعاء بغير ما ورد، وليس من أمر الآخرة كالدعاء بخوائج الدنيا وملأها، كأن يقول: اللهم ارزقني جارية حسناء، وقصرا فخما وحلة جميلة ونحو ذلك ويجوز له أن يدعو لشخص معين بشرط ألا يأتي بكاف الخطاب، كأن يقول: اللهم ارحم فلانا، أما إذا قال: اللهم ارحمك يا فلان، فإن صلاته تبطل.

يوم الصلاة على مقعد

السؤال من القارئ/ م. هـ. كضر الدوار، يقول:
هل يجوز أن يؤم الرجل أهل بيته في الصلاة وهو جالس على مقعد مع العلم بأنه فوق السبعين من عمره؟

الجواب: روى البخاري ومسلم عن عائشة وأنس - رضی الله عنهما - أن النبي ﷺ اشتكى من إصابة فذهب بعض الصحابة لعيادته، ولما حضرت الصلاة صلى بهم قاعدا وهم واقفون، فلما انتهى من الصلاة بين لهم أن الإمام إذا صلى قاعدا قعدوا، وإذا صلى قائما صلوا قياما، وبين العلة في ذلك في رواية لمسلم وغيره أن صلاتهم قياما وهو قاعد يشبه فعل أهل فارس بعظمتها، وقد نهى عن الوقوف لأي شخص تعظيما له وهو جالس.

وروى البخاري ومسلم عن عائشة أن النبي ﷺ لما وجد خفة في نفسه

وهو مريض خرج إلى الصلاة بين رجلين فأجلساه إلى جنب أبي بكر، فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي قاعد، وهذا آخر الأمرين من رسول الله ﷺ.

إزاء هذه التصوص اختلف الفقهاء في صلاة القائم خلف القاعد، فقال بعضهم بالجواز بناء على الحديث الأخير، وقال بعضهم بالمنع، فيجب عليه التقعود بناء

على الحديث الأول وأحاديث أخرى، وقال بعضهم إن ابتدأ الإمام الصلاة جالسا جلسوا، وإن ابتدأها واقفا وقفوا، فإن طرأ عليه عذر بعد ذلك وجلس صلوا هم قياما.

والنقاش بين أصحاب الآراء في هذه المسألة طويل.

هذا، وقد جاء في فقه المذاهب الأربعة أن المالكية قالوا: لا يصح اقتداء القائم بالقاعد العاجز عن القيام ولو كانت الصلاة نفلا، إلا إذا جلس المأموم اختيارا في النفل فتصح صلاته خلف الجالس فيه، وأن الحنفية قالوا: يصح اقتداء القائم بالقاعد الذي يستطيع أن يركع ويسجد، أما العاجز عن الركوع والسجود فلا يصح اقتداء القائم به إذا كان قادرا، وأن الشافعية قالوا: تصح صلاة القائم خلف

القاعد والمضطجع العاجز عن القيام والتقعود ولو كانت صلاتهما بالإحياء، وأن الحنابلة قالوا: لا يصح اقتداء القائم بالقاعد الذي عجز عن القيام، إلا إذا كان العاجز عن القيام إماما راتبا وكان عجزه عن القيام بسبب علة يزجى زوالها. انتهى.

ومادام الأمر فيه خلاف فيجوز الأخذ بأي رأي دون تعصب، كما هو الشأن في الأمور الخلافية.

تارك الصلاة كيف يقوم بقضائها

السؤال من القارئة/ أميرة عبد الحكيم، من جرجا، تقول:
لم أكن أصلي منذ مدة طويلة فكيف أقوم بقضائها؟
الجواب: ثبت في الحديث أن الإنسان إذا فاتته صلاة بسبب نوم أو نسيان وجب عليه أن يقضيها عندما يتذكر، وكأنه أذنب - مع أن الله غفر للنائم والساهي - فالقضاء كأنه كفارة عن ذنب.

وإذا كان هذا حكم القضاء للنائم والناسي فمن باب أولى أن يكون القضاء واجبا على من ترك الصلاة عمدا بدون عذر، ويجب عليه القضاء علامة لتوبته من هذا الذنب العظيم، ودين الله أحق بالقضاء.

وطريقة القضاء متروكة للإنسان، حسب استطاعته وظروفه، ويمكن ذلك بصلاة فرض من القضاء بعد كل فرض من الأداء، كما يمكن أن يصلي يوما كاملا (خمس صلوات) في أي وقت من نهار أو ليل، أو بآية طريقة أخرى، والمهم أن يعلم أن التعجيل بالقضاء أفضل من التأجيل، فليحاول الخلاص منه. رحمه الله.

في الصلاة

يوم الجمعة وحساب القبر

السؤال من قارئ/ يقول:

من مات في يوم الجمعة هل يعفى من حساب القبر؟

الجواب: روى أبو نعيم في «الحلية» أن النبي ﷺ قال: «من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجبر من عذاب القبر، وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء».

قد تكون هناك ظروف يكون الموت فيها بشيرا بالخير كظروف الجهاد في سبيل الله، وكالطاعون وغيره مما جاء في حديث مسلم «ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن - أي بسبب مرض البطن أو الولادة - فهو شهيد، والغريق شهيد».

وجاءت روايات أخرى تدل على فضل الموت في الغربة والهدم ودوار البحر والدفاع عن النفس والمال والدين، وقد صح في البخاري ومسلم أن رجلا كان مع النبي ﷺ في عرفة فوقع عن راحلته ومات، فقال: «إنه يبعث يوم القيامة مليا»، أي على هيئة المحرم بالحج.

لكن جاءت روايات ضعيفة منها الحديث المذكور فيمن مات يوم الجمعة أو ليلتها، والروايات الضعيفة لا تبنى عليها عقائد، ولا نعرف أمور الغيب منها بيقين، والذي ينفع الإنسان في قبره هو عمله، وكثير من أفاضل الصحابة لم يموتوا يوم الجمعة ولا في ظروف كالتى مرت، كما أن كثيرا من الكفار ومن ظاهر سلوكهم غير مستقيم ماتوا يوم الجمعة، فلنترك الأمر لله، ولنهتم بالعمل الصالح فهو مناط الثواب والتكريم.

من يمتنع عن الصلاة بعد الإصابة بالمرض

السؤال من القارئ/ صلاح إسماعيل عبد الفتاح، من كفر صقر شرقية، يقول:

قبل أن يمرض والذى كان يؤدي كل الفروض وبعد المرض أصبح يرفض أن يؤدي الصلاة بحجة أن الله غفور رحيم، فماذا يفعل معه؟

الجواب: ترك الصلاة إن كان جحودا لفرضيتها أو استهزاء بها يعتبر

كفرا، ويعامل الشخص بذلك معاملة الكفار المرتدين. أمّا إذا تركها كسلا وارتكنا على أن الله غفور رحيم فهو غاص مرتكب لكبيرة من الكبائر، ويجب نصحه بالعودة إلى الصلاة وقضاء ما فاتته منها، فإن مات ولم يصل مات مسلما عاصيا. ويترك أمره إلى الله الذي قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» النساء: ٤٨.

ومن المهم أن نعرف أن الصلاة التي تركها لا يمكن لأحد أن يقضيها عنه بعد وفاته وحسابه على الله.

السؤال من قارئة، تقول:

دخلت المسجد أثناء إقامة صلاة العشاء ولحقت الصلاة في الركعة الثانية أثناء تلاوة التشهد وأكملت الصلاة معهم فهل أصلى ما فاتنى جهريا بمفردى؟

الجواب: سبقت الإجابة على

ذلك في عدد رجب ١٤٢٦ هـ من المجلة وخلاصتها: هناك رأيان للعلماء فيما يدركه المسبوق مع الإمام، هل يعتبر أول صلاة له أو آخرها؟ فمن صلى مع الإمام صلاة الظهر مثلا وأدركه في الركعة الثالثة والرابعة ثم قام بعد سلام الإمام ليكمل صلاته، قال جماعة: الركعتان اللتان أدركهما مع الإمام تعتبران بالنسبة له الأولى والثانية، ويكون الباقي عليه هو الركعة الثالثة والرابعة، فلا يقرأ فيهما سورة بعد الفاتحة، لأن السورة تكون سنة في الركعتين الأولى والثانية، وقال الآخرون: الركعتان اللتان أدركهما مع الإمام تعتبران بالنسبة له الثالثة والرابعة كما هي للإمام فيكون الباقي عليه هو الركعة الأولى والثانية فيقرأ فيهما السورة بعد الفاتحة.

وبالنسبة لما جاء في السؤال وهو عن صلاة العشاء يكون الجهر بالفاتحة والسورة في الركعتين الأولى والثانية بالنسبة للمأموم على رأي، أما الرأي الآخر فلا يكون فيهما جهر لا للإمام ولا للمأموم، ولك أن تختار ما تشاء من الرأيين.

الحب فى الله

من أسرة متدينة ولكن شعرت بقلبي يُشدُّ إلى شاب توسمت فيه الخير ولا أدري إن كان يشعر نحوى بما أشعر به، فهل هذا الحب يتنافى مع الدين؟

إن الحب إذا لم يتعد دائرة الإعجاب، ولم تكن معه محرمات فصاحبه معذور، ولكن إذا تطور، وتخطى الحدود فهنا يكون الحظر والمنع، وإذا كان للفتاة أن تحب من يبادلها الحب، والتزمت الحدود الشرعية فقد ينتهى نهاية سعيدة بالزواج، ويكفى هذا المختصر ومن أراد الزيادة فليرجع إلى الكتابين المذكورين أولاً.

هل يتزوجان من جديد؟

السؤال من القارئ/ د. محمود أبو النصر جاد الله، يقول:
زوجان مسيحيان أسلما هل يلزم إنشاء عقد جديد؟
الجواب: إذا أسلم الزوجان معا فلا حاجة إلى تجديد عقد الزواج، ولو أسلمت الزوجة ولم يسلم زوجها انفسخ النكاح قطعاً، أما إذا أسلم هو وبقيت هى على دينها فإن كانت كتابية - أى يهودية أو نصرانية - فلا فسخ، أما إذا كانت غير كتابية فقد انفسخ النكاح. حدث أن زينب بنت الرسول ﷺ أسلمت وهاجرت من مكة قبل زواجها أبى العاص بن الربيع ففرق النبى بينهما، فلما أسلم بعد ست سنوات من الهجرة ردها إليه بالنكاح الأول ولم يحدث شيئاً، أى شهادة ولا صداقاً، رواه أحمد وأبو داود والترمذى عن ابن عباس، والموضوع بطوله مبسوط فى «المجلد السادس» من موسوعة «الأسرة تحت رعاية الإسلام».

الظهار للزوج

السؤال من قارئة/ تقول:
هل يجوز أن تقول الزوجة للزوج أنت على حرام كابى وأخى؟
الجواب: الظهار يكون من الرجل للمرأة، ولا يكون من المرأة للرجل، وتحريم نفسها عليه ليس كتحريم نفسه عليها، فالرجل هو الذى يملك الطلاق وما يشبهه، ولا يجوز أن تطلق المرأة نفسها من زوجها إلا إذا فوضها فيه، يعنى جعلها وكيلة عنه فى طلاقها كتوكيله إنساناً آخر، على أن يكون ذلك فى أضيق الحدود حتى لا يساء استعمال هذا التفويض.

السؤال من القارئ/ أحمد على أحمد بدوى، من الدقى، بالقاهرة، يقول:

اثنتان تحابا فى الله (كما جاء فى الحديث) هل إذا كان الاثنان من جنسين مختلفين (ذكر- أنثى) هل هذا الحب فى الله حلال أم حرام؟ وما مفهوم الحب فى الله كما جاء فى الحديث؟

الجواب: الإجابة طويلة على هذا السؤال وملخصها كما فى «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام» وكتاب «فتاوى للشباب» ما يأتى:

الحب وهو تعلق قلبى يحس معه المحب باللذة والراحة، قال العلماء إن حكمه مرتبط بما تعلق به القلب فى موضوعه والغرض منه، فمنه حب الله وحب رسوله، وحب الصالحين، وحب الوالد لأولاده وحب الزوجين وحب الأصدقاء، وحب الطالب لمعلمه وحب الطبيعة والأصوات الحسنة وغيرها.

ومن هنا قال العلماء: قد يكون الحب واجباً كحب الله ورسوله بالطاعة، وقد يكون مندوباً كحب الصالحين بالمعاملة الحسنة وقد يكون حراماً كحب الخمر والجنس المحرم.

وأكثر ما يسأل عنه هو الحب بين الجنسين، وبخاصة فى فترة الشباب، فقد يكون حباً قلبياً أى عاطفياً، وقد يكون حباً شهوياً جنسياً، والفرق بينها دقيق، وقد يتلازمان، ومهما يكن من شىء فلا بد من معرفة السبب المولد له ومعرفة مظاهره، ونتائجه، فإن كانت هذه الأمور حلالاً كان الحب حلالاً، وإلا كان حراماً.

جاء فى بعض التساؤلات: أنا فتاة

من مات زوجها أثناء عدة الطلاق

السؤال من قارئة، من محافظة القاهرة، تقول:

إذا طلقت الزوجة طلاقاً رجعياً ومر على هذا الطلاق شهران، ومات زوجها (طليقها) أثناء العدة فهل تعتد عليه عدة المتوفى عنها زوجها؟

الجواب: من طلقها زوجها طلاقاً رجعياً ثم مات وهي في العدة تحولت عدتها من عدة طلاق - سواء كانت بالحيض أو بالأشهر - إلى عدة وفاة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام تبدوها من وقت الوفاة.

تعتد بوضع الحمل، لأن الباقي على وضع حملها سبعة أشهر أو ثمانية، أما لو مات وهي حامل في الشهر الثامن مثلاً تعتد بالأشهر الأربعة والأيام العشرة، لأن الباقي من الحمل شهر وأيام (المغنى لابن قدامة مجلد ٩ ص ١٠٨ - ١١١).

هل هذا حرام؟

السؤال من قارئ، يقول:

كثيراً ما نقرأ في بعض كتب التراث عن أوصاف النبي ﷺ فهل إذا أدخلنا هذه المعلومات والأوصاف على جهاز الكمبيوتر لتخرج لنا صورة بهذه الأوصاف حرام؟
الجواب: صفات الرسول ﷺ إذا عرضت بالكتب أو الأجهزة الأخرى، دون أن يدخلها تصوير لشخصية أمر جائز، أما إذا كان العرض بالتصوير فهو حرام، وذلك لمسر أو استحالة التصوير أو التمثيل في إبراز الحقيقة، حتى لشخص عادي. وهذا يعتبر كذباً على الرسول ﷺ يدل عليه الحديث الشريف «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». وإجماع العلماء على حرمة ذلك وقد سبقت الفتوى به في عدد شوال ١٣٩١هـ من المجلة.

الطلاق

السؤال من القارئ، عبد القادر توفيق محمد، من قنا، يقول: رجل شاءت الأقدار أن يحرم من الإنجاب وتبني طفلة وأراد أن يكتبها باسمه حتى يحافظ على شعورها من المجتمع عندما تكبر وتعلم حقيقة أصلها فهل هذا حرام أم حلال؟

الجواب: التبني وكتابة البنت المتبناة باسم من تبناها باطل وحرام، وذلك أمر معروف من الدين بالضرورة، وتعمل الرجل بالحفاظ على شعورها لا يبيح له ذلك، والمشروع من هذا الأمر هو أن يكفلها ويربها بحكم أنها يتيمة، وله ثواب عظيم لكنها غريبة عن الأسرة الأجنبية في الأحكام الشرعية: لا ترث ولا يجوز للكافل إذا بلغت أن يعاملها كبنته النسبية، بل يحرم عليه النظر إلى عوراتها والخلو بها وغير ذلك مما هو معروف من التعامل بين الرجل والمرأة الأجنبية. وكونها تتألم إذا كبرت وعرفت أنها يتيمة أخف من الوقوع فيما حرمه الله.

هذا، إذا كانت المطلقة غير حامل، أما إذا طلقها وهي حامل ثم توفي قبل أن تضع حملها، فإن عدتها بوضع الحمل، وليس لها عدة وفاة، وهو مذهب الجمهور، لحديث طلاق سبيعة الأسلمية التي وضعت حملها بعد وفاة زوجها ليال، فقال لها الرسول ﷺ «قد حلت، فانكحي من شئت»، وهناك رأي للإمام علي ولابن عباس أنها تعتد بأبعد الأجلين، وهما وضع الحمل والأشهر الأربعة والأيام العشرة، بمعنى أن مطلقها لو مات وهي حامل في شهر أو شهرين،

زوجة المدخن وطلب الطلاق

السؤال من القارئ/ أبو بكر عبد الحميد حسن

رضوان، من محافظة سوهاج، يقول:

هل يجوز للزوجة أن تطلب الطلاق من زوجها المدخن؟ وما الدليل على ذلك؟

الجواب: من المعروف أن التدخين فيه ضرر صحي ومالي مهما كانت درجته، وإذا تضررت الزوجة من تدخين زوجها تضرراً تصعب معه الحياة الزوجية كان لها الحق في طلب الطلاق منه، إما بطريقة سلمية بينها وبينه مع تفاوضهما في حقوق الطلاق إن كان منه أو كان بطلبها هي - وهو الخلع - وإما بطريق القضاء إن تعذر التصالح بينهما، وطريق القضاء طويل وتكاليفه كثيرة، ونهايته بعد كل الإجراءات الصحيحة طلاق من القاضي طلاقاً بائناً، كما نص القانون من جواز التطلق للضرر.

تعديد الأزواج واللقاء في الجنة

هل هذا نكاحاً؟

السؤال من قارئ، يقول:
لِي ثلاث أولاد وزوجتي تعمل وأصبح عسيرا عليها أن توفق بين العمل وأعمال المنزل وترفض الاستقالة، فهل تعتبر ناشزا وهل تستحق مؤخر الصداق ونفقة العدة وهل لها الحق في الحضانة؟
الجواب: طاعة الزوج لزوجها واجبة في أمرين أساسيين، هما المعاشرة الزوجية ولزوم البيت وعدم الخروج منه إلا للضرورة، وعصيانها له في ذلك تعتبر نشوزا تسقط به نفقتها. وإذا تزوج الرجل امرأة وهي تعمل ووافق على ذلك لا يصح له أن يمنعها من العمل إلا إذا كان في عملها تقصير كبير في حقه وحق أولاده وبيته، فينصحبها ويحذرهما من العاقبة، فإن لم تطع سقط حقها في النفقة، وإذا طلقها من نفسه دون طلب منها وجب لها مؤخر الصداق ونفقة العدة وحق الحضانة للصغار ما لم تتزوج. أما إذا طلقها هي الطلاق فيكون الخلع الذي له مقابل من جهتها كتنازلها عن مؤخر الصداق وحقوقي أخرى.

مال اليتيم والزكاة

السؤال من القارئ/ أحمد محمد، من محافظة القاهرة، يقول:
أموال اليتامي متى يخرج عنها زكاة هل من يوم وفاة الوالد أم من وقت استلام اليتيم لماله والتصرف فيه بنفسه، وما حكم وضع أموال اليتامي في البنوك الإسلامية؟
الجواب: أموال اليتامي تكون ملكا لهم منذ توفي والدهم، وإذا بلغ نصيب كل ولد منهم النصاب وهو مايساوي ثمن ٨٥ جراما من الذهب وجب عليه أن يخرج الزكاة بعد سنة من وفاة والدهم، وهي ربع العشر - أي على كل ألف جنيه ٢٥ جنيهاً - . وإذا استطاع أن يخرج الزكاة كل سنة من هذا المال كان ذلك خيرا، أما إذا كانت هناك ظروف خارجة عن إرادته تمنعه من أخذ شيء من ماله إذا وضع تحت سيطرة المجلس الحسبي مثلاً، فلا مانع من تأخير دفع الزكاة حتى يتسلم الولد هذا المال، ويخرج الزكاة عن كل السنوات الماضية. ووضع أموال اليتامي في بنوك إسلامية تلتزم الشريعة الإسلامية التزاماً صحيحاً حقيقياً لا مانع منه.

السؤال من القارئ/ محمد سيد محمود من الفيوم، يقول:
إذا تزوجت امرأة عدة مرات زواجا شرعيا فمع من منهم تكون زوجها له في الجنة؟

الجواب: هناك رأيان للعلماء في ذلك، رأى يقول: إنها لأخر أزواجها، ودليله أن هجيمة بنت حبيّ الأوصابية أم الدرداء الصغرى خطبها معاوية بن أبي سفيان فأبته، وقالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «المرأة لأخر أزواجها» ولست أريد بأبي الدرداء بديلاً، وهو حديث صحيح رواه الطبراني وأبو يعلى برجال ثقات، ولفظه «أيما امرأة توفي عنها زوجها فتزوجت بعده فهي لأخر أزواجها» وذكره ابن حجر في «المطالب العالية ج ٢ ص ٦٧» وفي الجامع الصغير. وكما فعلت أم الدرداء فعلت زوجة حذيفة «تفسير القرطبي لسورة الأحزاب ص ٢٢٩».

ورأى يقول: إنها ستكون لأحسنهم خلقاً، وإن خيرت بينهم اختارته، واستأنس هذا الرأي بحديث رواه الطبراني في معجمه الكبير عن أنس قال: قالت أم حبيبة لرسول الله ﷺ: أرأيت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة، لأيهما تكون؟ قال: «لأحسنهما خلقاً كان عندهما في الدنيا، يأم حبيبة، ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»، ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» ج ٣ ص ٤٥.

فلنترك الأمر لله، فهو من المغيبات التي لا نلتزم في اعتقادها إلا بخير قاطع في قبوته ودلالته، ولعل القول بأنها تكون لأحسنهم خلقاً أنسب لما تكون عليه الجنة من نعيم عظيم لا غل فيه ولا هم ولا حزن.

الإعانة المالية

نص على ذلك الإمام الفيزالى فى

«إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٩٢» واستدل بأن أثمان الخمر ودراهم الربا من أيدى أهل الذمة - وهم غير المسلمين الذين يعيشون معنا - مختلطة بالأموال، وكذلك غلول الأموال وغلول الغنيمة، ومن يوم أن نهى الرسول ﷺ عن الربا فى حجة الوداع ما ترك الناس الربا بأجمعهم، كما لم يتركوا شرب الخمر ولا تركوا المعاصي، وأدرك أصحاب الرسول ﷺ الأمراء الظلمة، ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع فى السوق بسبب نهب المدينة وقد نهى أصحاب يزيد - ابن معاوية - ثلاثة أيام، والأكثرون لم يمتنعوا عن تلك الأموال مع الاختلاط وكثرة الأموال المنهوبة فى أيام الظلمة، والكلام فى هذا الموضوع طويل منشور فى «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام - المجلد الثانى» فيرجع إليه.

السؤال من قارئ/ يقول:

تقيم فى أمريكا وهناك تقدم الحكومة إعانة شهرية للعائلات المحدودة الدخل للمسلمين وغير المسلمين فهل يجوز أن نأخذها؟

الجواب: لا مانع أن تأخذوا هذه المعونة فهى خليط من أموال حلال وأخرى غير حلال، ولعل ما تأخذونه يكون من الحلال، ومعلوم أن النبى ﷺ كان يأخذ الجزية من اليهود، وأموالهم خليط من حلال وحرام كالربا والاتجار فى الخمر وغيرها.

فى الميراث

السؤال من القارئ/ عبد المجيد إسماعيل محمد عوض، من صان الحجر، شرقية، يقول:

توفى عن زوجتين وابن متوفى ليس له أبناء وإحدى الزوجتين متوفاة وعن أخ شقيق وأخت شقيقة على قيد الحياة وعن أربعة أشقاء متوفاهم الله ولهم أبناء وبنات على قيد الحياة وعن أخ غير شقيق من الأم وله عقارات وأرض زراعية، فمن يرث ومن لا يرث؟

الجواب: يفهم من هذا أن رجلا توفى عن زوجة وأخ شقيق وأخت شقيقة، وأولاد إخوة ذكورا وإناثا وعن أخ من الأم فتقسم التركة على النحو الآتى:

للزوجة الربع فرضا لعدم وجود فرع للميت، وللأخ للأم السدس فرضا، والباقي للأخ الشقيق والأخت الشقيقة، تعصبا،

للمذكر مثل حظ الأنثيين،

ولو قسمت التركة ستة

وثلاثين جزءا، كان

للزوجة تسعة أجزاء،

وللأخ من الأم ستة

أجزاء، والباقي وهو واحد

وعشرين جزءا، للأخ

الشقيق أربعة عشر جزءا

وللأخت الشقيقة سبعة

أجزاء.

مال الزكاة وبناء المقبرة

السؤال من القارئ، عبد القادر توفيق محمد، من محافظة قنا، يقول: تمتلك عائلة مدفنا خاصا بها تصفها تم تجهيزه بمال الميسورين من العائلة والنصف الآخر من المقبرة غير مكتمل فهل يجوز أن يتم تجهيز باقى المقبرة من ميسورى الحال من العائلة لتتفع الجميع؟ وذلك من مال الزكاة؟

الجواب: يرى بعض العلماء أن المساعدة فى بناء المقبرة لمن لا يملك مالا يكفى لإقامتها لأهله، أنها من مصارف الزكاة، فصاحبها فقير لا يملك ما هو ضرورى ومنه المقبرة.

ويرى آخرون أنها لا تكون من الزكاة، فدفن الميت يكون تحت سطح الأرض ولا يحتاج إلى قبر يبنى عليه، بل يكره ذلك. وأنا أميل إلى هذا.

التعقيم والمرض

السؤال من قارئ، من محافظة الجيزة، يقول:
هل يجوز إجراء عملية تعقيم لامرأة مصابة
بمرض خبيث من أجل الحفاظ عليها؟

الجواب: تعقيم المرأة حكمه حكم خصاء الرجل بحيث لا يكون منهما إنجاب، وهو الحرمة، وقد روى البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه سأل النبي ﷺ أن يرخص له في الخصاء لعدم وجود ما يتزوج به وهو شاب يخاف على نفسه الوقوع في الإثم. كما روى أحمد والطبراني أن رجلاً استأذن النبي ﷺ في الخصاء فقال: «خصاء أمتي الصيام والقيام».

وإذا كان الإمام أحمد أجاز شرب المرأة الدواء لقطع الحيض فلعله لغرض آخر غير التعقيم. ومع ذلك لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة القصوى كتتحقق الوراثة لمرض خبيث أعيا الأطباء علاجه، والضرورة تقدر بقدرها.

ومن هذا يعرف الجواب على السؤال، وهو الجواز للضرورة.

كيف يخرج زكاة ماله

السؤال من قارئ، من محافظة القاهرة، يقول:
اشتركت بمكافأة نهاية الخدمة في مشروع كي أستطيع أن أتعيش بما يكون لي من عائد منه بجانب معاشي فكيف لي أن أخرج زكاة المال مع العلم بأنه ليس هناك فائض كي أدخره لإخراج الزكاة؟

الجواب: الزكاة تجب على المال المدخر الفائض عن حاجات صاحبه إذا بلغ نصاباً وحال عليه الحول من وقت بلوغ النصاب، والنصاب هو ما يساوي ثمن ٨٥ خمسة وثمانين جراماً من الذهب، والسعر يختلف من وقت إلى آخر، وإذا بلغ المال النصاب وحال عليه الحول القمري - أي السنة الهجرية - أخرج الزكاة وهي ربع العشر - أي على كل ألف جنيه يخرج خمسة وعشرين جنيهاً، وما دامت أيها السائل لا تملك النصاب الفائض عن حاجتك فلا زكاة عليك.

من يأتي بحركات أثناء الصلاة

السؤال من القارئ/ أحمد عبد العزيز الجمل،
من محافظة القاهرة، يقول:

القراءة من المصحف أثناء صلاة التراويح أو غيرها من النوافل ما حكمها خاصة وأن المصلي يأتي بحركات كثيرة أثناء الصلاة؟

الجواب: القراءة من المصحف في صلاة التراويح جائزة لأنها في صلاة النافلة، أما في الفريضة فجائزة عند بعض الفقهاء وممنوعة عند بعضهم. والشرط في الجواز هو عدم الحركة الكثيرة، مثل فتح المصحف ثم طيه ثم وضعه بعد القراءة في جيبه أو على الكرسي. وذلك في كل ركعة، وهذا العمل يبطل للصلاة، أما إذا كان المصحف كبيراً ومحمولاً على حامل مرتفع ولا يحتاج المصلي إلى الحركة إلا مرة واحدة عند قلب صفحة فلا مانع.

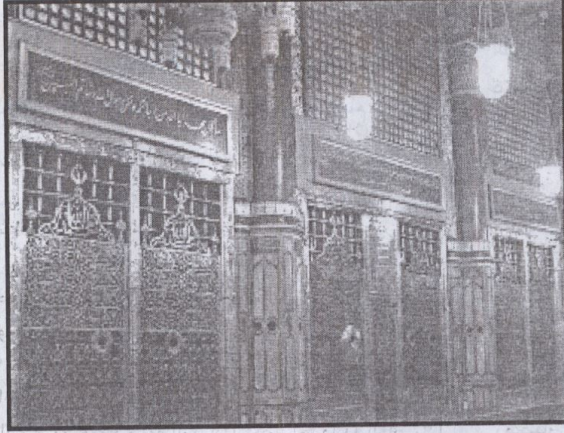
أخرج الإمام مالك أن ذكوان مولى السيدة عائشة - رضی الله عنها - كان يؤمها في رمضان ويقرأ من المصحف، ومن أدلة المانع ما رواه ابن أبي داود في «كتاب المصاحف» أن ابن عباس قال: نهانا أمير

المؤمنين أن نؤم الناس في المصاحف، وروى عن بعض التابعين كراهته، والشرط عند الجواز عديم الفعل الكثير والأولى أن يكون ذلك لغير الحافظين وفي النوافل، واختلافهم رحمة.

مع
القراءمع
أ
ل
ق
ر
أ
ع

○ مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء ○ أ. حسين السكري □ مع القراء

عبارة رية الرسول ﷺ



للقارئ/ أحمد سعيد عبدالعزيز -

الحضرة القبلية - الإسكندرية.

كثيرا ما نسمع عن الزوجة الذكية أو الزوجة ذات الخبرة أو الخبيرة التي لا تتخدد عندما تشتري لزوجها ولأولادها الملابس والأحذية، فهي تستطيع أن تشتري بالسعر المناسب وليس بالسعر المعلن وبالجودة المناسبة وإذا لم تكن الزوجة بهذه الحنكة فإنها تصحب جارتها أو والدتها لكي تضمن شراء السلعة التي ترغب فيها دون أن تتخدد، فلماذا كل هذا الاحتياط؟! لأن التاجر لا يعلن عن السعر الحقيقي للسلعة ويخلط السلع الرديئة بالسلع الجيدة مع أن النبي ﷺ نهانا عن الفش فقال: «من غشنا فليس منا»، والذي يحدث مثلا أن تاجر الأقمشة يخدد تاجر اللين عندما يريد الأخير شراء الملابس والأقمشة، فتاجر اللين لا يستطيع أن يفرق بين الأقمشة الجيدة والأقمشة الرديئة، وتاجر اللين يخدد تاجر الأقمشة عندما يريد الأخير شراء

اللين، فهو أي تاجر الأقمشة لا يعرف الفارق بين اللين كامل الدسم واللين غير كامل الدسم، والنتيجة أننا لو لم نتمسك بما قال الرسول ﷺ فإن المجتمع يكون بذلك يخدد بعضه بعضا، كل في مجال السلعة التي يتاجر فيها؛ ولذلك كانت عبقرية الرسول ﷺ في أنه نهانا عن ذلك.

إذا انعدمت الضمائر وضاعت القيم وتفشيت النرجسية ومعناها حب الذات عاش المجتمع في ضيق شديد من جراء هذا الخلط ولهذا كان الرسول ﷺ حريصا على تلك المفاهيم فنهانا عما يضرنا ويوقع بيننا العداوة والخصام فنكر ﷺ هذا الحديث الشريف: «من غشنا فليس منا» بمعنى أنه خرج عن حظيرة الإسلام والإيمان فليتنا نحرص على وجودنا في تلك الدائرة المباركة.

ما أحوجنا إليك يا رسول الله

الكرام إذا أملت بهم الملمات وأحاطت بهم المخاوف
لاذوا بجناحه الرفيع واحتموا بحماه المنيع ﷺ ويقول
الإمام على عليه السلام: «وكرم الله وجهه -: «كنا إذا حمى
البأس واحمرت الحدى اتقينا برسول الله ﷺ فما
يكون منا أحدا أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتى يوم
بدر ونحن نلوذ بالنبي وهو أقربنا للعدو وكان أشد
الناس بأسا على الأعداء»، فما أحوجنا اليوم إلى
حنايا رسول الله، فهامى أيام الربيع أقبلت تجذب
الأبصار فأنت يا رسول الله ربيع الأمة والبشرية
جمعاء ولقد صدق الخالق الكريم حيث قال -
سبحانه -: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»
التوبة: آية ٢٨، أجل والله لن تسلم هذه الأمة
القيادة لأى أجنبى فرسولنا عربى، والعربى بطبعه
بأبى أن يتجير عليه أو يتعالى عليه أو أن يخذله،
فقد كان - صلوات الله وسلامه عليه - من الخلق
والمكانة بما أعجب البشر جميعا واقتدى به الناس
جميعا، فإذا تحقق للعرب هذه القدوة فسوف يركبون
الصعاب ويجتازون المحن، إنها أمة رسول الله ﷺ التى
أعطت للبشرية أسمى القيم وأرقى الحضارات وهامى
اليوم تواجه التحديات الجسم وتهب عليها رياح الشر
من كل جانب وليس لها إلا جناب الله - عز وجل -
ورسول الله الكريم ﷺ حتى نحظى بالشرف العظيم
الذى وهبه الله لنا، فقد جعلنا من أمة خير الأنام «إن
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»
رحمكم رسول الله فجنود الشر قد عاثوا فيها،
رحمكم فلا تعرض عنا ويسيفك قم وادفع عنا.

لقد غرس فينا رسول الله ﷺ المبادئ والقيم
والشجاعة والكرم والأخلاق الفاضلة، والجوانب
النبيلة وكل الصفات الكاملة العظيمة، وبقي علينا أن
نقتدى بها ونتأسى ونعمل بها ولا نتركها ونضيعها
ونتشدد بها ونحدث ونتغنى عنها ولا نقيم لها وزنا
فتلك مصيبتنا وهذه علتنا، فهذا كل ما نرجوه ونأمله.

للقارئ/ عبد الكريم محمد مكي - العطواني - أسوان.

ما أحوجنا إليك يا رسول الله، يروى عن أنس
رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان أحسن الناس وأجود
الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة
فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله راجعا
وقد سبقهم إليه واستخبر عن الصوت وهو على
فرس لأبى طلحة والسيف فى عنقه وهو يقول: «لن
تراعوا.. يطمئنتهم» رواه الشيخان، وكان صحابته

يا الله

للقارئ/ أمير جمال حسنى - سرس الليان -

منوفية - مدرسة الشهيد الجندى الإعدادية.

«يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى
شأن» الرحمن: آية ٢٩، فإذا اضطرب البحر وهاج
الموج وهبت الريح نادى أصحاب السفينة يا الله، وإذا
ضل البادى فى الصحراء ومال الركب عن الطريق
وحارت القافلة فى السير نادوا يا الله، وإذا وقعت
المصيبة وحلت النكبة وجئمت الكارثة نادى المصاب يا
الله، وإذا أوصدت الأبواب أمام الطلاب وأسدلت
الستور فى وجوه السائلين صاحوا يا الله، وإذا
ضاق عليك بما رحبت وضافت عليك نفسك بما
حملت فتناديا الله، إليه - سبحانه - تمد الأكف فى
الأسى والأيدى فى الحاجات والأعين فى الملمات
وبه تشدو الألسن وتستغيث وبذكره - جل جلاله -
تطمئن القلوب وتسكن الأرواح وتهدأ المشاعر وتبرد
الأعصاب ويتوب الرشيد إن الله لطيف بعباده.

ومن يلطف بالعباد سواء - عز وجل - فهو الخالق
الرازق المحيى المميت المصور فالى من يلجأ الناس إلا
الله وهم يعرفون جميعا أنه على كل شىء قدير،
فالمرء لا ينبغى أن يلجأ لأحد إلا الله فهو الرازق
القادر وهو الخلاق العليم صاحب الأمر والنهى الذى
يقول للشىء كن فيكون؟

دعاء الرسول ﷺ في التهجد

من الليل افتتح صلاته فقال: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، وصدق رسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ.

يؤخذ من هذا أن حياة الرسول ﷺ كانت كلها دعاء وعبادة وتهجد واجتماع بالصحابة والمسلمين وغيرهم، وهذا من صميم الرسالة الإسلامية التي أرسله الله - جل جلاله - من أجلها، وصدق فيه قول الله - تعالى -: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك﴾، ولهذا لازموا طوال حياته ﷺ وحياتهم.

للقارئ/ الشيخ خيرى محمد أبو الروس - إمام وخطيب - كفر الجرايدة.

روى الإمام البخارى فى صحيحه عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ من الليل قال: لا إله إلا أنت سبحانك - اللهم إني أستغفرك من ذنوبى وأسألك رحمتك، اللهم زدنى علما ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب». وصدق الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ وروى الإمام مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: «سألت عائشة - رضى الله عنها -: بأى شئ كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاة الليل إذا قام من الليل؟ قالت: إذا قام

مسابقة منبر الإسلام الدينية - ربيع الأول ١٤٢٧ هـ (٧)

«لقد بلغ الإسلام، على درب عقيدة التوحيد الذروة فى تنزيه الذات الإلهية عن أى تعددية أو تركيب أو مماثلة أو شبه لأى من المخلوقات والمحدثات، وصاغ للخالق تصورا تجريديا بلغ فى التجريد أقصى ما يطيقه عقل الإنسان».

عنوان المقال : اسم الكاتب :
العنوان :
المقال :
اسم المتسابق :
رقم التليفون :
تاريخ الميلاد :
رقم البطاقة :
جهة الصدور :
املاً ببيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة العمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٦ هـ حتى شعبان ١٤٢٧ هـ



الاسم : حسن صبحي
حسن عطية
الهواية : تلاوة القرآن
والخطابة
العنوان : أبو داود .
تمى الأمديد -
محافظة الدقهلية



الاسم : سامي
عبدالمجيد بركات
الهواية : الاطلاع
الديني والخطابة
العنوان : كفر الشيخ -
سيدي سالم - جابر

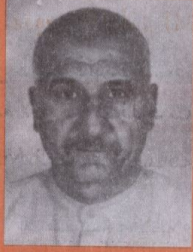


الاسم : المدثر
عبدالمالك يوسف السقلى
الهواية : قراءة
واستماع القرآن الكريم
العنوان : قنا - نقادة -
دنقيق

الاسم : أحمد حامد
محمد عبدالله رشوان
الهواية : الإنشاد
الديني
العنوان : ش عماد
الدين مركز القشن -
بنى سويف



الاسم : جمال محمد
حسني حسن
الهواية : قراءة القرآن
والاطلاع الديني
العنوان : محافظة
أسيوط . مركز القوصية
غيط الشعير

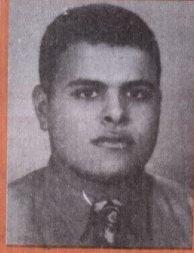


الاسم : الشربيني يس
الشربيني
الهواية : الخطابة
العنوان : الأسماعيلية
- السلام - مسجد
البدري - أمام الجامعة
الجديدة



الاسم : إسلام محمد
إسماعيل مصطفى
الهواية : قراءة القرآن
والاطلاع الديني
العنوان : البراقعة -
الباچور - المتوفية

الاسم : عبدالرحمن
أبو هاشم عبدالقادر
الهواية : الاطلاع
الديني ونشر الدعوة
العنوان : أم الزين
الزقازيق - الشرقية



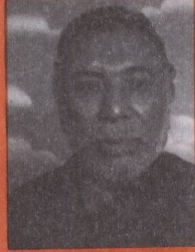
الاسم : محمود
عبدالتواب عبدالله
الهواية : الخطابة
وممارسة الرياضة
العنوان : طملاي -
مركز منوف - محافظة
المنوفية



الاسم : عبدالفتاح
أحمد سليم
الهواية : قراءة القرآن
والاطلاع الديني
العنوان : البدرشين خلف
مستشفى البدرشين، ش
يجي سعيد الدالي



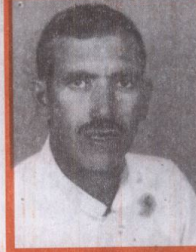
الاسم : محمود
محروس رجب محمد
الهواية : القراءة
والاطلاع الديني
العنوان : سوهاج -
طهطا - ش الجلاء بجوار
مدرسة الأمل للصم



الاسم : رضا السيد
عبد الحميد يوسف
الهواية : التدريس
وقراءة القرآن الكريم
العنوان : غزالة
الخيخس مركز الزقازيق
محافظة الشرقية



الاسم : صلاح
إسماعيل عبدالفتاح
الهواية : الاطلاع
الديني والخطابة
العنوان : القضاة - كفر
صقر - شارع التعاون



الاسم : محمد محمد
سليمان طاحون
الهواية : البحث
الديني
العنوان : مدينة السادات
- المنطقة الأولى ٥ ش
الصفاء مدخل ٢ شقة ٦



الاسم : حامد حسن
حامد يونس
الهواية : قراءة القرآن
والاطلاع الديني
العنوان : محلة الأمير
رشيد - البحيرة



الاسم : عبدالله
محمود عبده
الهواية : الاطلاع
الديني
العنوان : محافظة
المنوفية - شبين الكوم -
عمارة العمدة



تعارف منبر الإسلام

ترجو المجلة من قرائها فصل الكويون المجاور وملء
بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

الاسم :
الهواية :
العنوان :

محتويات العدد

١	كلمة التحرير	□
٢	حديث الشهر (الحاجة قصوى إلى التعاون بين الأديان لخدمة البشر)	□
٤	يا خير خلق الله (شعر)	●
٥	القرآن الكريم وعلومه	□
٦	تفسير سورة التكويد	●
١٠	منهج الفكر الاستشراقي في تفسير القرآن الكريم	●
١٥	إعجاز القرآن من خلال آيات «قل» في القرآن الكريم (٢)	●
٢٦	الإسلام في الفكر الغربي	●
٣٣	في رحاب ذكرى المولد النبوي الشريف	□
٣٤	النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم	●
٣٨	من وحي المولد النبوي الشريف	●
٤٤	ذكرى المولد النبوي الشريف بين الإفراط والتفريط	●
٤٨	دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ	●
٥٣	من مواقف رسول الله ﷺ	●
٥٦	مع صاحب الخلق العظيم في ذكرى مولده	●
٥٩	خواطر في ذكرى مولد الحبيب ﷺ	●
٦٣	نبوة بالأزهر حول الرسوم المسيئة للرسول ﷺ	●
٦٩	فلننصر الهادئ (شعر)	●
٧٠	الأمير تشارلز في الأزهر الشريف: (إعادة الاحترام المتبادل بين الأديان)	●
٨٢	ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (شعر)	●
٨٣	صفحة من التاريخ المصرى (من حديث شجرة الدر)	●
٨٧	الحضارة والعلوم	□
٨٨	النموذج الإسلامى للثقافة العربية (٢)	●
٩١	(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد)	●
٩٤	التواصل الإسلامى المسيحى مظاهره وآثاره	●
٩٦	من أعلام المصلحين: الشيخ محمد رشيد رضا	●
١٠٠	نافذة على المعلومات	●
١٠٢	الصادق الأمين (شعر)	●
١٠٣	الدعوة والدعاة	□
١٠٤	من محاسن الإسلام ومزاياه في تشريعات المرأة (الاستئذان)	●
١٠٧	قيمة العمل في الإسلام	●
١١٢	الدين والسلوك الإنسانى	●
١١٥	الاستعانة بالله مفهوماً وغاية	●
١١٩	الحسن البصرى	●
١٢١	أثر المنفى في شعر أبى فراس الحمدانى	●
١٢٤	مساجد لها تاريخ: «مسجد حسن باشا طاهر»	●
١٢٨	قطوف: (من أعمال الفاروق)	●
١٣٠	للذكريات مواسم (شعر)	●
١٣١	أنت تسأل والفقيه يجيب	□
١٤٠	مع القراء	□
١٤٣	بريد التعارف	□
١	بقلم أ. د. عبدالصبور مرزوق	
٢	عمر موسى البرعى	
٤	أ. د. محمد سيد طنطاوى	
١٠	أ. د. محمد الدسوقي	
١٥	أ. د. محمد أبو ليلة	
٢٦	تأليف أ. د. محمود حمدي زقزوق - عرض توفيق على وهبه	
٣٣	أ. د. أحمد عمر هاشم	
٣٤	فضيلة الشيخ: محمد عبدالمجيد زيدان	
٣٨	أ. د. بكر زكى عوض	
٤٤	د. سالم عبدالجليل	
٤٨	أ. د. محمد إبراهيم الجيوشى	
٥٣	فضيلة الشيخ: فكرى حسن إسماعيل	
٥٦	فضيلة الشيخ: فوزى فاضل الزفزاف	
٥٩	مصطفى خيان	
٦٣	زكريا عبدالحسن على سيد	
٦٩	منير أحمد بيومى	
٧٠	أ. د. عبدالحميد إبراهيم بركات أبو سعدة	
٨٢	أ. د. محمد رجب البيومى	
٨٣	أ. د. محمد عمارة	
٨٧	أ. د. عبدالمعبد عمارة	
٨٨	أحمد فاروق الهلباوى	
٩١	كمال عبدالوهاب	
٩٤	منى القاضى	
٩٦	حسن أبو الغيط	
١٠٠	أ. د. عبدالعظيم الطعنى	
١٠٢	فضيلة الشيخ: شوقي عبداللطيف	
١٠٣	د. عبدالرشيد سالم	
١٠٤	فضيلة الشيخ: معوض عوض إبراهيم	
١٠٧	عرض: سعيد صالح	
١١٢	أ. د. محمد مصطفى سلام	
١١٥	محمد كامل شاهين - تصوير: سيد الزفزاف	
١١٩	محمد سيد أحمد على الدين	
١٢١	محمد فايد عثمان	
١٢٤	فضيلة الشيخ عطية صقر	
١٢٨	يحرره: حسين السكرى	

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ المسلم
فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأهم
الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:



أهم كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء ١ : ٢
- إخلاص النواى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٢٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١ : ٥

وتيسيرا على القارئ المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

- | | |
|---|---|
| القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى | ٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير |
| مكتبة مسجد النور بالعباسية | ٧٦ شارع الجمهورية (شرايط القرآن الكريم) |
| الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول | مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا |

مطابع الأهرام التجارية - قلوب - مصر